

مركز تفسير للدراسات القرآنية
Tafsir Center For Qur'anic Studies





كرسي القرآن الكريم وعلومه
Chair of Qur'anic Sciences

بحوث ودراسات ٨٨

الدراسات البينية القرآنية

مدخل منهجي لعلاقة القرآن الكريم وعلومه بالتخصصات الأخرى



أ.د. عمر بن عبد العزيز الدهيشي
د. محمد بن حسين الأنصاري

الدراسات البينية القرآنية

مدخل منهجي لعلاقة القرآن الكريم وعلومه

بالتخصصات الأخرى

ح دارتفسير للنشر والتوزيع ، ١٤٤٥ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الدهيشي ، عمر بن عبد العزيز

الدراسات البينية القرآنية مدخل منهجي لعلاقة القرآن الكريم

وعلومه بالتخصصات الأخرى. / عمر بن عبد العزيز الدهيشي ؛

محمد بن حسين الأنصاري - ط١. - الرياض ، ١٤٤٥هـ

٢٠٠ ص ؛ ١٧*٢٤ سم

رقم الإيداع: ١٤٤٥/٤٦١٦

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٩٢٠٨٧-٤-٧

الطبعة الأولى

١٤٤٥ هـ - ٢٠٢٤ م



المملكة العربية السعودية - الرياض - حي الياسمين - طريق أنس بن مالك

الهاتف: ٠٠٩٦٦١١٢١٠٩٦٢٠ - فاكس: ٠٠٩٦٦١١٢١٠٩٧١٣ - ص.ب: ٢٤٢١٩٩ - الرمز البريدي: ١١٣٢٢

البريد الالكتروني: info@tafsir.net الموقع الالكتروني: www.tafsir.net



مركز تفسير للدراسات القرآنية
Tafsir Center For Qur'anic Studies

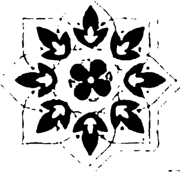
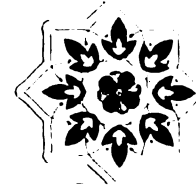
الدراسات البينية القرآنية

مدخل منهجي لعلاقة القرآن الكريم وعلومه بالتخصصات الأخرى

أ.د. عمر بن عبد العزيز الدهيشي

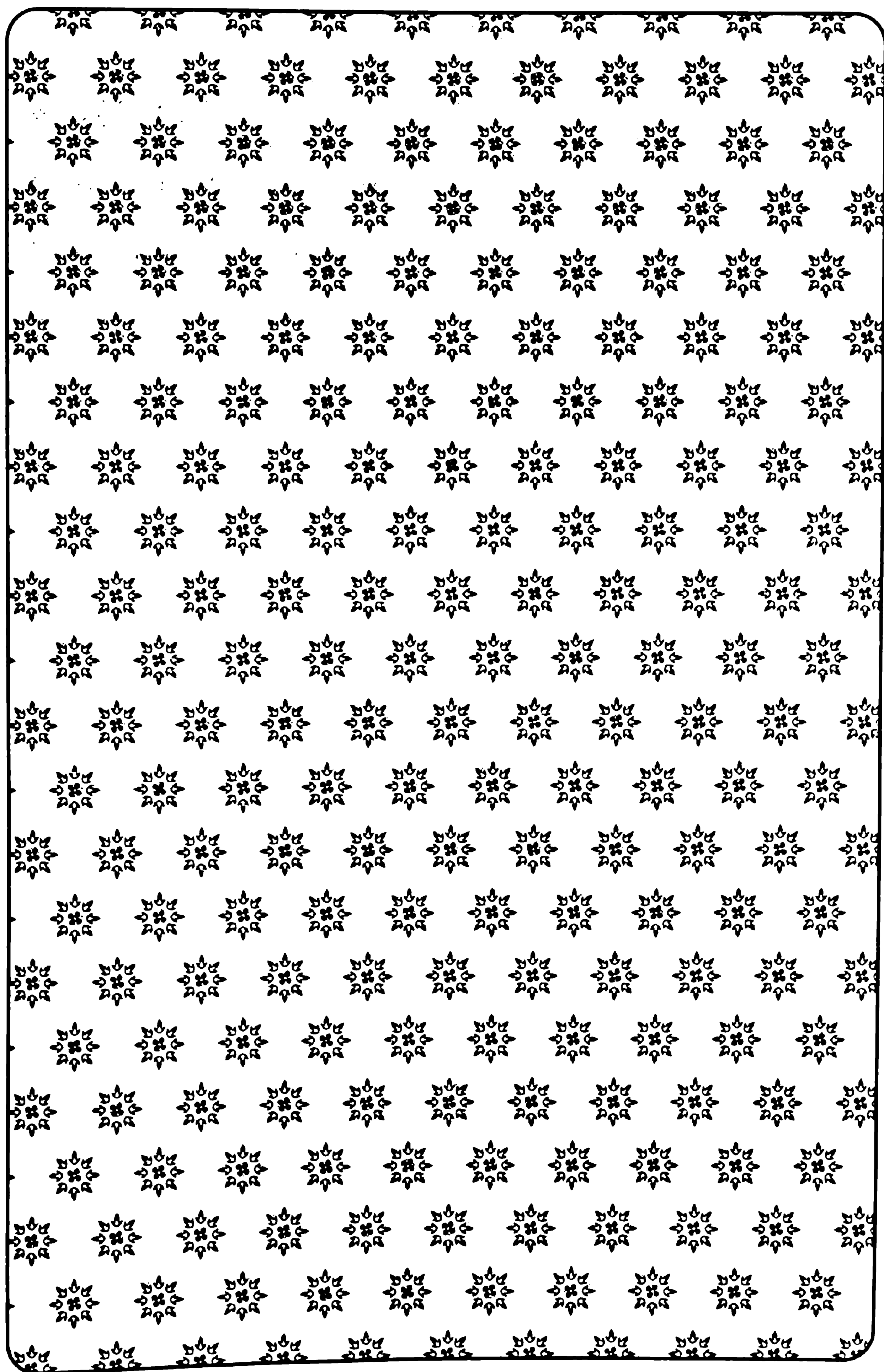
د. محمد بن حسين الأنصاري

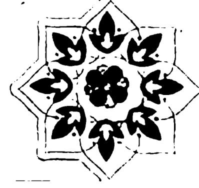
بسم الله الرحمن الرحيم

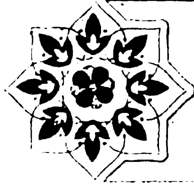
الفهارس







المقدّمة



الحمدُ لله حمدَ الشاكرينَ، والصلاة والسلام على خير النَّبيِّين وإمام المرسلين، نبيِّنا محمدٍ وعلى آله وصحبه الغُرّ الميامين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، أمّا بعد:

فإنَّ إعجازَ القُرآن الكَريم وكونَه آيةً خالدةً لهٰذه الأمّة وصلاحيتَه لكل زمان ومكانٍ حقائقُ لا تُنكر، وواقعٌ لا يجحَد، أدرك ذٰلك الأوَّلون وآمن به الآخرون، وسيبقَى على كرِّ الأعوام ومرِّ القرون بمعانيه ودلالاته وأحكامِه وحِكَمه غضًّا طريًّا كأنما أُنزل الساعة، **وكلما تفاعل معه الإنسان** واجتهد في تدبُّره وتأمل معانيَه عاد عليه بالعلم والمعرفة والآية والمعجزة، وما زال أرباب العلم والمعرفة يَرِدُونَه فيصدُرون عنه بريٍّ وغِنى، تصديقًا للأمر الإلهيّ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النساء: ٨٢]، ووحي اللّفظة (التدبّر) الدال على تأمّل الأمر والنّظر فيما يؤول إليه في عاقبته، وصيغتها الدالة على الاستمرار والتفاعل (يتدبَّرون).

وكلّما اتَّسعت دائرة المعارف الإنسانيّة، وتعدَّدت مصادر العلم والدراية، وتنوَّعت مشارب الفنون، اتَّسعت معها دائرة فهم القرآن، وتعمّقت معانيه ودلالاتُه، وعادت بالهدى والبيان والدلالة والبرهان، فلا يكفي فهمُ المعاني من القواميس اللغوية بمعزلٍ عن المعاني الاجتماعيّة والصحّيّة والاقتصاديّة والسياسيّة والتربويّة والنفسيّة... في إحقاق الحقِّ وإظهاره، ودفع الباطل وإزهاقه، واستلهام المعاني والنَّهَل من هداياته، كلّ ذٰلك تحقيقًا للحكمة الإلهية،

وتصديقًا بالوعد الرساليّ: (ما مِنَ الأنْبياءِ مِن نَبِيٍّ إلَّا قدْ أُعْطِيَ مِنَ الآياتِ ما مِثْلُهُ آمَنَ عليهِ البَشَرُ، وإنَّما كانَ الذي أُوتِيتُ وحْيًا أوْحَى اللَّهُ إلَيَّ، فأرْجُو أنْ أكُونَ أكْثَرَهُمْ تابِعًا يَومَ القِيامَةِ)(١).

وبهٰذا فإنَّ القُرآن الكَريم وتفسيرَه مبعث المعرفة، وموئل المناهج والدِّراسات، فنظر المسلم دومًا يتَّجه إليه في استمداد المعارف وتأسيسِ العلوم، بالإضافة لمساندة كافة التخَصُّصات الأخرىٰ وتقويمها، وتقريبها إلى الثقافة والهوية الإسلامية، ومراجعة المترجم منها وتنقيحه، وفق قِيَمنا المجتمعيّة والدينيّة.

وقدِ اجتهد علماءُ وباحثون في سائر التخَصُّصات (الإنسانيّة والتطبيقيّة والإداريّة والصّحيّة والعقليّة..) في محاولة ربط مسائلَ وعلومٍ بكتاب الله تعالىٰ، ففتحوا بذٰلك مجالاتٍ واسعةً للبحث، وأسهَمُوا في كشف مواطنَ مختبئةٍ؛ بحاجة للإضافة والتنقيح في الدِّراسات القُرآنيَّة، وشاركوا في تقريب القُرآن الكَريم للحياة العِلميَّة والاجتماعيّة، وأدخلوه في قاعات البحثِ ومعامِل الرصدِ ومختبرات التجريب (في الشرق والغرب)؛ مما يكشف عن مدىٰ حضوره في وِجدان كل مسلم ووعيهِ في الأكاديمية الإسلامية أو الغربية.

فمن هنا كان إيجادُ دراسة تُمهِّد السبيل، ومقارَبةٍ منهجيّة واضحة يَتوسّل بها الراغب في سلوك هٰذا الحقل البينيّ ضرورةً تفرضها حاجة المثقَّف والمهتمّ في جميع المجالات النظرية والتطبيقية، فضلًا عن عامة الباحثين والمنتسبين للدِّراسات العليا.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: كيف نزل الوحي؟ [٤٩٨١]، صحيح مسلم، كتاب الإيمان [١٥٢].

وقد بادر كرسيُّ القُرآن الكَريم وعلومِه بجامعة الملك سعود بوضع مدخلٍ منهجيٍّ للدِّراسات البَينيَّة القُرآنيَّة؛ ليكون:

١- باكورةَ بحوثٍ ودراساتٍ ولقاءاتٍ وندواتٍ، تتلوه في إثراء هٰذا الحقل المعرفي، وتوليد الأفكار والمقترحاتِ البحثية، سعيًا في تحقيق أهداف الكرسيّ ورسالته.

٢- معينًا لكل مبتغٍ تأصيلَ منهجٍ أو تقعيدَ علمٍ (ما) بالقُرآن الكَريم، كرسائل جامعية، أو محاولات بحثيّة جادّة من عموم المتخصِّصين في جميع المجالات.

٣- إسهامًا في تأصيل الدِّراسات البَينيَّة القُرآنيَّة، حيث لا توجد دراسة مؤصَّلة لهٰذا النوع من الدِّراسات، مع الحاجة القائمة إلىٰ ذٰلك.

٤- دافعًا لعموم المتخصصين -في كل الأقسام- لاقتحام هٰذا المجال والإسهام بالكتابة فيه؛ إذ الرغبة مُلِحّة عند كل عالم وباحث مسلِم متىٰ ما أتيحت الفرصةُ ويُسِّرت السبل ومهِّد الطريق.

وقد حرصنا على الزُّبَد وترك المُلَح، وتوخَّينا الاختصار على الإسهاب، مع استحضار دراساتٍ وبحوثٍ ذاتِ العلاقة، وتواصلٍ مع متخصِّصين في عموم مجالات المعرفة الإنسانيّة والإداريّة والتطبيقيّة والصحيّة، وعقدِ ورشٍ ومناقشات؛ لتقويم الدراسة وتجويدها وإكمالها، والله نسأل التوفيق والتسديد.

وقد بُنِيت الدراسة علىٰ مقدمة، وسبعة مباحث هي:

المبحث الأول: مفهوم الدِّراسات البَينيَّة.

المبحث الثاني: أهمّيّة الدِّراسات البَينيَّة القُرآنيَّة.

المبحث الثالث: حِقَب الدِّراسات البَينيَّة القُرآنيَّة.

المبحث الرابع: الوعيُ بطبيعة التخَصُّصات في الدِّراسات البَينيَّة.

المبحث الخامس: منافذ الدِّراسات البَينيَّة القُرآنيَّة.

المبحث السادس: منهجية البحث في الدِّراسات البَينيَّة القُرآنيَّة.

المبحث السابع: ضوابط ومقترحات حول الدِّراسات البَينيَّة القُرآنيَّة.

ثم الخاتمة، والملحقات.

وأخيرًا نشكر عمادةَ البحث العلميّ بالجامعة ممثَّلةً في وَكالة الكراسيّ البحثيّة، والشكر موصول لمؤسَّسة محمد بن عبد العزيز الحبيب وأولاده الخيريّة على شراكتهم في هٰذا المشروع ودعمِهم لهٰذا الكتاب، وآخِر دعوانا أنِ الحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله وسلَّم على نبينا محمد.

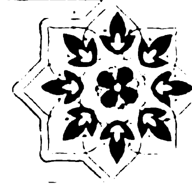
الباحثان:

د. عمر بن عبد العزيز الدهيشي
المشرف على كرسي القرآن الكريم وعلومه
omar4554@gmail.com

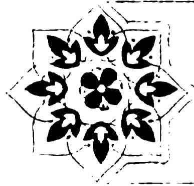
محمد بن حسين الأنصاري
alansary95@gmail.com

١/ ٢/ ١٤٤٥هـ - ١٧/ ٨/ ٢٠٢٣م





المبحث الأول
مفهوم الدِّراسات البَينيَّة



سنتَناول هٰذا المبحثَ وفق المطالب الثلاثة الآتية:

المطلب الأول: معنى «الدِّراسات» و«البَينيَّة» مُفردَينِ ومُضافَينِ:

* الدِّراسات:

مفردَة «الدِّراسات» ظاهرةٌ في المعنى، وهي جمع «دراسة» المشتقَّة من مادة «درس» التي تدلّ في أحدِ أشهر معانيها على الخفاء، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٥]، رُوي عن الحسن البصري أنه قال: «﴿دَرَسْتَ﴾: تقادمت، انمحت»[(١)]، وقال الفراء (ت: ٢٠٧هـ): «أي: هَٰذَا الَّذِي يتلوه علينا شيءٌ قد تطاول ومرّ بنا»[(٢)].

«فالدرس: الطريق الخفيّ.. ومن الباب: درست القرآن وغيره. وذٰلك أن الدارس يتتبَّع ما كان قرأ، كالسالك للطريق يتتَبَّعه»[(٣)]، ومن ذٰلك: «دَرَسْته الرياح درسًا: تكرَّرت عليه فعفّته»[(٤)]، أي: اختفى الأثر وانطمس بكثرة المرور. ومن ذٰلك قيل: «رجل مدرّس: مجرِّب. ودَرَس الكتاب للحفظ: كرر قراءته درسًا ودراسةً، ودرّس غيره، ودارَسته الكتاب مدارسةً، وتدارَسوه حتى حفِظوه»[(٥)]،

---

(١) تفسير عبد الرزاق الصنعاني (٢/ ٢١٦)، تفسير الطبري ط هجر (٩/ ٤٧٧). وانظر: معاني القراءات للأزهري (١/ ٣٧٧)، وتفسير الثعلبي (٤/ ١٧٧).

(٢) معاني القرآن للفراء (١/ ٣٤٩).

(٣) مقاييس اللغة (٢/ ٢٦٧-٢٦٨)، مادة (درس).

(٤) أساس البلاغة (١/ ٢٨٣)، مادة (درس).

(٥) أساس البلاغة (١/ ٢٨٤)، مادة (درس).

ومن هنا سُمِّي مكان التعليم مَدرَسة[١]، قال ابن الأثير: «وأصل الدراسة الرياضة والتعهُّد للشّيء»[٢].

وهٰذه المعاني اللغويّة جاءت في محكم التنزيل في عددٍ من الآيات، يترجح بعضُها على بعض بحسب السياقات والقراءات، قال تعالىٰ: ﴿أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ مِن قَبۡلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمۡ لَغَٰفِلِينَ﴾ [الأنعام: ١٥٦]، والمعنىٰ: يدور حول القراءة، وعدم العلم بالكتاب، أي: كنا غافلين عن تلاوة كتب أهل الكتاب[٣].

وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ﴾ [الأعراف: ١٦٩]، قال الطبري: «ويعني بقوله: ﴿وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ﴾: قرؤوا ما فيه، يقول: ورثوا الكتاب فعلموا ما فيه ودرسوه، فضيَّعوه وتركوا العمل به، وخالفوا عهد الله إليهم في ذٰلك». ثم أسند عن ابن زيد في قوله: ﴿وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ﴾، قال: «علموه، علموا ما في الكتاب الذي ذكر الله»، وقرأ: ﴿بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩][٤].

وبهٰذا فمعاني التكرار، والتعهّد للشيء، والتتبُّع، وسلوك الطريق، **كلها ذات معانٍ ضمنية تقترب من الاستخدام العرفيّ لمصطلح «الدِّراسات»** الذي يُطلَق في الجامعات والمراكز العِلميَّة على الأبحاث التخصُّصية لإثبات قضيَّة من القضايا أو نفيها أو وصفها في المعرفة بكافة أشكالها.

وثمَّة تقاربٌ في المفهوم الإجرائيّ بين مصطلحَيِ «البحث» و«الدراسة»،

---

(١) انظر: تهذيب اللغة (١٢/ ٢٥٠)، جمهرة اللغة (٢/ ٦٢٧)، مادة (درس).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ١١٣)، مادة (درس).

(٣) انظر: التَّفسِير البسيط للواحدي (٨/ ٥٤٥).

(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١٠/ ٥٤١).

يعسر التفريق بينهما في الاستخدام العامّ، وإن كان في اللغة ظاهرًا، وما ذكروه من الفروق ليس بتلك الدّقّة، فقد أطلق أربابُ المعاجم المعاصرة كلا المصطلحين علىٰ بعضهما، مع التنبيه إلىٰ أنّ مفردة «البحث» ترِد أحيانًا في دَرج الكلام المرسَل بين الناس، بخلاف «الدِّراسات» التي تُستخدم أكثرَ بين أروقة الجامعات، ومِن صور الاستعمال التالية للمفردتين يظهر المعنى العرفيّ بحسب القرائن الحاليّة والمقاليّة[1]:

* دراسة: بَحْث، تحقِيق. دراسة حالة: دراسة تفصيليَّة لفرد أو مجموعة كنموذج لظاهرة طبّيّة أو اجتماعيَّة أو نفسيَّة.

* دراسة ذاتيَّة: نمط أو شكل للدراسة حيث يكون الشَّخص مسئولًا إلىٰ حدٍّ كبير عن إرشاد ذاته. قيد الدِّراسة: ما زال محلّ مناقشة وتمحيص.

* دِراسة الجَدْوَىٰ: نمط من الدِّراسات المنظَّمة يهدف إلىٰ تقييم الموارد المتاحة.

* دِراسة ميدانيَّة: نموذج للبحث الاجتماعيّ يُطبّق عمليًّا في الواقع الميدانيّ لاكتشاف الحقائق المرتبطة بحالات عناصر العيِّنة الذين يتعامل معهم الأخصائيّ الاجتماعيّ.

* دِراسة تجريبيَّة: دِراسة للتأكُّد من صلاحية ظاهرة معيّنة، واكتشاف نقاط الضعف والثغرات فيها، وتعديلها إذا اقتضى الأمرُ ذٰلك.

* الدِّراسات الإنسانيَّة: دراسة الفلسفة والأدب والفنون المتعلِّقة بالإنسان وحضارته.

* الدِّراسات الاجتماعيَّة: مجموعة علوم تتضمّن علم الجغرافيا وعلم التَّاريخ وعلم السِّياسة وعلم الاجتماع.

---

(١) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، لجنة علمية (١/ ٧٣٨، ١٦١).

* بذْلُ الجُهْد في موضوع ما: قام الرئيسان ببحث النقاط المشتركة بين البلدين.

* على بساط البحث: معروض للمناقشة والتفكير، وجارٍ نقاشه.

* على طاولة البحث: قابل للنِّقاش.

* رسالة، دِراسة، مَقال يُعالِج موضوعًا علميًّا أو أدبيًّا أو نحوهما.

* بَحْثٌ سطحيّ: يكتفي بظاهر الأمر دون التعمُّق فيه.

* حَلَقة بحث: مجموعة صغيرة من الطَّلبة الخرِّيجين من جامعة أو مدرسة منخرطة في البحث العلميّ أو الدراسة المكثَّفة تحت إشراف أستاذ معيَّن.

* بحَث الأمرَ (بحَث في الأمر): تناوله بالدرس، سعى لمعرفة حقيقته.

* بحَث عن الأمر وغيره: سأل وفتّش عنه، طَلَبه واستقصاه.

وبهذا يتَّضح المعنى العامّ لكلٍّ من مفردة «الدِّراسات» و«البحث» في مختلف السياقات التي ترد فيها، وقد قصدنا التنويع وسرد التراكيب السابقة لأمرين اثنين:

الأمر الأول: للتنبيه على سَعة المجالات المعرفية التي يدخلها البحث العلمي، ويمكن دراستها بمختلف المناهج والطرق.

الأمر الثاني: تعدُّد الأوجه للدِّراسات البَينيَّة، فكل الحقول التي تم ذكرها ثَمَّةَ تقاطعات فيما بينها، مما يوضِّح أهميةَ التنوّع وثراء المعرفة الإنسانية.

*** البَينيَّة:**

جاء في بيان المعنى اللغوي: «بين بمعنى وسط، تقول: جلست بين القوم، كما تقول: وسط القوم»[1]، و«بَيْن موضوع للخلالة بين الشيئين ووسطهما. قال تعالى:

---

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٥/ ٢٠٨٤)، (بين)..

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ [الكهف: ٣٢]، يقال: بَانَ كذا أي: انفصل وظهر ما كان مستترا منه»[١]، وهي مفردة من الأضداد[٢]، فيها معنى المفارقة والاتصال، والتوسط نتيجة منهما، فالبين «في كلام العرب جاء على وجهين: يكون البين الفرقة، ويكون الوصل»[٣]، و«يقال: بان يبين بينًا وبينونة»[٤]، وهذا المعنى اللغوي ليس ببعيد عن الاستخدام المراد في هذا السياق البحثي، فالعلوم تفترق في حالة، وتتّصل في حالاتٍ، ولبُّ هذا المجال المعرفي هو الكشف عن مواطن الاتصال والانفصال بين التخَصُّصات، ومتى يحسُن ذلك أو يقبُح؟

وفي بيان شواهد طرق الاستخدام لهذه المفردة «بين» قال أبو الفتح المُطَرِّزِيّ (ت:٦١٠هـ): «وقوله: في «إصلاح ذات البين»[٥]، يعني الأحوال التي بينهم، وإصلاحها بالتعهُّد والتفقُّد، ولما كانت ملابسة للبين وُصِفت به، فقيل لها: ذوات البين... و«بين» من الظروف اللازمة للإضافة، ولا يضاف إلا إلى اثنين فصاعِدًا، وما قام مقامَه، كقوله تعالى: ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ [البقرة:٦٨]، وقد يُحذف المضاف إليه ويعوَّض عنه ما، أو ألف، فيقال: بينما نحن كذا، وبينا نحن كذا»[٦].

ومن أمثلة الاستعمال لهذه المفردة الذي يزيد في تقريب مفهومها قولهم: الفصل بين الأرضين، وهي التخوم[٧]، بمعنى الحدود الفاصلة بينها، ومن الشائع في استخدامها المعاصر التركيبان التاليان: «العلاقات البَينيَّة»، و«التِّجارة البَينيَّة»،

(١) المفردات في غريب القرآن، الراغب (ص: ١٥٦)، (بين)..

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٥/ ٢٠٨٢)، (بين).

(٣) لسان العرب (١٣/ ٦٢)، (بين).

(٤) مقاييس اللغة (١/ ٣٢٧)، (بين).

(٥) طرف من حديث، أخرجه أحمد في المسند ط الرسالة (٤٥/ ٥٠٠)، رقم: (٢٧٥٠٨)، وأبو داود في السنن ت الأرنؤوط (٧/ ٢٨٠)، رقم: (٤٩١٩).

(٦) المغرب في ترتيب المعرب برهان الدين الخوارزمي المُطَرِّزِيّ (ص: ٥٧).

(٧) تاج العروس (٣٤/ ٢٩٥)، (بين).

أي: تبادل الصَّادرات والواردات بين الدُّول[١]، ومن ذلك أيضًا شيوع الدِّراسات البَينيَّة في ميادين التعليم والبحث العلمي.

* **الدِّراسات البَينيَّة:**

من خلال معنى المفردتين السابقتين يتَّضح المراد بهذا التركيب الإضافي، فالدِّراسات نوع خاصّ من الكتابة المعرفية التي تتَّسم بالدّقّة المنهجية، وانضباط اللغة في أي تخصّص علمي، والبَينيَّة تفيد حسنَ التوظيف لمختلف قضايا التخَصُّصات الأخرى مع نقلها؛ لتعميق البحث بين الفكرة المطروحة وباقي العلوم المدوَّنة، **فالمعنى في الجملة واضحٌ، فهو يشير لنوع من الاشتراك بين المجالات، والاعتماد عليها في دراسة ظاهرة معيَّنة أو قضيّة علميّة محدَّدة، هذا المراد العرفي لتركيب «الدِّراسات البَينيَّة»**.

وفيما يلي جملةٌ من تعريفات الباحثين في شرح هذا المفهوم العلمي وتقريبه:

- يُراد بهذا الحقل المعرفي: «التفاعُل الحقيقيّ والتبادل الفعّال، وتأثير التخَصُّصات بعضِها في بعضٍ»[٢].

- تُعرف البَينيَّة باعتبارها: «عمليةٌ تقوم على الجمع بين كفاءات أو أفكار آتية من ميادين علميّة أو فكريّة مختلفة؛ لتحقيق هدف مشترك»[٣].

- «دراسات تعتمد على حقلين أو أكثر من حقول المعرفة الرائدة، أو العملية التي يتم بموجبها الإجابة على بعض الأسئلة أو حلّ بعض المشاكل أو معالجة موضوع

---

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ٢٧٦)، (بين).

(٢) انظر: دليل الدِّراسات البَينيَّة العربيّة - في اللغة والأدب والإنسانيات، نور الدين بنخود (ص: ١٢)، منشور على الشبكة في موقع جامعة الملك سعود بالرياض.

(٣) في البَينيَّة نشأتها ودلالاتها، كاظم جهاد، مجلة جامعة الملك سعود، المجلد: (٢٥)، الآداب (٢)، الرياض ٢٠١٣م.

معقَّد يصعب التعامل معه بشكل كافٍ عن طريق مدخل أو تخصّص واحد»[١].

– هٰذا النوع من الدِّراسات يُراد به: «عملية تفاعل وتبادل للمعارف بين تخَصُّصات مختلفة، وهو تبادل قد يفضي إلىٰ أن تتكامل التخَصُّصات المتداخلة، فتكون تخصُّصًا جديدًا، والبَينيَّة هي تضايُفٌ يحدُث بين مكوّنين أو أكثر، يكون كلّ مكوّن منها منتميًا إلىٰ علم من العلوم، أو تخصّص من التخَصُّصات»[٢].

– ويرىٰ بعضهم: أن «الدراسة البَينيَّة دراسةٌ مرجعها حقلان معرفيّان فأكثر، وهي دراسة تجيب عن أسئلة وعن مشاكل يعسُر علىٰ نظام معرفي واحد حلها»[٣].

– وقيل: «جهد معرفيّ يبذَل للربط بين المفاهيم والأدوات والنتائج التي يصِل إليها التحليل في مختلف التخَصُّصات»[٤].

– ومن ذٰلك أنها: «نوعٌ من التعاون بين التخَصُّصات المختلفة أمام المشكلات التي منها التعقيد، والتي تحلّ فقط بالتضافر والتوليف الحصيف بين وجهات نظر مختلفة»[٥].

وعليه فإضافة «القُرآنيَّة» في العنوان لـ«الدِّراسات البَينيَّة»؛ للتمييز وتحديد المجال الذي يُقصد بحثه مع أيّ تخصّص سواه، فالمراد تناول القضايا بشرطين، يتحقَّق فيهما التالي:

---

(١) انظر: واقع ثقافة الدِّراسات البَينيَّة لدىٰ أعضاء هيئة التدريس بجامعة أسوان وآليات تفعيلها، د. شيرين حسن محمد، مجلة جامعة الفيوم للعلوم التربوية والنفسية، المجلد: (١٤)، الإصدار: (٧) سبتمبر ٢٠٢٠م.

(٢) انظر: التفكير البينيّ، أسُسُه النظرية، وأثره في دراسة اللغة العربية وآدابها، الدكتور صالح بن رمضان (ص: ١٥-١٦).

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) انظر: الدِّراسات البَينيَّة: المفهوم والأصول المعرفية، د. محمد مكاكي، مجلة جسور المعرفة، العدد: (٥) ديسمبر ٢٠٢١م (ص: ٢٧٤)، وهٰذا التعريف أخذَت به منظَّمة اليونسكو.

* مجال الدِّراسات القُرآنيَّة عمومًا، أو أيّ قضية وموضوع ينتمي لأحد علومها: التَّفسِير، علوم القرآن، أصول التَّفسِير وقواعده، القراءات، التجويد، أسباب النزول ونحوها.

* التخَصُّصات الأخرىٰ مهما تكن: عقليّة، طبيعيّة، إنسانيّة، إداريّة، صحيّة، شرعيّة لغويّة، سواء علم محدد مع آخر كالتَّفسِير والفقه، أو مسألة مشتركة بين تخصُّصين.

والأصل في ذٰلك أن تكون المعالم واضحةً والمقاصد ظاهرةً في رسم البحث وفق هٰذه الرؤية التي تستبطن حقل الدِّراسات البَينيَّة في الصياغة والتقرير، عبر باحث واحد يتقيَّد بمنهجيات العلوم الأخرىٰ، أو باحثيْن أو أكثر من تخَصُّصات مختلفة، وهٰذا أصدق وأدلُّ وأثمر في تحقيق الحوار العلميّ البينيّ، وليت المراكز العِلميَّة والجامعات يدعمونه أكثر، بخاصّة في الدِّراسات العليا وأوراق البحث ومشاريع التأليف.

المطلب الثاني: المصطلحات المجاورة:

هناك عدَّة ألفاظ وتراكيب استخدمها عدَد من العلماء والباحثين المعاصرين للتعبير عن هٰذا النوع من الأبحاث، سنشير لبعضها فيما يلي:

*** المفردات التراثية:**

من خلال البحث والتتبّع لكتب التراث وقَفنا علىٰ عدَّة مفرداتٍ استخدمها العلماء للتعبير عن هٰذا النوع من الدِّراسات[1]، منها:

---

(١) انظر: سؤال التداخل المعرفي، محمد الأنصاري (ص: ٢١).

* أبو الحسين البصري رحمه الله (ت: ٤٣٦هـ)، قال: «**الخلْط**» في الحديث عن هٰذا النوع من المعرفة[١].

* واختار ابن حزم رحمه الله (ت: ٤٥٦هـ) عبارة لها دلالات عميقة في الموضوع، وهي: «**الاحتياج**»[٢].

* أبو حامد الغزالي رحمه الله (ت: ٥٠٥هـ) اختار مفردة «**التعاون**»[٣]، وكذٰلك «**المزج**»[٤].

* وأما الزنجاني رحمه الله (ت: ٦٥٦هـ) فقد اصطفى مفردة «**الارتباط**»[٥].

* واستعمل التفتازاني رحمه الله (ت: ٧٩١هـ) مصطلح «**التداخل**»، بقوله: «جعلوا تباين العلوم وتناسبها وتداخلها..»، وأشار له غيره[٦].

* ثم الزركشي رحمه الله (ت: ٧٩٤هـ)، الذي يقول: «وحسن **ازدواج** هٰذه العلوم **وامتزاجها**»[٧].

فكل هٰذه المفردات كانت في سياق الاتِّصال بين العلوم وعلاقاتها، وهي مما يثبت حضور هٰذا النوع مبكّرًا عند العلماء.

---

(١) انظر: المعتمد في أصول الفقه (١/ ٧).

(٢) انظر: رسائل ابن حزم - مراتب العلوم (٤/ ٩٠).

(٣) انظر: إحياء علوم الدين (١/ ٥١).

(٤) انظر: المستصفى (١/ ٤٢-٤٣).

(٥) انظر: تخريج الفروع على الأصول (ص: ٤٤-٤٥).

(٦) شرح المقاصد في علم الكلام (١/ ١٦٧-١٦٩)، وأشار له ابن العربي (ت: ٥٤٣هـ) قبله في قانون التأويل (ص: ٥١٦)، وبعدهما ذكره الإمام الحنفي كمال الدين ابن الهمام رحمه الله (ت: ٨٦١هـ)، وقد شرح المراد بنصه ابن أمير الحاج رحمه الله (ت: ٨٧٩هـ) بذات المعنى المستخدم حاليًّا. انظر: التحرير في أصول الفقه، لابن الهمام (ص: ١٥)، وشرحه التقرير والتحبير (١/ ٨٩)، وراجع: سؤال التداخل المعرفي، محمد الأنصاري (ص: ٢٢-٢٦).

(٧) سلاسل الذهب (ص: ٨٥).

*** التعبيرات المتأخِّرة:**

في البحوث الأكاديميّة في مختلف الجامعات وغيرها شاع هٰذا النوع منَ الدِّراسات، وقد عبّر عنه الباحثون بعدَد من الكلمات والجمل، من أمثلتها عند الباحثين:

* **الاشتراك**، وقد أشار له قديمًا أبو نصر الفارابي (ت: ٣٣٩هـ) بقوله في سياق الحديث عن المنطق: «وهو يشارك النحو بعض المشاركة بما يُعطي من قوانين الألفاظ»(١)، وأقدمُ مَن وقفنا عليه استخدَمه من المعاصرين الدكتور/ محمد العروسي عبد القادر، المدرِّس في المسجد الحرام، وذٰلك في كتابه: «المسائل المشتركة بين أصول الفقه وأصول الدين»، الطبعة الأولىٰ كانت في عام (١٤١٠هـ- ١٩٩٠م)، وقد أثَّر بكتابه في نشر هٰذا النوع من الدِّراسات بين الباحثين في المجالات الشرعية.

* **العلاقة**، وقد أشار لها ابن حزم (ت: ٤٥٦هـ) بقوله في سياق تعداده للعلوم: «والعلوم التي ذكرنا يتعلَّق بعضها ببعض، ولا يستغني منها علم عن غيره»(٢)، وأمثلته كثيرة عند المعاصرين، منها في مجال القرآن وعلومه: العلاقة بين علوم الحديث وأصول التَّفسِير، حامد الفريح، مجلة البحوث الإسلامية، العدد: (٢)، مصر، ١٤٣٦هـ.

* **الصلة**، ومن شواهده بحث: الصلة بين أصول الفقه وعلم الكلام في مسألتي التحسين والتقبيح وتعليل أفعال الله تعالىٰ، د. أحمد حلمي حرب، دار النور المبين، الأردن، ط١، ٢٠١٥م.

---

(١) إحصاء العلوم (ص: ٧٦)، تحقيق: عثمان أمين.

(٢) رسائل ابن حزم (٤/ ٨١).

* **التقارض**، وأحيانًا بصيغة: الاقتراض، ومن أمثلته بحث: التقارض المصطلحي في العلوم - المصطلح اللساني نموذجًا، عبد العزيز حميد، مجلة علامات في النقد الأدبي (المجلد: ٨، الجزء: ٣١)، من منشورات النادي الأدبي في جدة، ١٩٩٩م.

* **التكامل**، وهو كثير عند الباحثين، فمن ذٰلك: التكامل المعرفي بين العلوم، د. الحسان شهيد، روافد، الكويت، الإصدار: (٧٢)، ١٤٣٥هـ.

* ومن المصطلحات التي أطلقها عدد من الباحثين: **التعالق**، **التفاعل**، **التراكب**، **الانضمام**[١]، ومن الأمثلة بحث: التفاعل بين النحو وأصوله والفقه وأصوله، عبد الملك أنعم، مجلة الشريعة والقانون، العدد: (٤٦)، ٢٠١٠م، وبحث: التعالق بين المفردة القُرآنيَّة والمفاهيم الجيولوجيّة الحديثة - الصدع والوتد نموذجًا، إعداد: د. محمد العيد، وفتيحة مولاي، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد: (٨)، العدد: (١)، الجزائر، ٢٠١٩م.

والألفاظ التي يُمكن التعبير بها عن هٰذا النوع من الأبحاث تتطوَّر وتتنوَّع، والمهمّ من ذٰلك هو الدلالة على المراد، وقد شاعت بعضُ التراكيب في الترجمات، مثل: «الدِّراسات المتعدِّدة»، و«الدِّراسات العابرة»، وغيرها، وأحسب أنَّ الاستعمال الأخير أقربُ إلى المراد، بخلاف الأول الذي قد يدلّ على التعدّد دون معنى الصّلة، وإن كان استُخدِم أيضًا في ذات الغرض من الدِّراسات البَينيَّة[٢].

---

(١) انظر: تداخل المعارف ونهاية التخصص، د. محمد همام (ص: ٧٩).

(٢) انظر: معوقات تفعيل الدِّراسات البَينيَّة في العلوم الاجتماعية «دراسة ميدانية». محمد سيد بيومي، مجلة كلية الآداب والعلوم الاجتماعية: جامعة السلطان قابوس، المجلد (٧)، العدد (٣).

المطلب الثالث: مبادئ وأصول جامعة:

من خلال العَرض السابق ودلالات الألفاظ والجمل يحسُن التنبيهُ والإشارة لعدَّة قضايا ومعانٍ كلية؛ لينتظمَ بها عِقد هٰذا المحور، وذٰلك بالتأكيد علىٰ مبادئ ضابطة ومؤسِّسة لفهم وتصور طبيعة هٰذا المجال البحثي، فمن ذٰلك:

*** مَبدَأ الصِّلة:**

التخَصُّصات ليست كالجزُر النائية عن بعضِها لا يمكن الاتّصال بينها، بل المعرفة في الأصل مترابطة ومركّبة، وما تكاثرت العلوم إلا لسدِّ حاجة واقعيّة، أو مزيد تدقيقٍ في قضية علميّة من خلال نظم مسائل متعدّدة ومتلائمة يجمعها غرض واحد.

ومِن لطيف ما سبق عن مفردة «بين» دلالتها اللغوية على الوصل، فالصلة قاعدة هٰذا الباب وأساسُه، فـ«التعاريف جميعها لا تخرج عن اعتبار تداخل المعارف تبادلًا أو حوارًا بين المعارف والعلوم؛ إنْ علىٰ مستوى التحليل أو المنهج أو المفاهيم أو النظريات، بين علمين فأكثر، مما يحقّق الثراء والإبداع، عبر المقاربة الشموليّة والمتكاملة للظواهر المعرفيّة المتداخِلة العناصر والمكونات»[1].

*** مَبدَأ الاستِقلال:**

لبُّ الفكرة التي يقوم عليها هٰذا النوع من البحث البينيّ: هي التعامل الأمثَل مع تعدّد العلوم، وتنوّع سياقاتها، وخصوصيّة منهجها، فالدراسة تتأسَّس علىٰ خلفية الوعي بتمايز التخَصُّصات؛ لأنّ «البَينيَّة» كشفٌ للصّلة والتناسب بين عِلمين لكلّ منهما مقامُه ورجاله، فحين يقال بأن هٰذه المعارف علمٌ مستقلّ،

---

(١) تداخل المعارف ونهاية التخصّص، د. محمد همام (ص: ١٠٧).

وتلك ليست بعلم، فليس هٰذا من قبيل التحكّم والهوىٰ، بل وضَع العلماءُ لذٰلك معايير مُحْكَمة تتابعوا عليها وقرَّروها بالمقال أو الحال، وذٰلك مثل: الموضوع المحدَّد، والغرض من العلم ووظيفته، والمنهج، وغير ذٰلك[١].

ولكي نعرف العلاقة بين أمرين لا بدَّ من تحقُّق انفصالهما شكلًا ومضمونًا، ثم معرفة الكليّ الذي يجمعهما، ونمط العلاقة إن ثبتت تأثّرًا وتأثيرًا.

*** مَبدَأ التعاوُن:**

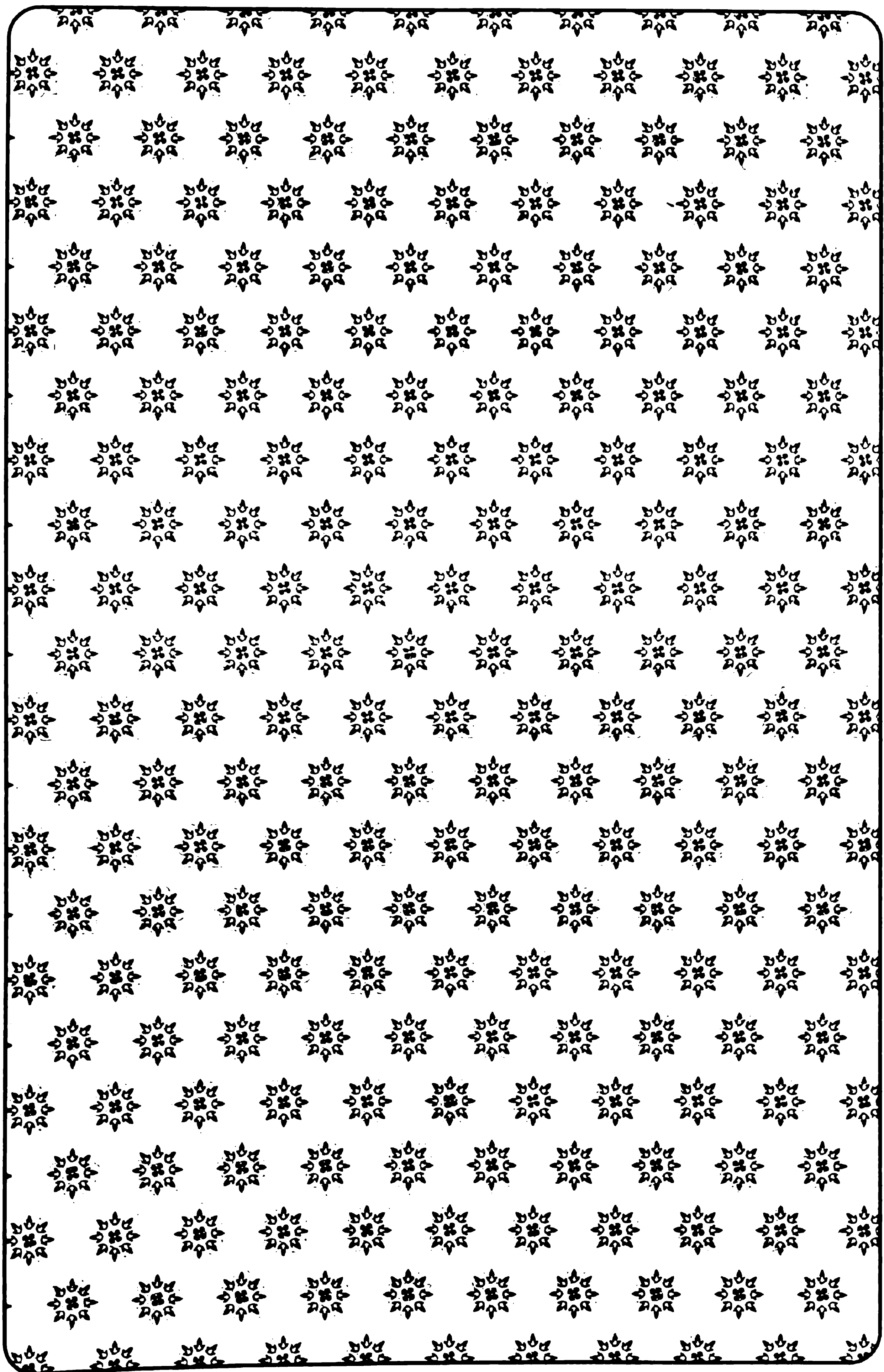
النمَط العامّ والعادة المطَّرِدة للعلوم والمعارف أنها تتناسَل فيما بينها، ويتأثَر المتأخِّر منها بالمتقدِّم، بل إنَّ الكاتب قد يجعل العلم الأوّل أمام ناظرَيه كأنموذج يهتدي به في البناء والتقرير، وهٰذا مِن أظهر صوَر التكامل بين العلوم وتداخلها الإيجابي، وهو من المبادئ العريقة في التراث الإسلاميّ، فالتكامل كمعنىٰ ومفهوم كان سائدًا من زمن مبكِّر، وكان طابعًا عامًّا تصطبغ به المؤلفاتُ الأولىٰ التي ظهرت في العلوم الإسلاميّة، وللإمام الغزالي رحمه الله (ت:٥٠٥هـ) عبارةٌ تُعدّ أصلًا في هٰذا الباب؛ إذ يقول: «فإنَّ **العلوم متعاوِنة**، وبعضها مرتبط ببعض»[٢]، وقبله ابن حزم رحمه الله (ت: ٤٥٦هـ) نصّ علىٰ أنَّ العلوم «**متعلِّق بعضها ببعض.. محتاجٌ بعضها إلىٰ بعض**»[٣].

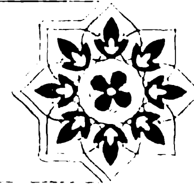


(١) انظر: شرح المقاصد في علم الكلام للتفتازاني (١/ ١٦٧-١٦٩)، البحر المحيط للزركشي (١/ ٣٢)، وفلسفة العلم، د. صلاح قنصوة (ص: ٤٢)، ومفهوم المنهج العلمي، د. يمنى الخولي (ص:١١و٦٥)، والمدخل إلىٰ دراسة علم الكلام، د. حسن الشافعي (ص: ٢٢، ١٢٣).

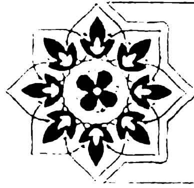
(٢) إحياء علوم الدين (١/ ٥١).

(٣) رسائل ابن حزم - مراتب العلوم (٤/ ٩٠).





المبحث الثاني
أهمّيَّة الدِّراسات البَينيَّة القُرآنيَّة



الدورُ الفاعل لهٰذا الحقل لا يخفَىٰ، فمكانته تظهَر يومًا بعد يوم؛ لأنَّ المبدأ العامّ الذي طوّر العلوم هو التراكم وبناء بعضِها علىٰ بعض، وذٰلك شكلٌ من أشكال الدِّراسات البَينيَّة، وفي مبحث الحِقَب التاريخية سيتأكّد أكثر مع النماذج الأثرُ العلمي لهٰذه القضية، وقبل ذٰلك سنذكر بعضَ الأفكار بإيجاز في بيان القيمة والجدوىٰ لحوار العلوم والعلماء:

أولًا: ربط الدِّراسات القُرآنيَّة بالمجتمع والحياة:

الدِّراسات البَينيَّة ضروريّة في معايشة التنزيل لهموم الناس وأفكارِهم، ومراعاة التغيرات الزمنية المتسارعة التي تعصف بهم، فالقُرآن الكَريم كتابُ منهج ونمَط قِيَميّ للعيش باعتبار المبادئ الكلّيّة التي يدعو إليها، وهي تصلح للتداول في كل مكان وزمان.

وبهٰذا فإنّ الوحيَ لا يُصادر متطلَّبات الناس في الحياة، ولا يعزل حاجتهم الدنيوية عن ممارساتهم الشعائريّة، ومن هنا فالقيام بمثل هٰذا النوع من الأبحاث التشاركية يربط المجتمع بمصدر إلهامه وسعادته، فـ«الدِّراسات البَينيَّة هي التي تفتح للباحثين سبلَ الربط بين الأدب والحياة في مظاهرها كافّة، وقد لحظنا أن حقول البحث العلميّ في اللغة العربيّة تنفصل كلَّ يوم أكثرَ فأكثرَ عن العالم الاجتماعيّ والنفسيّ والجماليّ والاقتصاديّ الذي يعيشه الإنسان العربيّ، وأنَّ مخيال البحث في التخَصُّصات الضيِّقة ينضب يومًا فيومًا، ويظهر عجزه عن استنباط الموضوعات المفيدة لإنسان هٰذا العصر الداعمة لإشعاع اللغة العربية»[1]،

---

(١) التفكير البينيّ (ص: ١٨-١٩).

وما يقال عن تخصُّص اللغة وغيرها يصدق علىٰ أيّ مجال آخر، إضافة إلىٰ أن القُرآن الكَريم له السيادة والأولوية لدى العامّة والخاصّة، بشرط أن يوضَع في موضعه اللائقِ به بعلمٍ وعدلٍ.

ثانيًا: التَّدقيق والإضافة للدِّراسات القُرآنيَّة (حقول جديدة):

سيأتي في الحِقب التاريخيّة مدىٰ قيمة مثل هٰذا الحقل البحثيّ، وإسهامه في ابتكار القضايا وتنقيح العلوم، فالمعارف الساكنة يمسُّها الجمود والعَجز ولو بعد حين، كقليل الماء الراكد المتغير الذي لا يرفع الحدث ولا يروي من الظمأ، كذٰلك التخَصُّصات المنعزلة عن الحياة، والقاصية عن غيرها، لا تتطوَّر مادتها من الداخل فضلًا عن تأثيرها في الخارج، ولعلّ مثل هٰذا التقوقع هو الذي أشهر المقولة البائسة في ميدان البحث العلمي: (ما ترك الأوَّل للآخر شيئًا)، أو القول المزعوم بأن هٰذا العلم أو ذاك نضَج واحترق!

ومن هنا فإنَّ مجال الدِّراسات البَينيَّة:

- يحفّز التفكير على الاجتهاد والتَّحرير والنَّقد، ثم النقل والتطبيق لمحاسن العلوم الأخرىٰ للحقل البحثيّ الذي تعمل عليه.

- متابعة التخَصُّصات التي تتقاطع مع الدِّراسات القُرآنيَّة، وهي كثيرة، مثل: اللسانيّات الحديثة، وما يتعلَّق بالصوتيّات ونحوها.

- الاستفادة من محاسن نظريات علم التأويل المعاصر (الهرمنيوطيقا) في التحليل والعرض، مع التنبه لخللها، ففي عدد من موادّها مقاربةٌ للتفسير وشرح النصوص الدينية؛ ولهٰذا يحسن بالباحث النظر في مخرجاتها وأدواتها التي أسهمت في نشرها وحضورها في المشهد العلميّ.

- طَرْق مناهج بحثيّة جديدة ومحايِدة يمكنها أن تفيد في تجديد الدِّراسات القُرآنيَّة، مثل: المنحى التأريخيّ، تحليل الخطابات والنصوص، المنهج المعرفي واللساني، أدوات الرصد الاجتماعية وغيرها، فمثل هٰذه الوسائل من الخطأ الحكم عليها بإطلاق، فهي بحسب الإتقان في تطبيقها، والمادة البحثية التي تعمل فيها، بالإضافة إلىٰ أنها تُعطي نتائج جديدة وآفاقًا أخرىٰ لم تكن مطروقة بآلات منهجية دونها.

- الاهتمام بعدد من المباحث التي ربما تمَّ تجاهلها في فترات من التاريخ، وهي قد تدخل ضمن علوم القرآن، مثل: علم الأخلاق ونظريات القِيَم، وعلم السنن الإلهية ونحوها.

- توظيف التقنية والشبكات الإلكترونية في خدمة الدِّراسات القُرآنيَّة.

والغرض هنا ليس الاستقصاء الشامل، ولٰكن للتمثيل والتأكيد علىٰ أن ما يشبه عملية التناصّ وتقاطع العلم مع غيره من أهم عوامل التفاعل والنمو للتخَصُّصات، وكلما زادت في مجال ما زاد تحريره والتأليف فيه، ولا يضعُف العلم إلا حين يشعُر أهله وحاملُوه بالاكتفاء، وامتلاء الذات، والثقَة السلبية التي تجلب الكسَل الذهنيّ، وضيق الأفُق في الخلاف، فالمعرفة لا يُشبَع منها، قال تعالىٰ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، والنظر في تجارب الأمم وعلومها فضيلة وحكمةٌ.

وفي هٰذا السياق يقول ابن حزم رحمه الله (ت: ٤٥٦هـ): «ومَن لم يسمع إلا من عالمٍ واحدٍ أوشَكَ أن لا يحصل علىٰ طائل، وكان كمن يشرب من بئر واحدة، ولعله اختار الملح المكدّر، وقد ترك العذب. ومع اعتراك الأقران ومعارضتهم يلوح الباطل من الحقّ ولا بد، فمن طلبه كما ذكرنا أوشكَ أن ينجح مطلبه وأن لا يخفق سعيه، وأن يحصل في المدة اليسيرة على الفائدة العظيمة.

ومن تعدَّىٰ هٰذه الطريق كثُر تعبه، وقلَّت منفعته. ومنِ اقتصر علىٰ علم واحد لم يطالع غيره أوشكَ أن يكون ضُحكةً، وكان ما خفي عليه من عِلمه الذي اقتصر عليه أكثرَ مما أدرك منه؛ لتعلُّق العلوم بعضها ببعض، وأنها درج بعضها إلىٰ بعض، ومن طلب الاحتواء علىٰ كل علم أوشكَ أن ينقطع وينحسر، ولا يحصل علىٰ شيءٍ.. وليأخذ من كلّ علم بنصيب»[1].

ثالثًا: تحقيق الامتثال لنداءِ التدبُّر القرآنيّ:

الله سبحانه وتعالىٰ أمر بتدبُّر كتابه العزيز، فقال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]، وأهم شرط لكمال التدبُّر هو العلم، وامتلاك أدوات الفهم كاللغة والسنة وغيرهما، والاستعانة بفهوم العلماء، فالباحث في هٰذا الحقل بحاجة لحدٍّ أدنىٰ من الفهم الذي يعينه علىٰ ربط الآيةِ بالفكرة التي يبحث فيها، ولا يخفىٰ أن التدبر مراتب، وله أغراض وسبل، ولٰكن السعي لتحقيقه ومحاولته تكليف ومطلَب.

والغرَض من ذٰلك هو صلة الناس بكتاب ربهم، مع ضرورة التقيّد بالوسائل العِلميَّة المعتبرة في ميادين البحث، ومن حقّق الحدَّ الأدنىٰ من الشرط العلمي فلا ملامة عليه في التدبّر والتعبير عن المعاني الكامنة في نفسه، ولا يدخل ذٰلك في النهي عن التَّفسِير بلا علم؛ إذ لم يكن ذٰلك بمحضِ الهوىٰ وعفوِ الخاطر، وما ورد عن السلف من النهي عنه، يُحمَل علىٰ كمال الورع مع قيام غيره بواجب البيان، فتلك «الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف محمولةٌ

---

(١) رسائل ابن حزم (٤/ ٧٧).

علىٰ تحرّجهم عن الكلام في التَّفسِير بما لا علم لهم به، فأما من تكلم بما يعلم من ذٰلك لغة وشرعًا فلا حرج عليه، ولهٰذا روي عن هٰؤلاء وغيرهم أقوالٌ في التَّفسِير، ولا منافاة؛ لأنهم تكلَّموا فيما علموه، وسكتوا عما جهلوه»[(١)].

والأمر كله يتعلَّق بمنهج الكلام والتفريق بين المقامات، فكتب العلوم والحكماء والملوك والأمراء يُتعامل معها بمزيدِ عناية وتفهّم أكثرَ من غيرها كلّ بحسبه، وكتاب ربنا سبحانه وتعالىٰ أولىٰ وأكرم من أن يُرتجل الرأي فيه دون علم، فـ«مِن حقِّ مَن تصدَّىٰ للتفسير أن يكون مستشعرًا لتقوى الله، مستعيذًا من شرور نفسه والإعجاب بها، فالإعجاب أسُّ كلِّ فساد، وأن يكون اتهامه لفهمه أكثرَ منِ اتهامه لفهم أسلافه الذين عاشروا الرسول وشاهدوا التنزيل»[(٢)].

رابعًا: ردم الفجوة مع التخَصُّصات الأخرىٰ والفنون المعاصرة:

في سدِّ هٰذه الثغرة اتصالُ ما انقطع، وإدراكُ علوم (عقلية وطبيعيَّة وإنسانيَّة) تمَّ هجرها بلا موجِب، بل الحكم عليها أحيانًا بالذّمِّ قبل تصوّرها! فهٰذا النوع من الدِّراسات يرفع الوعيَ، ويُخفِّف حدةَ النقد والهجر تجاه التخَصُّصات الأخرىٰ، وحين يمتلك الباحث المعرفة الكافية بمختلف العلوم ومصطلحاتها وطرق الاستفادة من مصادرها يستطيع في العادةِ تطويرَ العلمِ الذي تَخصَّص فيه، أو المسائل التي يسعىٰ لدراستها وتأصيلها، والقدرة على اكتشاف مواطن القصور والإبداع في مجاله أولًا بيقين، ثم المجالات الأخرىٰ بدرجة أقل؛ وبذٰلك يتسنىٰ له التقدير لإمكانية التقارض بين العلمين ومواطن التناسب بينهما.

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٣/ ٣٧٤). ومن تلك الآثار قول الإمام الشعبي: «أدركت أصحاب عبد الله وأصحاب عليّ، وليس هم لشيء من العلم أكره منهم لتفسير القرآن». مصنف ابن أبي شيبة (١٠/ ٥١٢).

(٢) جامع التفاسير المقدمة، والفاتحة، ومطالع البقرة (ص: ٩٣-٩٦) تحقيق الدكتور: أحمد حسن فرحات.

ومن هنا «مما يُنصَح به مَن يرغب بالتخصّص بالدِّراسات القُرآنيَّة أن يَستكمل تخصّصه -ولو بصفَة مستمِع- بدراسة تخصّصٍ آخر رديف من شأنِه أن يعزِّز ما سيعمل به، فمثلًا مَن يرغب التخصُّصَ في المخطوطات يمكن أن يرفد مهاراته بدوراتٍ عن المخطوطات وأصول التحقيق ومناهجه، ومن سيتخصَّص في الدراسة النصيّة يمكن أن يتعمَّق بالتخصّص في اللسانيات، ومن سيُعنى بتفاسير المتكلمين أو المتصوفة يمكن أن يُعنى بدراسة تاريخ الفلسفة والتصوّف، ومما يمكن أن يكون مهمًّا ولم يحظَ بالعناية رغم فائدته مقارنةُ القضايا القُرآنيَّة بنظائرها في كتب الأديان الأخرى الكتابية وغير الكتابية، لا من منظور القصص التي اشتُغل عليها كثيرًا، وإنما من زوايا أخرى تتعلَّق بما يطرحه القرآن من رؤى تتعلَّق بالله والإنسان والآخرة، فمِن شأن هذه المقارنة بين النصوص وبين تفسيرات أَتْباع كلّ دين لها أن تمكِّن من الكشف عن المساحة التي يشترك فيها أَتْباع الأديان الأخرى مع القرآن وتصوّرات المسلمين والمساحة التي هي محلّ خلافٍ، فتكون بذلك حوارًا بين الأديان علميًّا معمقًا ونقديًّا مثمرًا»[١]، وقد ذكر ابن عاشور (ت:١٣٩٣هـ) أنَّ من جملة أسباب الضعف في العلم والبحث عدمَ الحثِّ على مثل هذه العلوم كالتاريخ الإسلاميّ، وحضارة الأمم، وتراجم الرجال، والتاريخ المعاصر وغيرها؛ ولذلك يخرج التلامذة والباحثون في الغالب -كما يقول:- ضعافَ البصائر، ضيِّقي الأفكار[٢].

وسيأتي مزيدُ التأكيد لأهمية التخَصُّصات الدنيوية عموما (إنسانية، عقلية، طبيعية، صحية، إدارية..) في مبحث الحقب التاريخية.

---

(١) الدِّراسات القُرآنيَّة المعاصرة في العالم العربي والدِّراسات الغربية، حوار مع د. عبد الرحمن حللي، إعداد: فريق موقع تفسير، الرابط: https://cutt.us/dnqWY

(٢) أليس الصبح بقريب؟! (ص: ٢٢٠).

خامسًا: نسبيّة التفاضل والتراتب بين العلوم:

العلوم لا تتفاضل بإطلاقٍ إلا باعتبار محدَّد، وهذا مما يُسهم الحقلُ البينيّ في تقريره، فالمرء لا يحتقر علمًا ما ولا يستخفّ به وبأهله إلا كان ذلك نقصًا فيه، وهو ليس من النقد العلمي في شيء، فالتخطئة لقضايا محدَّدة أو طريقة التعامل مع تخصّص ما، كل ذلك يسوغ بأدلة ومنهجية معتبرة، بشرط أن يكون مباينًا للنقد الجملي الانطباعي الذي لا يثبت ولا ينفع أمام أي نسق علميّ متكامل أسهم في بنائه أجيالٌ من العلماء والعباقرة.

وكثير من تصنيفات العلماء للعلوم تتَّسق علميًّا بمبدأ التقسيم باعتبار محدَّد، مع مراعاة سياقهم الاجتماعي وشخصية العالم، فمثلًا يقول الإمام أبو إسحاق الحربي البغدادي رحمه الله (ت:٢٥٨هـ): «العلوم ثلاثة: علم دنياويّ وأخراويّ، وعلم دنياويّ، وعلم لا للدنيا ولا للآخرة، فالعلم الذي للدنيا والآخرة علم القرآن والسنن والفقه فيهما، والعلم الذي للدنيا علم الطب والتنجيم، والعلم الذي لا للدنيا ولا للآخرة علم الشعر والشغل به»[1]، إنْ أراد الأولى أو الأغلب فقد يسوغ، وإلا فإنّ التقسيم في أصله مُشْكِل من جهةِ إطلاق الحكم؛ لأن كلَّ العلوم التي ذكرها يصدق عليها أن تكون للنفع الدنيويّ المحض بما فيها القُرآن الكَريم، فمن جعله لمنافع الدنيا أفاده، كبعض نصارى العرب، فهو هدىً للدِّين والدنيا، كما يصدق عليها أن تكون للآخرة بالقصد وحُسن العمل بها في الدنيا، ثم قارن قوله عن علم الشعر بحال حبر الأمة ابن عباس رضي الله عنهما (ت:٦٨هـ) الذي كان يشيد بعلم الشعر، ويخصِّص له وقتًا في حياته العِلميَّة، قال: «إذا خفِي عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشعر، فإنه ديوان العرب»[2]،

---

(١) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر (٢/ ٧٩٢).

(٢) المستدرك للحاكم - دار المعرفة (٢/ ٤٩٩). وانظر: الدر المنثور ط دار هجر (١٤/ ٦٤٢).

ورُوي عنه أيضًا: «الشعر ديوان العرب، هو أوَّل علم العرب، عليكم بشعر الجاهلية، وشعر الحجاز»[١]، وحكىٰ عنه عبيد الله بن عبد الله بن عتبة رحمه الله (ت:٩٨هـ) أنه: «كان يجلس يومًا ما يذكر فيه إلا الفقه، ويومًا التأويل، ويومًا للمغازي، ويومًا الشعر، ويومًا أيام العرب، وما رأيت عالمًا قط جلس إليه إلا خضَع له، وما رأيتُ سائلًا قط سأله إلا وجد عنده علمًا»[٢].

فالقول بأن هٰذا العلم أو ذاك عارٍ بالكلية عن الحقّ في الدنيا أو حتىٰ في الآخرة فيه جرأة في الحكم، مع ما فيه من المقال، ومن هنا لا تستقيم مثل هٰذه الأحكام للعلماء، إلا في حالات ضيِّقة باعتبار سياقها، وجَعْلها قانونًا وإدانة عامة لبعض العلوم طوال التاريخ الإسلامي من الحرج الشديد على الناس، إضافة إلىٰ أنّ القاعدة في مجمل المعارف والعلوم أنها من قبيل الوسائل والمباحات التي لا يأخذ حكمُها سمةَ الثبات والشمول، لا في وقتها فضلا عن ما يُستقبل من الزمان.

وبناء علىٰ كلّ ذٰلك «نوصي طالب العلم بأن لا يذمَّ ما جهل منها، فهو دليل علىٰ نقصه وقوله بغير معرفة، وأن لا يُعجَب بما علم فتطمس فضيلته، ويستحقّ المقت من الواهب له ما وهَب، وأن لا يحسد من فوقه حسدًا يؤدِّيه إلىٰ تنقيصه، فهٰذه رذيلتان»[٣].

فالعلوم تتفاضل، ويتقدَّم بعضها علىٰ بعض بحسب الزمان والمكان والحال، وفي مقامات أخرىٰ: باعتبار المصدَر، بل إنَّ ما يسميه العلماء بـ«العلم الواجب» هو مراعاة للتكاليف المفروضة علىٰ كلّ مسلم، وتفاصيل هٰذا العلم الفرض:

---

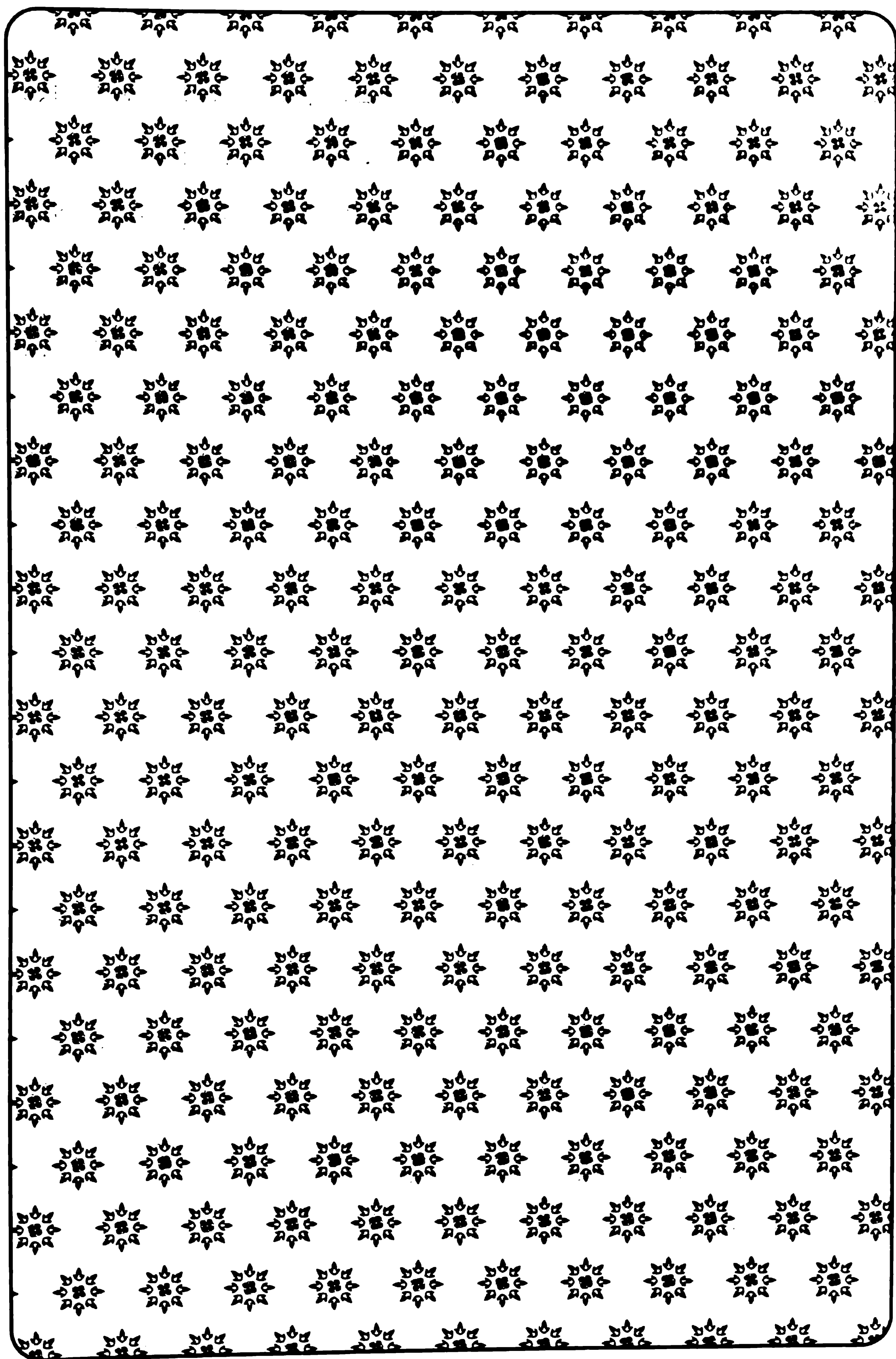
(١) تهذيب الآثار، مسند عمر (٢/ ٦٣٧).

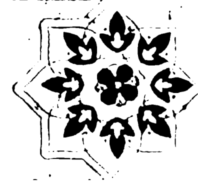
(٢) الطبقات الكبرىٰ، طبعة دار صادر (٢/ ٣٦٨).

(٣) رسائل ابن حزم (٤/ ٨١).

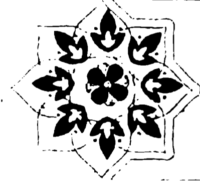
تتفاضل، منها ما يتقدم على غيرها عند الاحتياج إليها، فالتاجر الذي يمارس البيعَ والشراء في ليله ونهاره، علمُه بذلك أولى من عِلمه بأحكام الحجّ التي قد لا يقوم بها إلا في زمن متأخّر، وعلوم السياسة واكتساب القوة تتقدّم أيضًا في حالات، والواجبات الكفائية قد تتحوَّل إلى عينية، وهكذا يكون التكامل بين العلوم والصِّلة بينها بموضوعية وإتقان، فلا يبغي أحدها على آخر، ولعلّ ذات العلماء الذين وقفوا مواقفَ سلبية مع بعض العلوم والمعارف لو أدركتهم بعض الأزمنة المتأخِّرة لتراجعوا عن قولهم، وهذا شأن مجمل القضايا الذَّرائعية والمصلحيّة؛ ثباتُ القول فيها ليس من العِلم في شيء.







المبحث الثالث
حِقب الدِّراسات البَينيَّة القُرآنيَّة



العلومُ لا تنشأ في أيّ أمةٍ من الأمم صدفةً، ولا تظهر وتنتشر دون عوامل في المجتمع مادية ومعنوية تمنح العقول حافزًا للإبداع والعمل، وإذا تأملتَ في حال الأمم التي اشتهرت بالمعارف تجد أنّ لديها كتبًا (إلهية أو وضعية) تُمثّل عندها الأصلَ في البناء المعرفي (كما هو الحال عند أهل الكتاب)، والأمر الذي لا مريةَ فيه لكل مدرك لتاريخ العرب وغيرهم من المسلمين أنّ القُرآن الكَريم كان مصدرَ الإلهام والنور المبين الذي مدَّهم بالمضامين والمعاني والأفكار التي جعلتهم في موقع التأثير والإبهار عند الأمم في فترة وجيزة.

وفي هذا المبحث سنكشف عن الدور الأبرز للقرآن الكريم، وذلك بناء على التطور التقريبيّ للدراسات البَينيَّة القُرآنيَّة عبر التحوّلات المعرفية الكبرى التي مرّت بها الحضارة الإسلامية، وقد تمّ إجراء التحقيب لمناسبته لمجال الدِّراسات القُرآنيَّة، ولغرض التأمّل وفتح الآفاق للنظر في أثر هذا الحقل البيني عليها، وفي استشراف المستقبل لما يمكن إضافته مما يحتاجه العلم والمجتمع.

ومن خلال هذا العرض سيتمّ التنبيه على قواعد وأسُس علمية في فهم طبيعة التخَصُّصات المرتبطة بالنص القرآني ومراعاتها، وهذه الحِقب ستكون على النحو التالي:

الحقبة الأولى: التدوين وتطوّر العلوم الشرعية واللغوية.

الحقبة الثانية: الترجمة والعلوم الوافدة.

الحقبة الثالثة: النزعة التجريبية والمادية.

ففي كلّ حقبة نتناول محورَ التأليف فيها، ثم العلاقة المتبادَلة بين التخَصُّصات سواءً دور محكَم التنزيل في إبداع العلوم وإثرائها، أو محاولات التقريب بين علوم الوحي والمعارف الأخرىٰ (عقليّة أو طبيعيّة أو إنسانيّة أو إدارية)، ونختم بنتائج الحقبة وآثارها في مجال بحث الدِّراسات القُرآنيَّة.



الحقبة الأولى: التدوين وتطوّر العلوم الشرعية واللغوية:

ظاهرةُ التدوين تُعدّ القضيةَ الجوهرية التي كان لها الأثر البالغ في تراكم المعرفة، وابتكار العلوم وشيوعها في الحضارة الإسلامية، وابتدأت مبكِّرًا بصحف وكتابات مفرَّقة، ولكن برزت أكثر في أواخر القرن الثاني، ثم تعاظمت قوتها في القرنين الثالث والرابع الهجريَّين (كما سيأتي)، وتتابع نشاطها بنسب متفاوتة في القرون اللاحقة.

والغرض هنا التنبيه على أن التدوين هو العامل الحديث الذي دخل بعمقٍ في الثقافة العربية، وكان من الفوارق الظاهرة لديهم بين العصر الجاهلي والإسلامي؛ وما ذلك إلا لأن الوحي «كتاب»، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدًى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [آل عمران: ٣]، فالكتابة «أصلها النظم بالخط»[١]، فكأنَّ ذلك إشارةٌ ضمنية للحثّ على الكتابة وحِفظ العلم، وقد أمر عليه الصلاة والسلام بكتابته، واتَّخذ كُتّابًا للوحي (كما هو معلوم)؛ مما يُرسِّخ فكرة التدوين، ثم التصنيف: السبر والتقسيم للمادة.

وقد أسهم القُرآن الكَريم بشكل ظاهر وجليٍّ في التأسيس والنهضة لمجمل المعارف، ولا سيما الشرعية واللغوية، بذكر بعض الكليات مرة، وبالحث مرات على العلوم الدنيوية (الطبيعيّة، العقليّة، الإنسانيّة، الصحيّة) كما سيتضح في النقاط التالية:

النقطة الأولى: صلة الدِّراسات القُرآنيَّة بالتدوين والتطور العلمي:

محكم التنزيل يُمثِّل في هذا السياق الأصلَ الحاكم، والباعثَ النفسيَّ لحركة العقل نحو الإبداع في العلوم، وفي النقل التالي يشرح ابن خلدون رحمه الله (ت: ٨٠٨هـ)

---

(١) انظر لأوجه تسمية القرآن بالكتاب: أسماء القرآن وأوصافه في القُرآن الكَريم (ص: ٥٣).

كيف تناسلت التخَصُّصات من الوحي، فهي منه وإليه، يقول: «وأصلُ هٰذه العلوم النقلية كلِّها هي الشرعيات من الكتاب والسنة التي هي مشروعة لنا من الله ورسوله، وما يتعلَّق بذٰلك من العلوم التي تهيئها للإفادة، ثم يستتبع ذٰلك علم اللسان العربي الذي هو لسان الملَّة وبه نزل القرآن، وأصناف هٰذه العلوم النقلية كثيرة؛ لأن المكلَّف يجب عليه أن يعرف أحكام الله تعالى المفروضةَ عليه، وعلىٰ أبناء جنسِه، وهي مأخوذة من الكتاب والسنة بالنصّ، أو بالإجماع أو بالإلحاق، **فلا بد من النظر في الكتاب ببيان ألفاظه أولًا**، وهٰذا: هو **علم التَّفسِير**، ثم بإسناد نقله وروايته إلى النبي ﷺ الذي جاء به من عند الله، واختلاف روايات القراء في قراءته، وهٰذا: هو **علم القراءات**، ثم بإسناد السنة إلىٰ صاحبها، والكلام في الرواة الناقلين لها، ومعرفة أحوالهم وعدالتهم؛ ليقع الوثوق بأخبارهم بعلم ما يجب العمل بمقتضاه من ذٰلك، وهٰذه: هي **علوم الحديث**، ثم لا بد في استنباط هٰذه الأحكام من أصولها مِن وجه قانوني يفيد العلم بكيفية هٰذا الاستنباط، وهٰذا: هو **أصول الفقه**.

وبعد هٰذا تحصل الثمرة بمعرفة أحكام الله تعالىٰ في أفعال المكلفين، وهٰذا: هو **الفقه**، ثم إنَّ التكاليف منها بدني ومنها قلبي، وهو المختص بالإيمان وما يجب أن يُعتقد مما لا يُعتقد، وهٰذه: هي **العقائد** الإيمانية في الذات والصفات وأمور الحشر والنعيم والعذاب والقدر، والحجاج عن هٰذه بالأدلة العقلية: هو **علم الكلام**، ثم النظر في القرآن والحديث لا بد أن تتقدمه **العلوم اللسانية؛ لأنه** متوقف عليها، وهي أصناف، فمنها: علم **اللغة**، وعلم **النحو**، وعلم **الأدب**»[(١)].

فالنص القرآنيّ لا جدل في أنه أسهم في التدوين والتصنيف للعلوم، وهٰذا أمر ظاهرٌ، فمضامين الوحي كالبحر المحيط الذي «ينطوي علىٰ أصناف الجواهر

---

(١) مقدمة ابن خلدون (٣/ ١٠٢٦-١٠٢٧).

والنفائس»[١]؛ ولهٰذا كان التَّفسِير «هو العلم الذي جعل للشرع قِوامًا، واستعمل سائر المعارف خدّامًا، منه تُؤخذ مبادئها، وبه تُعتبر نواشئها، فما وافقه منها نصَع، وما خالفه رُفِض ودفع، فهو عنصرها النمير، وسراجها الوهاج وقمرها المنير»[٢].

إن الوحي الإلهي (القرآن والسنة) كان العامل الأوحد خلف الصناعة العِلميَّة عمومًا عند المسلمين، وبخاصة في الدِّراسات القُرآنيَّة، فمع تقادُم الزمن وحركة التأليف أصبح للعلوم شكلٌ ظاهرٌ بتمايز الموضوعات ونَظم المسائل؛ وذٰلك مما يفارق به بين أنواع التخَصُّصات، ويجعل لها صورة وأنموذجًا يشترك الجميع في صناعته، وتلكم العلوم متَّحدة المصدر، لٰكنها تفترق لتقوىٰ، وتلتئم مجدَّدًا وتتكامل؛ فالتكامل في أصل بنيتها ومسار تطوُّرها.

*** العلوم الشرعية واللغوية متآخية في أسلوبها ومصدرها العلمي:**

مِن أقرب الصلات التي تقع ما يكون بين العلوم الشرعية واللغوية؛ بسبب رابط اللغة والوحي، ولهٰذا فإنَّ علاقة الدِّراسات القُرآنيَّة مع غيرها في هٰذا المقام تتَّسم بشيء من السهولة من جهة أن المعارفَ لم تتَّسع بعد في القرون الهجرية المتقدمة، فعامل الزمن وقرب التخصص لهما دور في فهم طبيعة العلاقة، وكذٰلك نوع العلم وكونه متَّسعًا وشاملًا كالتَّفسِير منذ نشأ.

وعلم التَّفسِير من العلوم الشرعيّة التي بدأت كتابته مبكِّرًا؛ نظرًا لتعلّقه بالقُرآن الكَريم المرجع الأساس لدى المسلمين مع سنة المختار -بأبي هو وأمي عليه الصلاة والسلام-، ولا ريبَ أنَّ الاشتغال بالتَّفسِير أسهم في تسارع وتيرةِ التدوين في بقية العلوم، قال ابن أبي مُلَيكَةَ (ت:١١٧هـ): «رأيت مجاهدًا (ت:١٠٤هـ)

---

(١) جواهر القرآن، الإمام الغزالي (ص: ٤١).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي (١/ ٧-٨).

يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن، ومعه ألواحُه، فيقول له ابن عباس: اكتب»، قال: «حتىٰ سأله عن التَّفسِير كله»[١]. وتَعزَّز هٰذا الأمر بطلب من الخليفة الأمويّ عبد الملك بن مروان (ت: ٨٦هـ)، وذٰلك حين أوكل المهمَّة للتابعي الجليل سعيد بن جبير (ت:٩٥هـ)[٢] رحم الله الجميع، وهٰذا الاهتمام بالتقييد والكتابة عند ابن عباس ﷺ (ت:٦٨هـ) كان له الدورُ الفاعل في ظهور التصنيف العلميّ المقنّن لعلم التَّفسِير، فكان شيخ الحرم المكي ابن جريج رحمه الله (ت:١٥٠هـ) -كما يقال- أوّل مَن دوَّن العلمَ بمكة شرفها الله[٣].

ولا شكَّ أنَّ الطابَع العامّ الذي سيغلب علىٰ تدوينهم سيكون نقليًّا ومقتصرًا علىٰ المعنى القريب، سواء عبر الرواية وحكاية الأقوال، أو صياغة منهم رحمهم الله وفقَ فهومهم، وبذٰلك سيكون العلم الذي يتجلّىٰ مع التَّفسِير ويمتزج به في هٰذه الفترة هو علم الرواية والإسناد، وقد برز وتقنّن في زمن متقدِّم لحماية النصوص النبوية من الكذب، وقد شاع حتىٰ أصبح سمة لكافّة المنقولات من الصحابة والتابعين وغيرهم، قال محمد بن سيرين (ت: ١١٠هـ): «إنَّ هٰذا العِلمَ دِينٌ، فانظُروا عمَّن تأخُذون دينَكم»[٤]، وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله (ت:١٨١هـ): «الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال مَن شاء ما شاء»[٥].

ومِن المدوَّنات التَّفسِيرية التي ظهرت مبكِّرًا في تلك الحقبة، وهي تتضمَّن بعض الصناعة العِلميَّة وكانت تحوُّلًا في نمط التدوين: تفسير مقاتل بن سليمان

---

(١) تفسير الطبري، طبعة شاكر (١/ ٩٠).

(٢) انظر: تفسير التابعين، الدكتور محمد الخضيري (١/ ٤١٥).

(٣) انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٥/ ٣٥٧)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٦/ ٣٢٦).

(٤) أخرجه مسلم في مقدمة الصحيح (١/ ١٦).

(٥) أخرجه مسلم في مقدمة الصحيح (١/ ١٥).

الأزدي البلخي رحمه الله (ت:١٥٠هـ)، وهو أوّل تفسير كامل للقرآن الكريم يصل إلينا. ومؤلِّفه من علماء أتباع التابعين في التَّفسِير، وقد كان يصوغ المعنىٰ القرآني بتعبيره الخاصِّ استنادًا لما لديه من أدوات لغويّة وشرعيّة، فيمزج بين الآية وكلامه بأسلوبه السهل، ومن هنا كان الثناء الكبير علىٰ تفسيره، فقد قيل في زمنه: «ما بقي أحد أعلم بكتاب الله منه»[1]، وقال عنه الإمام الشافعي (ت:٢٠٤هـ): «من أراد أن يتبحَّر في تفسير القرآن فهو عيال علىٰ مقاتل بن سليمان»[2]، وقال أبو بكر الأثرم رحمه الله (ت: ٢٦١هـ تقريبًا): سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله (ت:٢٤١هـ) يُسأل عن مقاتل بن سليمان، فقال: «كانت له كتبٌ ينظر فيها، إلا أني أرىٰ أنه كان له علم بالقرآن»[3].

وشاع التصنيف في العلوم مع تطوّر التمايز بينها، وبذٰلك أصبحت الدِّراسات البَينيَّة مسلكًا في التأليف، فالعلاقة بين عِلمين لا معنىٰ لها دون أن يتَّضح نسَق كلٍّ منهما وقضاياه، قال الذهبي (ت: ٧٤٨هـ): «وفي هٰذا العصر (سنة ثلاث وأربعين ومائة) شَرَع علماء الإسلام في تدوين الحديثِ والفقه والتَّفسِير، فصنف ابنُ جريج التصانيف بمكة، وصنف سعيد بن أبي عروبة وحماد بن سلمة وغيرُهما بالبصرة، وصنف الأوزاعي بالشام، وصنَّف مالك «الموطأ» بالمدينة، وصنف ابن إسحاق «المغازي»، وصنف معمر باليمن، وصنف أبو حنيفة وغيره «الفقه والرأي» بالكوفة، وصنف سفيان الثوري كتاب «الجامع»، ثم بعد يسيرٍ صنَّف هشيم كتُبَه، وصنف الليث بمصر، وابن لهيعة، ثم ابن المبارك، وأبو يوسف،

(١) انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٢٨/ ٤٣٨).
(٢) مناقب الشافعي للبيهقي (١/ ٥٢٣).
(٣) تاريخ بغداد ت بشار (١٥/ ٢٠٧).

وابن وهب، وكثر تدوين العِلم وتبويبُه، ودُوِّنت كتب العربية واللغة، والتاريخ وأيام الناس. وقبل هذا العصر كان سائر الأئمّة يتكلّمون على حفظهم، أو يروُون العلم من صُحف صحيحة غير مرتبة»(١).

ومِن العلوم المهمّة التي ظهر فيها التدوين المتكامِل مبكِّرًا علمُ النحو، وقد حوى عدة قضايا ومعارفَ استقلَّت لاحقًا في علوم لها تماسٌّ مع النصّ القرآنيّ، فقد وصل إلينا كتاب بعنوان: «الكتاب» لسيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر رحمه الله (ت: ١٨٠هـ)، وتضمَّن كثيرًا من فروع العربية من صرفٍ وبلاغةٍ وأدبٍ ولغةٍ وأصواتٍ وغيرها، فقد «كان النحو يشمل في بطانته علوم اللغة العربية بفروعها المختلفة من أصوات وصرف وبلاغة وبيان وفقه لغة وغير ذلك»(٢)، قال ابن عاشور رحمه الله (ت: ١٣٩٣هـ) عن علم البلاغة: «كان مندرجًا في جملة علم الأدب، ويقول بعض الناس: إنَّ الجاحظ أوّل مَن ألَّف فيه، لكنّي أرى ما ألَّفه الجاحظ كان غيرَ مصنّف، وإنما كانت مسائلُ البلاغة شعبةً من شعَب النحو والأدب، وفي كتاب سيبويه من ذلك كثير»(٣).

ومِن علوم الدِّراسات القُرآنيَّة التي كانت ظاهرةً في كتاب سيبويه ما يُعرف عند العلماء باسم «علم التجويد»، فـ«علماء النحو واللغة كانوا أصحابَ التحرير الأول لمسائل مخارج الحروف وصفاتها، فلما أفرد علماء القراءات علمَ التجويد لبيان صفةِ قراءة كلّ قارئ على حِدة، جعلوا علم مخارج الحروف وصفاتها من أول العلوم التي يحتاجها دارس التجويد، ولما كتبوا مسائلها نقلوها عن أول من حرَّرها، وهم علماء النحو واللغة، ولا يختلف اثنان في أن علم النحو واللغة

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار (٣/ ٧٧٦).

(٢) القضايا المشتركة بين النحاة والأصوليين، ثروت رحيم (ص: ٣١).

(٣) أليس الصبح بقريب؟! (ص: ٣٠).

سابقان لعلم القراءة والتجويد من حيث التأليف»[١]، وهكذا بفضل الوحي منبع العلوم تطوَّرَ النظر والتحقيقُ في التخَصُّصات سواء الدينية أو الدنيوية.

النقطة الثانية: استنهاض القرآن العقلَ لخدمة العلم الدنيوي:

المجتمع العربيّ قبل الإسلام كان متفاوتًا، فمنهم أهل المدر: وهم «أهل الحضر وسكان القرى»، ومنهم أهل الوبر: وهم «قُطَّان الصحاري وعُمّار الفلوات»[٢]، ومعارفُهم كانت محدودةً، والعلوم التي أبدعوها أو شاركوا فيها لا تخرج عن طبيعة حياتهم المدنيّة وحاجتِهم المجتمعية في العيش والتنقل ونحوها، وكانت معيشتهم تتَّسم عمومًا بالبساطة واليسر.

ومن مظاهر جهلهم وقلَّة العلم فيهم: أُمِّيَّتهم وعدمُ إجادتهم للقراءة والكتابة؛ وبذلك اكتسب أهل الكتاب مكانةً خاصة لدى بعضهم في الجزيرة العربية؛ بسبب علومهم، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان هذا الحيُّ من الأنصار وهم أهل وثَن مع هذا الحي من يهود وهم أهل كتاب، وكانوا يرون لهم فضلًا عليهم في العلم، فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم»[٣]، فأهل الكتاب «أوتوا علمًا»[٤] كما قال عليه الصلاة والسلام؛ لذلك كانوا يستطيلون على العرَب.

وهذه الأمِّيَّة والجهل سجّلها الله سبحانه وتعالى في محكم التنزيل، فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]، وبسبب هذا الجهل والضلالِ كان يبرز لديهم الماهر بالقراءة، ومَن يُعرف عنه الأخذ مِن أهل الكتاب،

---

(١) أنواع التصنيف المتعلِّقة بتفسير القُرآن الكَريم، د. مساعد الطيار (ص: ٢١).

(٢) طبقات الأمم، ابن صاعد الأندلسي (ص: ٥٧).

(٣) أخرجه أبو داود في السنن (٣/ ٥٥)، والحاكم في المستدرك (٢/ ١٩٥).

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٤/ ١٥١)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٣٥٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم: (٢٨٠٠).

والنظرُ في أخبارهم وعلومهم، أو السَّفرُ إلى المدن التي يكثرون فيها وملاقاتهم، وهذا شاع عن عدد من شعراء العرب، مثل:

- الأعشى الذي كان كثيرَ السفر للعراق وبلاد الشام وغيرهما[١].

- وعدي بن زيد وهو نصراني قد قرأ الكتب المتقدِّمة[٢].

- وأمية بن أبي الصَّلت وغيرهم من العرب.

- وابن أبي الصّلت من أشهر هؤلاء الذين كان لديهم العلم بـ«الكتب المتقدمّة من كتب الله جلّ وعزّ»[٣].

إنَّ مما يعنيه هذا بجلاء النقصَ المعرفيَّ عند العرب، فالكتابة عندهم قليلة[٤]؛ ولذلك كانوا أهل بيان وحفظ، وكان من علومها التي تتفاخر به علمُ «لسانها وإحكام لغتها، ونظم الأشعار وتأليف الخطب، وكانت مع ذلك أصل علم الأخبار، ومعدن معرفة السير والأمصار»، فقد كان لديهم المعرفة بحكايات كافة الأمم حولها ورواياتهم؛ لأنهم «أصحاب حفظ وروايةٍ؛ لخفة الكلام عليهم ورقَّة ألسنتهم»[٥].

ومن العلوم التي اشتهر بها العرب وبرَعوا فيها قبلَ نزول الوحي:

---

(١) انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة (١/ ٢٥١)، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (٢/ ٦٦).

(٢) انظر: الشعر والشعراء (١/ ٢٢٤).

(٣) انظر: الشعر والشعراء (١/ ٤٥٠). وهنا تنبيه عام في منهج البحث: وهو أن هؤلاء الشعراء ذكر المتخصِّصون من أهل الأدب والتاريخ أنّ بعض ما حُكي عنهم ليس من قولهم، بل مصنوع على ألسنتهم، فلا بد من التنبّه لذلك خاصَّة في الشعر، ولكن هذا لا ينفي معرفتَهم بعلوم أهل الكتاب. قال جواد علي: «ويروي رواة الشعر وأهل الأخبار شعرًا لعدي بن زيد العبادي، ولأمية بن أبي الصلت، ولنفر آخر من الشعراء في أحداث وأمور توراتيّة، وهذه الأشعار إن صحَّ أنها لهم حقًّا دلَّت على وقوف أولئك الشعراء على التوراة، أو على بعض أسفارها، أو على قصص منها». انظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (٢/ ٦٣-٦٥).

(٤) انظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد (٣/ ٦١٣، ٦٠٤، ٦٢٢).

(٥) طبقات الأمم، ابن صاعد الأندلسي (ص: ٦٠).

- العلم بالخيل.

- والنجوم.

- والفراسة.

- والشعر.

- والخطب ونحوها(١).

وبهذا يظهر شيءٌ من حال العرب وعلومها قبل الإسلام، والغرَض من ذلك ملاحظة التحوّل الذي أحدثه القُرآن الكَريم في النفوس الذي افتتح آياتِه بإعلاء العلم دون مواربةٍ أو غُموض، فقال تعالىٰ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق: ١-٥]، وقوله: ﴿مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾، قيل: علَّمه القراءة والخطَّ بالقلم، ومنحه الإدراك لتعلم الصنائع الأخرىٰ(٢).

فالمعارف الدنيويّة التي كانت لدى العرب لم يتعرَّض لها القُرآن الكَريم بالإبطال ولا التحذير، بل كانت آياتُه تأمر بكل ما فيه خير ونفع للجنس البشري، والله سبحانه وتعالىٰ سخّر كل ما في الكون للإنسان لينتفعَ به، قال الله تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ۝٢٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [لقمان: ٢٠، ٢١].

---

(١) فضل العرب والتنبيه علىٰ علومها، ابن قتيبة (ص: ١٢١).

(٢) انظر: تفسير العز بن عبد السلام (٣/ ٤٦٩)، وزاد المسير في علم التَّفسِير (٤/ ٤٦٦)، وتفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ٣٢٥).

قال الزجاج (ت: ٣١١هـ): «تسخير ما في السَّمَاوَات: الشمس والقمرُ والنجُومُ، ومعنىٰ تسخيرها للآدميين: الانتفاع بها في بلوغ مَنَابِتهم، والاهتداء بالنجوم فِي مَسَالِكِهِمْ، وتسخير ما في الأرض: تسخير بحارها وأنهارها ودوابها وجميع منافعها»[١]، والمهارة في عدد من التخَصُّصات والحِرف الدنيوية خير وسيلة لتحقيق النفع، بل ذٰلك يتعذّر «لولا ما ألهم الله إليه الإنسانَ من وسائل التغلُّب عليها بتعرف نواميسه وأحواله وحركاته وأوقات ظهوره، وبالاحتيال علىٰ تملُّكه مثل صيد الوحش ومغاصات اللؤلؤ والمرجان، ومثل آلات الحفر والنقر للمعادن، ومثل التشكيل في صنع الفلك والعجل، ومثل التركيب والتصهير في صنع البواخر والمزجيات والصياغة، ومثل الإرشاد إلىٰ ضبط أحوال المخلوقات العظيمة من الشمس والقمر والكواكِب والأنهار والأودية والأنواء والليل والنهار، باعتبار كون تلك الأحوال تظهَر علىٰ وجه الأرض، وما لا يحصىٰ ممَا ينتفع به الإنسان مما علىٰ الأرض، فكلُّ ذٰلك داخلٌ في معنى التسخير»[٢].

فالقُرآن الكَريم حفّز العقول على العلوم الدينيّة والدنيويّة، فمن التخَصُّصات الدنيوية ما يصل لدرجة الوجوب العينيّ على المقتدر، حين يحتاج المجتمع لذٰلك، ولا يوجد مَن يقوم به سِوىٰ هٰذا المتعيِّن، إضافةً إلىٰ أنها في الجملة من فروض الكفايات التي لا بدَّ أن يقوم بها فئام من الناس، سواء في التخَصُّصات الصحيّة والطبيّة، أو الصناعيّة الحرفيّة، أو الطبيعيّة والعقليّة، فذٰلك يشمل «كلَّ علم لا يُستغنىٰ عنه في قوام أمور الدنيا كالطب والحساب والنحو واللغة والكلام والقراءات وأسانيد الحديث وقسمة الوصايا والمواريث والكتابة والمعاني والبديع والبيان والأصول ومعرفة الناسخ والمنسوخ والعامّ والخاصّ والنص والظاهر،

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ١٩٩).

(٢) التحرير والتنوير (١٧/ ٣٢١-٣٢٢).

وكلُّ هٰذه آلةٌ لعلم التَّفسِير والحديث، وكذا علم الآثار والأخبار والعلم بالرجال وأساميهم وأسامي الصحابة وصفاتهم، والعلم بالعدالة في الرواية، والعلم بأحوالهم لتمييز الضعيف من القوي، والعلم بأعمارهم وأصول الصناعات والفلاحة كالحياكة والسياسة والحجامة»[(١)].

ومن هنا ظهَر عند علماء المسلمين من المفسِّرين وغيرهم الاهتمام بهٰذه التخَصُّصات الدنيويّة وربطُها بالعلوم الشرعية، سواء عن طريق الإشارة والتنظير أو عند التَّفسِير للقرآن الكريم. ومن أوائل العلماء الذين اجتهدوا في ذكر علاقةِ علوم الدنيا بالقُرآن الكَريم الإمام الغزالي رحمه الله (ت:٥٠٥هـ)، فقد ذكر في سياق كلامٍ له مجموعةً من العلوم الدينية والدنيوية، وقال: «هٰذه العلوم التي عددناها وما لم نعدَّها، ليست أوائِلُها خارجةً عن القرآن، فإنَّ جميعها مُغْتَرِفَةٌ من بحر واحدٍ من بحار معرفة الله تعالىٰ؛ وهو بحرُ الأفعال، وقد ذكرنا أنه بحرٌ لا ساحلَ له، وأن البحر لو كان مدادًا لنَفِدَ البحر قبل أن تَنْفَد؛ فمن أفعال الله تعالىٰ مثلًا: الشفاء والمرض، كما قال الله تعالىٰ حكايةً عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾، وهٰذا الفعل الواحِد لا يعرفه إلا من عرف الطِّبَّ بكماله، إذ لا معنىٰ للطِّبِّ إلا معرفةُ المرض بكماله وعلاماته، ومعرفةُ الشفاء وأسبابه.

ومن أفعاله تبارَكَ وتعالىٰ تقديرُ معرفة الشمس والقمر ومنازِلِهما بِحُسبان، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾، وقال: ﴿وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾، وقال: ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾، وقال: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾، وقال: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾،

(١) الدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار) (١/ ٤٢)، وانظر: التاج والإكليل لمختصر خليل (٤/ ٥٣٩)، روضة الطالبين وعمدة المفتين (١٠/ ٢٢٢-٢٢٣)، مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية (١٨/ ٨٢).

ولا يعرف حقيقةَ سَيْر الشمسِ والقمرِ بِحُسبان وخُسوفهما وَوُلُوج الليلِ في النهار وكيفيةَ تَكَوُّرِ أحدهما على الآخر إلا من عرف هيئاتِ تركيبِ السَّماوَات والأرض، وهو عِلمٌ برأسه.

ولا يعرف كمالَ معنى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ إلا من عرفَ تشريحَ الأعضاء من الإنسان ظاهرًا وباطنًا، وعددَها وأنواعَها وحكمتَها ومنافِعَها، وقد أشار في القرآن في مواضِعَ إليها، وهي من علوم الأوَّلين والآخِرين، وفي القرآن مَجامِعُ علم الأوَّلين والآخرِين»[1].

وهذا النصُّ فيه الكثير مما يمكن التوقّف عنده؛ كالادِّعاء بأن كمال الفهم لهذه الآيات أو غيرها لا يتمّ إلا بمثل تلك التخَصُّصات التي ذكرها، فهي ربما تكون مساعِدةً في الكشف عن بعض الجوانب التطبيقية، ولكن الفهم لتركيب النصّ اللغوي وسياقاته وأغراضه التي تُعتبر اللبَّ في فهم الخطاب مما يتحصّل دونها.

ولعلّ ما نظّر له حجة الإسلام الغزالي بسطه الرازي (ت: ٦٠٦هـ) في تفسيره، فالقُرآن الكَريم يتحدث «كثيرًا عن مختلف مظاهر الكون، مستدلًّا بها على وجود الله تعالى وقدرته، وانطلاقًا من هذه الحقيقة القُرآنيَّة المبينة يهتمُّ الرازي اهتمامًا كبيرًا بالمسائل العِلميَّة والأمور الكونية، ويوسِّع معاني الاستدلالات القُرآنيَّة، ويتحدَّث عن دقائقها بعلم الهيئة، حسب المستوى الحضاري الذي وصل إليه عصرُه، ويتبع فيها قاعدة ثابتة اعتقد بضرورتها وأهميتها، وعدّ استدلاله بها وتفصيلَه فيها ينسجم مع القانون العام الذي اتَّبعه القرآن في الاستدلال بالأثر على المؤثِّر، وهو يعطي القاعدة الكلية كي يتنبَّه العاقل لأقسامها،

(١) جواهر القرآن (ص: ٤٥-٤٦).

وحينئذ يشرع في تفصيل حكمة كل واحد منها بقدر القوة العقلية والطاقة البشرية»[١].

وهٰذا ما جعل بعض العلماء ينتقده بشدة، وهو أيضًا مارس ذات الأمر مع منتقديه حين يقول رحمه الله: «ربَّما جاء بعضُ الجهال والحمقىٰ وقال: إنك أكثرتَ في تفسير كتاب الله تعالىٰ من علم الهيئة والنجوم، وذٰلك علىٰ خلاف المعتاد، فيقال لهٰذا المسكين: إنك لو تأمَّلتَ في كتاب الله عزَّ وجلَّ حقَّ التأمُّل لعرفتَ فساد ما ذكرتَه، وتقريرُه من وجوه:

الأول: أنَّ الله تعالىٰ ملأ كتابه من الاستدلال على العلم والقدرة والحكمة بأحوال السموات والأرض، وتعاقُب الليل والنهار، وكيفية أحوال الضياء والظلام، وأحوال الشمس والقمر والنجوم، وذكَر هٰذه الأمور في أكثر السور وكرَّرها وأعادها مرةً بعد أخرىٰ، فلو لم يكن البحث عنها والتأمُّل في أحوالها جائزًا لما ملأ الله كتابه منها.

والثاني: أنه تعالىٰ قال: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦]، فهو تعالىٰ حثَّ على التأمُّل في أنه كيف بناها، ولا معنىٰ لعلم الهيئة إلا التأمُّل في أنه: كيف بناها؟ وكيف خلق كلَّ واحد منها؟

والثالث: أنه تعالىٰ قال: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧]، فبيَّن أنّ عجائبَ الخِلقة وبدائع الفطرة في أجرام السموات أكثرُ وأعظمُ وأكملُ مما في أبدان الناس، ثم إنه تعالىٰ رَغّب في التأمّل في أبدان الناس بقوله: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]، فما كان أعلىٰ شأنًا وأعظم برهانًا منها أولىٰ بأن يجب التأمُّل في أحوالها، ومعرفة ما أودع الله فيها من العجائب والغرائب.

(١) الإمام الرازي ومنهجه في التَّفسِير، د. محسن عبد الحميد (ص: ٣٧٥).

والرابع: أنه تعالىٰ مدَح المتفكِّرين في خلق السموات والأرض، فقال: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾ [آل عمران: ١٩١]، ولو كان ذٰلك ممنوعًا منه لما فعل...

-إلىٰ أن قال:- فإذا كان الأمر كذٰلك ظهر أنه تعالىٰ إنما أنزل هٰذا الكتاب لهٰذه الفوائد والأسرار، لا لتكثير النحو الغريب والاشتقاقات الخالية عن الفوائد والحكايات الفاسدة، ونسأل الله العونَ والعصمة»[١].

فهٰذه بعضُ المستندات التي اعتمد عليها رحمه الله في دعواه والردّ علىٰ مخالفيه، وقد «آمن فخر الدين الرازي بفكرة أُشرِبها قلبُه وهام بها لبُّه، وهي أنّ الحكمة القُرآنيَّة أسمَىٰ وأسلم من جميع الطرائق الكلاميّة والمذاهب الفلسفيّة، فانطلق يقرِّر فكرتَه للناس، وينادي بها علىٰ رؤوس الأشهاد؛ متحدِّيًا أهلَ المعارف الطبيعيّة والفنون الفلسفيّة بأنَّ الذي اندرج في القرآن العظيم من علومهم وفنونهم هو أعلىٰ وأصلح مما يخوضون فيه ويتهافتون عليه..»[٢].

فهو رحمه الله أكثَرَ من ذكر العلوم الأخرىٰ من حيث أراد التنبيهَ علىٰ شمولية القرآن وإعجازِه؛ ولذٰلك استنفدَ معارفه وطاقته «في سبيل تحقيق هٰذا المنهج العلمي الذي تفرد به في عصره، يحاول أن يسخِّر الفلسفة وعلمَ الهيئة وعلم الطب وعلم الرياضة لمراده.. وكأنه يعتقد أن معرفةَ هٰذه الأمور تفتح أمامنا آفاقًا واسعة في الاطلاع على المعجزات العِلميَّة والكونية في هٰذا الكتاب الإلهي المعجز»[٣].

ومن عيوبه التي ذكرها عددٌ من الباحثين أنه «يحشر خلال تفسيره للآيات مصطلحاتٍ كثيرةً ليست من عمَل المفسر، وإنما من عمل الكتب الخاصّة بها،

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التَّفسِير الكبير (١٤/ ٢٧٤).

(٢) التَّفسِير ورجاله، الفاضل ابن عاشور (ص: ٨٠-٨١).

(٣) الإمام الرازي ومنهجه في التَّفسِير، د. محسن عبد الحميد (ص: ٤٠١) بتصرف.

مع القواعد والنظريات التي تُبعد القارئ عن واقع القُرآن الكَريم، وتَحُول بينه وبين الاهتداء بنوره والاستفادة منه، ثم إن هٰذه المصطلحات غير مستقرَّة، ومتبدلة من عصر إلىٰ عصر»[١].

فهٰذا موجَزٌ لبيان أطروحة الرازي في تفسيره، وهي جدليّة بلا شكّ، ولٰكنها تفتح رؤىٰ مغايرة للنظر والمقارنة بغيرها، مع التمحيص في بعض مواردِها وأسُسِها، وكذٰلك تقويم نتائجها وموقفها من مسائل العلوم العربية ونحوها، ولٰكن يبقى الأمر الجوهريّ المراد هنا هو أنّ القُرآن الكَريم منبعُ العلوم والمعارف، سواء كان وجهُ الاستدلال به عن طريق إشارة النصّ، أو دلالة النصّ (كما يُعبِّر الحنفيّة)، وكلّ ذٰلك بحسَب قوّة المستنبط الأصولية وسَعَته في المعارف، وبيئته الاجتماعيّة والفكريّة.

وجاء بعدهما السيوطي (ت: ٩١١هـ) وتوسَّع في التنظير، فقال: «وأنا أقول: قد اشتمل كتاب الله العزيز علىٰ كلّ شيء، أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هي أصل إلا وفي القرآن ما يدلّ عليها، وفيه عجائب المخلوقات، وملكوت السموات والأرض، وما في الأفق الأعلىٰ وتحت الثرىٰ»[٢].

ثم نقل عن غيره أن القُرآن الكَريم «قد احتوىٰ علىٰ علوم أُخرَ من علوم الأوائل، مثل: الطب، والجدل، والهيئة، والهندسة، والجبر والمقابلة، والنجامة، وغير ذٰلك»[٣]، وقام بربطها مع عدَد من الآيات القُرآنيَّة.

---

(١) المرجع السابق (ص: ٣٩٩-٤٠٠) بتصرف.
(٢) الإتقان في علوم القرآن، ط: مجمع الملك فهد (٥/ ١٩٢٠).
(٣) الإكليل في استنباط التنزيل، السيوطي (ص: ١٦).

ومن اللطيف في هٰذا السياق أن العلامة عبد الرحمٰن السعدي رحمه الله (ت: ١٣٧٦هـ) له رسالة باسم: الدلائل القُرآنيَّة في أن العلوم والأعمال النافعة العصرية داخلة في الدين الإسلاميّ، يقول في مقدمتها: «فهٰذه رسالة تتضمَّن البراهين القواطع الدالَّة علىٰ أن الدين الإسلاميَّ وعلومه وأعماله وتوجيهاته جمعت كلَّ خير ورحمة وهداية وصلاح وإصلاح مطلق لجميع الأحوال، وأن العلوم الكونية والفنون العصرية الصحيحة النافعة داخلةٌ في ضمن علوم الدين وأعماله، ليست منافية لها كما زعم الجاهلون والماديون»(١). وقال في خاتمتها عن كمال الدين: «فمن كماله أنه هدىً للتي هي أقوم في عقائدِه وأخلاقِه وأعمالِه، فكملت به العقائد والأخلاق والأعمالُ، فلا يعتريه النقصُ بوجه من الوجوه. ومن كماله أنه صالحٌ لكل زمان ومكان، وحالٌّ لجميع المشاكل الاجتماعية والشخصية، ومن كماله أن جميع الحقائق العقليَّة والحسيَّة والتجارب الصادقة كلها داخلة فيه وفي ضمنه»(٢).

وفي الجملة ما ذكروه وقرَّروه ليس علىٰ مرتبة واحدة في الظهور من جهة الاستنباط واحتمال اللفظ الإلهي له، ولذٰلك تباينت مواقف العلماء والباحثين قديمًا وحديثًا في الموقف من هٰذه القضية، وهي مفصَّلة في عدد من الدِّراسات، سيأتي ذكر بعضها. ولٰكن يبقىٰ أنّ الذي لا مِرية فيه هو دعوة القُرآن الكَريم لتحصيل كل ما ينفع (علمًا وعملًا).

وبهٰذا لا يخفىٰ أهمية العلوم الدنيوية التي لا يمكِن قيام الحياة دونها، بل ولا العبادة لله سبحانه وتعالىٰ، وهٰذا قرَّره جمهور العلماء بصيَغ وطرقٍ مختلفة،

(١) الدلائل القُرآنيَّة في أن العلوم والأعمال النافعة العصرية داخلة في الدين الإسلامي (ص: ٥).
(٢) المرجع السابق (ص: ٥٢).

يقول الإمام الغزالي رحمه الله (ت: ٥٠٥هـ): «اعلم أن الفرضَ لا يتميَّز عن غيره إلا بذكر أقسام العلوم، والعلوم.. تنقسم إلىٰ شرعية وغير شرعية، وأعني بالشرعية ما استُفيد من الأنبياء -صلوات الله عليهم وسلامه-، ولا يرشد العقل إليه مثل: الحساب، ولا التجربة مثل: الطب، ولا السماع مثل: اللغة. فالعلوم التي ليست بشرعية تنقسم إلىٰ ما هو:

- محمود.
- وإلىٰ ما هو مذموم.
- وإلىٰ ما هو مباح.

فالمحمود ما يرتبط به مصالح أمور الدنيا كالطّبّ والحساب، وذٰلك ينقسم إلىٰ ما هو فرض كفاية، وإلىٰ ما هو فضيلة وليس بفريضة، أما فرض الكفاية: فهو علم لا يُستَغنىٰ عنه في قوام أمور الدنيا كالطب؛ إذ هو ضروريّ في حاجة بقاء الأبدان، وكالحساب فإنه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرهما، وهٰذه هي العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج أهل البلد، وإذا قام بها واحد كفىٰ وسقط الفرض عن الآخرين، **فلا يُتعجَّب من قولنا: إن الطب والحساب من فروض الكفايات، فإن أصول الصناعات أيضًا من فروض الكفايات؛ كالفلاحة والحياكة والسياسة، بل الحجامة والخياطة؛ فإنه لو خلا البلد من الحجَّام تسارع الهلاك إليهم، وحرجوا بتعريضهم أنفسَهم للهلاك**، فإنَّ الذي أنزل الداء أنزل الدواء، وأرشد إلى استعماله، وأعدَّ الأسباب لتعاطيه، فلا يجوز التعرّض للهلاك بإهماله.

وأما ما يعدُّ فضيلة لا فريضة، فالتعمق في دقائق الحساب، وحقائق الطب، وغير ذٰلك مما يُستغنىٰ عنه، ولٰكنه يفيد زيادةَ قوةٍ في القدر المحتاج إليه.

وأما المذموم فعلم السحر والطلسمات، وعلم الشعبذة والتلبيسات[١].

وأما المباح منه فالعلم بالأشعار التي لا سُخف فيها، وتواريخ الأخبار وما يجري مجراه.

أما العلوم الشرعية وهي المقصودة بالبيان فهي محمودة كلُّها، ولكن قد يلتبِس بها ما يُظَنّ أنها شرعية، وتكون مذمومةً، فتنقسم إلى المحمودة والمذمومة..»[٢].

فالمبادئُ الإسلاميّة العامّة في الكتاب الحكيم والسنة الشريفة حاشاها أن تكون ضد المعرفة، وإن وُجدت مواقف سلبية تجاه بعض التخَصُّصات في التاريخ الإسلاميّ فإنما تُمثّل اجتهادَ صاحبها، وسياقه الثقافي والساسي، فمجمل علماء التراث فاقوا غيرهم «بسرعة في جميع العلوم التي تقوم على التجربة»[٣]، وقد «حَوَّل العرب عِلم الجبر تحويلًا تامًّا، وإليهم يرجع الفضل في تطبيقه على علم الهندسة»[٤]، وعن دورهم في الجغرافيا أيضًا: «ويكفي أن نقابل بين الأمكنة التي عينها الأغارقة، والأمكنة التي عينها العرب؛ ليظهر لنا مقدار التقدم الذي تم على يد العرب»[٥]، وهكذا شأنهم في عدد من العلوم كالفيزياء، والكيمياء، والطب، والفنون كالرسم والأحافير، **فتسليط الضوء على مثل هذه النماذج المشرِقة أولى من بعث الصراع في عددٍ من مسائل هذه العلوم بين علماء الشريعة وغيرهم التي قد تحجب مواطن الإبداع والسمو في حضارتنا الإسلامية**[٦].

---

(١) الشعبذة من فروع علم السحر، وهي: «علم الشعبذة والتخيلات والأخذ بالعيون المخيلة لسرعة فعل صناعها برؤية الشيء على خلاف ما هو عليه. والشعبذة: وقد يقال: الشعوذة معرب شعبادة وهي اسم رجل ينسب إليه هذا العلم». أبجد العلوم، القنوجي (ص: ٤٢٥).

(٢) إحياء علوم الدين (١/ ١٦).

(٣) حضارة العرب، لوبون (ص: ٣٨٢).

(٤) المرجع السابق (ص: ٣٩٣).

(٥) المرجع السابق (ص: ٤٠٤).

(٦) للمزيد ينظر: بحث: موقع التخَصُّصات الدنيوية من خارطة علوم الوحي، تأصيل منهجي، محمد

وقد أرجع ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ) ضعفَ العلوم لهَجر عددٍ من التخَصُّصات في سياق ذِكره لأسباب ذٰلك، حين يقول: «التهاوُن بعدّة علوم نافعة، وقد نشأ هٰذا عن عدة أسباب سابقة، منها: حقّروا علومًا عجزت عنها أفهامُهم من العلوم العقلية والشرعية العليا، كعلم أصول الفقه وعلم البلاغة والتاريخ والعمران وأسرار التكليف ومقاصد الشريعة. أما العلوم المنقولة فأنت تعلم تنزُّههم عنها. وأما العلوم الأدبية مثل الشعر والكتابة وآداب المجالسة، فقد قضىٰ عليها اعتبارهم الخوض فيها إضاعةَ زمان»(١).

والباحث في العلوم الشرعيّة (بما فيها التَّفسِير) الذي لا يُدرك قيمةَ علمٍ مثل: أصول الفقه أو البلاغة لا يُسأل عن غيرهما من التخَصُّصات، بل هو لا يستحقّ مثل هٰذا اللقب: (باحث)، ولا يحِقّ له الخوض في دقائق العلوم بالاختيار أو الردّ على العلماء؛ إذ هو عارٍ عن أدوات الفهم وتحليل الخطاب، والوعي بمآخذ الأقوال، ومناطات الأحكام التي قد يُرسلها (تقليدًا وعاطفة) دون تحرير وورع! جاعلًا «ما يحتاج أن يستدلّ عليه دليلًا علىٰ غيره، ولو علموا أصول الدين وطرق الأحكام وحفظوا السنن كان ذٰلك قوةً لهم علىٰ ما ينزل بهم، ولٰكنهم جهلوا ذٰلك فعادَوه، وعادَوا صاحبه»(٢).

الأنصاري، بحث قُدّم للمؤتمر الدولي الأول: نحو بناء منهاج جامع لعلوم الوحي وعلوم الإنسان، «الأسس الإبستيمولوجية»، بتنظيم المركز الجهوي لجهة الشرق بمدينة وجدة في المملكة المغربية بالشراكة مع مختبر مناهج العلوم بجامعة محمد الأول، ومختبر العلوم الشرعية وقضايا الإنسان بجامعة مولاي إسماعيل وغيرهما من مراكز البحث، يومي ١٤-١٥/ ٥/ ١٤٤٤هـ - ٩-١٠ دجنبر (كانون الأول) ٢٠٢٢م.

(١) أليس الصبح بقريب؟! (ص: ٢٨٠).

(٢) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر (٢/ ١١٣٦)، في سياق نقده لمتعصّبة الفقهاء ومقلدتهم الذين يغالون في الأقيسة والتخريجات الفقهيّة، وكلامه يصدق علىٰ كل مقلّد (للشرق أو الغرب) يُلزم الناس بتقليده ويحرِّج عليهم.

النقطة الثالثة: من آثار التفاعل البينيّ على الدِّراسات القُرآنيَّة:

من تلك النتائج في هٰذه الحقبة ما يلي:

*** الوعي بحضورها والتنبيه علىٰ ضوابطها:**

من محاسن شيوع التداخلِ بين العلوم: تنبيهُ العلماء في الدِّراسات القُرآنيَّة علىٰ عدد من الضوابط في هٰذا الشأن، يقول أبو حيان الأندلسي رحمه الله (ت: ٧٤٥هـ) مُنبِّهًا علىٰ خطأ النقل المتكاثر من الفنون: «وكثيرًا ما يشحن المفسّرون تفاسيرهم من ذٰلك الإعراب بعلل النحو ودلائل أصول الفقه ودلائل أصول الدين، وكل هٰذا مقرَّر في تآليف هٰذه العلوم، وإنما يؤخذ ذٰلك مسلَّمًا في علم التَّفسِير دون استدلال عليه»(١).

ويقول أيضًا في موطن آخر حول بعض المصطلحات: «معرفة الإجمال والتبيين والعموم والخصوص والإطلاق والتقييد ودلالة الأمر والنهي، وما أشبه هٰذا، ويختص أكثر هٰذا الوجه بجزء الأحكام من القرآن، ويؤخذ هنا من أصول الفقه، ومعظمه هو في الحقيقة راجع لعلم اللغة؛ إذ هو شيء يتكلم فيه علىٰ أوضاع العرب، ولٰكن تكلم فيه غير اللغويين أو النحويين، ومزجوه بأشياء من حجج العقول»(٢).

*** إثراء الدِّراسات القُرآنيَّة:**

إغناء التخصُّص من أهمّ فوائد الدِّراسات البَينيَّة، والحوار والنّقد عمومًا، فالعلم الذي ينعزل عن غيره يشيخ ويصيبه الوهن، بل ربما يموت ويصبح أثرًا في متاحف التاريخ؛ لأن التلاقح مع العلوم الأخرىٰ يفتح آفاق البحث،

---

(١) البحر المحيط في التَّفسِير (١/ ١٣).

(٢) المصدر السابق (١/ ١٥).

ويكشِف عن مواطن النقص والخلل، حتىٰ تتمّ معالجتها وسدّ ثغراتها.

ومن الأمثلة علىٰ ذٰلك علم «علوم القرآن»[1]، فقد أصبح هٰذا المصطلح عَلَمًا علىٰ مجال محدَّد وقضايا خاصة، ويمكن القول بأن هٰذا العلم يُعتبر من العلوم البَينيَّة بامتياز؛ لأنه تألّف من عدة مباحثَ ينتمي كلٌّ منها إلىٰ علمٍ آخر، ولٰكنها في سياق علوم القرآن أصبح لها شأن مغاير وطبيعة أخص.

وقد توالت الكتب المفردة والجزئيّة والموسوعيّة في هٰذا الفنّ الجليل عبر العصور منذ القرن الثاني، ومن أهم تلك المصنفات التي رسَّخت هٰذا التركيب، وسَعَتْ بقصد ظاهر لتقنين مضامينه كعلم مستقل؛ اهتداء بعلوم الحديث خاصّة كما نصّ العلماء:

* البرهان في علوم القرآن، بدر الدين ابن بهادر الزركشي رحمه الله (ت: ٧٩٤هـ).

* الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي رحمه الله (ت: ٩١١هـ).

وكلاهما كان يسعَىٰ لإبراز «علوم القرآن» كعِلم مستقلّ بالتدوين مثل غيره من العلوم الإسلامية، وذٰلك لإحصاء المعارف اللصيقة بالتنزيل مضمِّها في كتاب واحد بعد أن كانت متناثرةً في بطون الأجزاء المفردة والمدوَّنات المختصرة، وما ذكروه من الأنواع المتكاثرة والتفاصيل الجزئية في تضاعيف كتابيهما يؤكِّد رغبتهما في الاستقصاء الممكن لهٰذه الفنون.

وللفائدة فإنَّ تركيب «علوم القرآن» يمكن تقريبه وشرحه بما يلي: «المباحث والدِّراسات التي كُتبت حول القُرآن الكَريم، وهي تتناول أربعة موضوعات أساسيّة، الأول: مصدر القرآن أو كيفية إنزاله وتلقي النبي ﷺ له،

(١) ثمة دراسة تهدف لمزيد التدقيق والضبط لهٰذا المجال: علوم القرآن، نقد العِلميَّة ومقاربة في البناء، د. خليل محمود اليماني.

والثاني: كتابة القرآن وجمعه ونسخه في المصاحف، والثالث: تلاوة القرآن وقراءاته، والرابع: تفسير القرآن وكيفية فهم آياته. ويتألّف كل موضوع من هٰذه الموضوعات من عدد من المباحث التي يتكوّن من مجموعها ما يعرف بعلوم القرآن، ويتّصل بعلوم القرآن أيضا المباحث المتعلّقة بفضائل القرآن، والدِّراسات التي تبحث في وجوه إعجازه»[(١)].

يقول الزركشي: «ولما كانت علوم القرآن لا تنحصر، ومعانيه لا تُستقصىٰ، وجبت العناية بالقدر الممكن. ومما فات المتقدمين وضع كتاب يشتمل علىٰ أنواع علومه، كما وضع الناس ذٰلك بالنسبة إلىٰ علم الحديث، فاستخرت الله تعالىٰ -وله الحمد- في وضع كتاب في ذٰلك جامع لما تكلَّم الناس في فنونه، وخاضوا في نكته وعيونه، وضمَّنته من المعاني الأنيقة والحِكم الرشيقة ما يهزُّ القلوبَ طربًا، ويبهر العقول عجبًا؛ ليكون مِفتاحًا لأبوابه، عنوانًا علىٰ كتابه؛ معينًا للمفسر علىٰ حقائقه، ومطَّلعًا علىٰ بعض أسراره ودقائقه، والله المخلِّص والمعين، وعليه أتوكَّلُ وبه أستعين، وسميته: البرهان في علوم القرآن»[(٢)].

ويقول السيوطي: «ولقد كنتُ في زمان الطلب أتعجَّب من المتقدمين، إذ لم يدوّنوا كتابًا في أنواع علوم القرآن، كما وضعوا ذٰلك بالنسبة إلىٰ علم الحديث». ثم قال بعد كلامٍ: «ثم خطر لي بعد ذٰلك أن أؤلّف كتابًا مبسوطًا ومجموعًا مضبوطًا، أسلك فيه طريقَ الإحصاء، وأمشي فيه علىٰ منهاج الاستقصاء، هٰذا كلُّه وأنا أظن أني متفرِّد بذٰلك غيرُ مسبوق بالخوض في هٰذه المسالك.

(١) محاضرات في علوم القرآن، غانم قدوري (ص: ٧)، وانظر لتعريف «علوم القرآن» ومناقشته: علوم القُرآن الكَريم، نور الدين عتر (ص: ٨)، والمحرر في علوم القرآن، د. مساعد الطيار (ص: ٢٢)، وعلوم القرآن في الأحاديث النبوية، د. عمر الدهيشي، وكتاب مناهل العرفان للزرقاني - دراسة وتقويم، د. خالد السبت (١/ ١٧).
(٢) البرهان في علوم القرآن (١/ ٩).

فبينا أنا أجيل في ذٰلك فكرًا أقدِّم رجلًا وأؤخِّر أخرىٰ، إذ بلغني أن للشيخ الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي أحدِ متأخِّري أصحابنا الشافعيين كتابًا في ذٰلك حافلًا يسمىٰ: (البرهان في علوم القرآن) فتطلَّبْته حتىٰ وقفت عليه»[١].

*** توفير المادّة العِلميَّة لاستقلال تخَصُّصات معرفية جديدة:**

في تاريخ العلوم ومقدّماتها ثمَّة ما يعرف بـ«استمداد العلم»، بمعنىٰ مصدره وما تتشكَّل منه مسائله، وعادة يكونُ ذٰلك عبر العلوم السابقة لذٰلك العلم، فأصول الفقه من علم الكلام واللغة وغيرهما، وهٰكذا شأن كافّة التخَصُّصات مرجعيّتها من علوم ومعارف سابقة، والدِّراسات القُرآنيَّة كانت مرجعًا خصبًا لعدد من العلوم والموضوعات كالبلاغة وإعجاز القرآن، قال ابن عاشور عن علم البلاغة (ت: ١٣٩٣هـ): «كان هٰذا العلم منثورًا في كتب التَّفسِير عند بيانه وإعجازه، وفي كتب شرح الشّعر ونقده، ومحاضرات الأدباء، من أثناء القرن الثاني من الهجرة. فألف أبو عبيدة معمر بن المثنىٰ كتاب (مجاز القرآن)، وألف الجاحظ عمرو بن بحر كتبًا كثيرة في الأدب»[٢].

*** التنقيح والمشروعيّة للتخَصُّصات الدنيويّة:**

الدِّراسة البَينيَّة القُرآنيَّة تُمحِّص الأفكار والعلوم، وتمنحُك المشروعية للنظر في النافع منها، وبيان مجالها، عبر تقريرات العلماء من أئمة التَّفسِير وغيرهم، مع دقة فهمك وتأملك للمضامين القُرآنيَّة بعد استحكام الآلة، فالقُرآن الكَريم يحثّ على النافع من العلوم بشمولية مطلقة، وقد أسّس ذٰلك في نفوس العلماء اهتمامًا بالغًا بكافة التخَصُّصات الدنيوية.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (١/ ٤، ١١-١٢).

(٢) موجز البلاغة = جمهرة مقالات ورسائل ابن عاشور (٣/ ١١٨٥).

وهٰذه الشمولية وسعة المعاني جعلتْ بعضَ العلماء يتجاسر على القول (كما سبق) بأنه شمل كافّة العلوم، دون التنبيه للفرق الجوهريّ بين الحثّ على تحصيل مطلَق النافع وحضور مواد العلوم ومسائلها في النصّ القُرآنيِّ، إضافة لاختلاف المجالات والغايات، ولا يلزم من ذكر بعض الصناعات وأدواتها لأغراضٍ محدَّدة أن يكون العلم الاصطلاحي معنيًّا بها (كما هو معلوم)، ولا ضيرَ من الاستئناس بذٰلك، كما حكىٰ بعض العلماء بأن القُرآن الكَريم «فيه من أصول الصنائع وأسماء الآلات التي تدعو الضرورة إليها»[1].



(١) انظر: الإكليل في استنباط التنزيل للسيوطي (ص: ١٦-١٧).

الحقبة الثانية: الترجمة والعلوم الوافدة:

الترجمة للمعرفة من لغة إلىٰ لغة ظاهرةٌ ملفِتة في مجتمع قريبِ العهد باستقبال الوحي الإلهي؛ ولهٰذا ربما يكون استقبالها محلَّ النظر والاستهجان، وقد يتدخل المسلك الذرائعي في دفعها؛ تمسكًا بالتاريخ ومظنة الضرر.

لقد بدأت أولىٰ خطوات النقل من الثقافات الأخرىٰ بعدد من الكتب في أواخر القرن الأول في العصر الأموي، والذي دعا إليها «هو الأمير الأموي خالد بن يزيد بن معاوية (ت: ٩٠ أو ٨٥هـ) الذي أخفق في نيل الخلافة، فانصرف إلى العلم والاهتمام بالترجمة»[١]، وابن يزيد هٰذا كان «يسمّىٰ حكيم آل مروان، فإنّه كان فاضلًا في نفسه، وله همّة ومحبّة للعلوم وشغف بصنعة الكيمياء. فأحضر عنده من حكماء مصر الذين أتقنوا الفلسفة، وعرفوا لغة العرب مع اللغات القديمة، لا سيّما لغة اليونان، وأمرهم بنقل كتب النجوم والطبّ والكيمياء من اللسان اليونانيّ والقبطيّ إلى العربيّة، فعرّبوا له ذٰلك، وهو أوّل نقل وقع في الإسلام من لغة إلىٰ لغة»[٢]. ثم بدأ أفراد من المترجمين «بعد ذٰلك ينقلون من الفارسية والسريانية شيئًا من كتب السياسة والحكمة، يدوّنونها للخلفاء والأمراء من بني أمية»[٣]. ومنهم مَن اعتنىٰ بالطب كالخليفة العالم عمر بن عبد العزيز رحمه الله (ت: ١٠١هـ) الذي أسلم علىٰ يديه طبيب نصراني عند دخول المسلمين إلىٰ الإسكندرية، فاعتمد عليه في صناعة الطب عندما آلت إليه الخلافة[٤].

---

(١) الترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية، سالم العيس (ص: ٢٢).
(٢) المقفى الكبير تقي الدين المقريزي (٣/ ٤٤٢)، والنقل أصله من النديم في الفهرست (ص: ٣٠٠).
(٣) أمراء البيان المؤلف محمد علي كرد (ص: ٢٩).
(٤) انظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء (ص: ١٧١).

وقد ازدهرت الترجمة بشكلٍ أكبر في العصر العباسي، بل أصبح لها مؤسّسةٌ قائمة تتبع الرئاسة تختصّ بشؤونها، ولا سيما في عهد هارون الرشيد (١٧٠هـ-١٩٣هـ) وابنه المأمون (١٩٨هـ-٢١٨هـ) الذي كان شغوفًا بالمعارف، وهٰذه العلاقة برأس الحكم أسهمت في شيوعها، وفي اختلاف تقدير الموقف منها سواء السلبيّ أو الإيجابيّ، وقد ساعد في انتشارها عوامل متعدّدة كإقبال الخلفاء على العلوم العقلية وغيرها، واحتدام الجدل بين الفرق والأديان[1].

فالمراد أن الحضارة الإسلامية مع اتساعها وتنوّعها في هٰذه الحقبة التي تداخلت مع حقبة التدوين وتطور العلوم = استقبلت علومًا وأفكارًا جديدة، وبخاصة ما عُرف بالحكمة والفلسفة؛ فالسؤال: كيف نستقبل مثل هٰذا الدخيل للحضارة الإسلامية في مجال التَّفسِير وعلوم القرآن؟ وهل المقارنة سائغة بين المجالين؟ وما حدود الاتصال والانفصال بينهما؟

وقبل الاستعراض الموجز لهٰذه القضية الشائكة يحسن الإشارة للتعريف الاصطلاحي الذي يوضّح المراد بعلم: الفلسفة عند أربابها من المسلمين.

*** تعريف الفلسفة:**

قيل في أصلها: «الفلسفة مشتقّة من كلمة يونانية، وهي فيلاسوفيا، وتفسيرها: محبة الحكمة، فلما أعربت قيل: فيلسوف، ثم اشتقّت الفلسفة منه، ومعنى الفلسفة: علم حقائق الأشياء والعمل بما هو أصلح»[2].

ونقل ابن أبي أُصَيبعة (ت: ٦٦٨هـ) عن الفارابي (ت: ٣٣٩هـ) تحليل اسم الفلسفة، فقال: «ونقلت من كلام لأبي نصر الفارابي في معنى اسم الفلسفة، قال:

---

(١) انظر: الترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية (ص: ٢٦)، والنقل والترجمة في الحضارة الإسلامية، علي النملة (ص: ١١٣).

(٢) مفاتيح العلوم، الخوارزمي (ص: ١٥٣).

اسم الفلسفة يونانيّ، وهو دخيل في العربية، وهو على مذهب لسانهم: فيلسوفا، ومعناه: إيثار الحكمة، وهو في لسانهم مركب من (فيلا) ومن (سوفيا)، ففيلا: الإيثار، وسوفيا: الحكمة. والفيلسوف مشتق من الفلسفة»[١].

ومن أوائل فلاسفة المسلمين الذين عرَّفوها: يعقوب الكندي (ت: ٢٥٢هـ) بقوله: «الفلسفة علم الأشياء بحقائقها»[٢].

وهي تُعتبر باختصار عند بعض الباحثين: «الحكمة الإنسانية»[٣]، وقال أبو علي ابن سينا (ت: ٤٢٧هـ) في بيان أنواعها العِلميَّة: «الحكمة تنقسم إلى قسم نظري مجرد، وقسم عملي»، ثم يقول: «أقسام الحكمة النظرية ثلاثة: العلم الأسفل، ويسمى العلم الطبيعي، والعلم الأوسط، ويسمى العلم الرياضي، والعلم الأعلى، ويسمى العلم الإلهي»[٤].

وثمَّة نقاشات متعدِّدة في العلاقة بينها وبين العلوم الأخرى، وما تضيفه الفلسفة لهذه المعارف بعد تمايزها عنها بالكلية، فالتخَصُّصات تبحث في الجزئيات وتتقيَّد بموضوعات محدَّدة، وأما الفلسفة فـ«تنحصر في بحث المبادئ العامة التي تفترضها العلوم الجزئية من غير أن تبرهن عليها.. (ولذلك تختص بدارسة مثل):

- النظر في بعض المفاهيم العِلميَّة العامة كمفهوم الزمان والمكان، والعلة ونحوها.

- النظر في مناهج العلوم، وصور التفكير العلمي.

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ابن أبي أصيبعة (ص: ٦٠٤).
(٢) رسائل الكندي الفلسفية، جمع وتأليف: محمد عبد الهادي أبو ريدة (١/ ٤٣-٤٤).
(٣) دروس في الفلسفة، يوسف كرم، إبراهيم مدكور (ص: ١٣).
(٤) رسالة في أقسام العلوم العقلية = تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات (ص: ١٠٥-١٠٧).

والفلسفة من هذه الناحية (العامة) بحث نظريّ صِرْف، بعيد عن الأغراض العملية؛ من أجل هذا صارت أساس العلوم جميعها، أو العلم الرئيس فيها»(١).

وبهذا يتَّضح المراد بمفهومها، مع غرضها المجمل، وفي المحورين التاليين سنتناول باختصار علاقتها وأثرها:

المحور الأول: صلة الدِّراسات القُرآنيَّة بعلوم الأوائل:

منذ أن بدأ عصرُ الترجمة ومَن يُعرفون بـ«الحكماء» ظهرت الآراء التي تنحو لأسلوب الموافقة بينها وبين القُرآن الكَريم، أو على الأقل عدم معارضتها للوحي، وتتابَعَ الجدل في هذا الأمر عبر التاريخ الإسلامي، وتناوله عدد كبير من الباحثين بالدراسة والتحليل؛ ولذلك سنكتفي ببعض النماذج في الاتجاهين دون التفصيل أو الترجيح.

وفي صدر المحور تجدر الإشارة إلى أن العلوم المترجمة على نوعين:

- علوم اليونان خاصّة -كما يُطلق عليها- كالفلسفة والمنطق، وهذه احتدم الجدل في علاقتها والموقف منها بين علماء الشريعة والفكر الإسلامي.

- وعلوم أخرى كالطب والفلك والنجوم ونحوها، فهذه جزء منها مشاع بين الأمم بحسب حضارتهم، والشأن فيها أيسر من تلك، وتقدَّم الحديث عنها في الحقبة السابقة.

والفلسفة ذاع أمرها بين أرباب الفرق خاصّة، وامتدّ الاهتمام بها لغيرهم من العلماء، ونشط التأليف فيها مما يؤكد كثرة المعتنين بها في السنوات المتأخرة، قال المقريزي (ت:٨٤٥هـ): «واشتهرت مذاهب الفرق من القدرية والجهمية والمعتزلة

---

(١) التفكير الفلسفي الإسلامي، د. سليمان دنيا (ص: ٢٣-٢٤).

والكرَّامية والخوارج والروافض والقرامطة والباطنية حتىٰ ملأت الأرض، وما منهم إلا من نظر في الفلسفة، وسلك من طرقها ما وقع عليه اختياره، فلم يبق مِصر من الأمصار ولا قُطر من الأقطار إلا وفيه طوائف كثيرة مما ذكرنا»[١].

وفي هٰذه الأزمنة تعاظَم أمرها باسم: الفلسفة الحديثة أو المعاصرة، فكثر روَّادها بعدما جدّدت طرحها وأسلوبها، واقتربت من المجتمع وهموم الحياة وأسئلة الواقع[٢]، وكذٰلك توسَّعت مجالاتها ومناهجها؛ وبذٰلك أقبل عليها القُراء سواء من خلال كتبها الخالصة (عن موضوعاتها وتاريخها)، أو الدِّراسات القريبة منها كالمصنفات الفكرية عمومًا وبعض الروايات، وبهٰذا لا يمكن تجاهلها، ودفعها بالصدر دون وعي وتمييز لمحاسنها ومساوئها، والأصل في الذين يزاولونها في المجتمع المسلم التصديقُ بمحكم التنزيل؛ ولذٰلك يستدلون لها بكليات الوحي سعيًا منهم لتقريبها وتسويغ النظر فيها بخاصّة أمام الممانعين لها بإطلاق[٣].

والمبدأ الأخلاقي الذي يجب أن يحكم كافة الاتجاهات هو ألا «ننسىٰ محاسن المذهب ونحن في غمرة الكشف عن مآخذه، ولا نغفل عن وجوه التهافت فيه، ونحن منصرفون إلىٰ بيان محاسنه، فليس أضَلَّ عندنا من رفض مذهب كامل أو قبوله جملةً وتفصيلًا؛ إذ بالِغًا ما بلغ ضيق الباحث بمذهبٍ ما -أو بالأسس التي يقوم عليها مذهب ما- فإنه واجدٌ في ثناياه بعض ما يروقه ويرضيه، ومثل هٰذا يقال على المذهب متىٰ كان مثارًا لإعجاب الباحث المنصف؛

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (٤/ ١٩١).

(٢) انظر مقدمة المترجم لكتاب: الفلسفة أنواعها ومشكلاتها، هنتر ميد، ترجمة: فؤاد زكريا (ص: ٩).

(٣) انظر: الوحي والفلسفة - مدخل لفهم تراثنا الفلسفي، د. إبراهيم بورشاشن (ص: ٥١)، وقد عقد المؤلف عنوانا باسم: إكبار الفلاسفة للوحي.

لأن مواضع الضعف لا يتنافى وجودها مع مواطن الإعجاب. إن منهج البحث العلمي لا يحتمل التحيز ولا يستقيم مع التعصب، ولا يضيق بالنزاع بين المذاهب وهي تنشد الحقيقة في مظانها»[١].

ومن النماذج الأولى حول أطروحة الموافقة بين القرآن والفلسفة: ما جاء عن فيلسوف العرب الأول -كما يسمى- يعقوب بن إسحاق الكندي (ت: ٢٥٢هـ)، فقد جمع في تصانيفه بين الشرع ومقاييس العقل الفلسفية[٢]، فهو «يصرح بأن كل ما أداه النبي عليه الصلاة والسلام عن الله عز وجل يمكن أن يفهم «بالمقاييس العقلية التي لا يدفعها إلا مَن حرَّم صورة العقل واتحد بصورة الجهل»، ولكن الكندي يشترط لفهم معاني القرآن أن يكون المفكر من «ذوي الدين والألباب»، قادرًا على فهم مقاصد كلام الوحي، عارفًا بخصائص التعبير اللغوي وأنواع دلالته عند العرب»[٣]، وهو القائل عن بعض المدّعين للتدين في عصره: «من تَجر بشيء باعه، ومن باع شيئًا لم يكن له، فمن تجر بالدين لم يكن له دين، ويحق أن يتعرّى من الدين مَن عاند فيه علم الأشياء بحقائقها وسماها كفرًا؛ لأن في علم الأشياء بحقائقها علمَ الربوبية وعلمَ الوحدانية، وعلمَ الفضيلة، وجملةَ كل علم نافع، والسبيل إليه، والبعد عن كل ضارٍّ والاحتراس منه، واقتناء هذه جميعًا هو الذي أتت به الرسل الصادقة عن الله جلّ ثناؤه»[٤].

ومحصّل أمر الكندي (كما يرى بعض الباحثين) أنه «مع سعة معارفه ومعرفته الجيدة بمذاهب اليونان، خصوصًا أرسطو، يقف في أرض الدين بقدم ثابتة؛

(١) أسس الفلسفة، توفيق الطويل (ص: ٣).

(٢) انظر: نزهة الأرواح وروضة الأفراح في تاريخ الحكماء والفلاسفة، الشهرزوري (ص: ٣٠٥).

(٣) رسائل الكندي الفلسفية، جمع وتأليف: محمد عبد الهادي أبو ريدة (١/ ٥٣) قسم الدراسة، وما بين علامتي التنصيص من كلام الكندي (١/ ٢٤٤-٢٤٥).

(٤) رسائل الكندي الفلسفية، جمع وتأليف: محمد عبد الهادي أبو ريدة (١/ ١٠٤).

فيدافع عن النبوة بالإجمال، وعن النبوة المحمدية خاصة، ويفهم الوحي الإسلامي فهمًا فلسفيًّا، ولا تفتأ تظهر في رسائله عبارات واضحة تدل على روح الإيمان العميق، وهو يخالف أرسطو في قدم العالم، ويؤكد العناية الإلهية وصفات الإله المبدع الفعال المدبر الحكيم. ويخرج من نظره الفلسفي بوجهة نظر عامة تقوم على فهم الدين بالعقل الفلسفي، وتنتهي إلى مذهب دينيّ فلسفيّ معًا. وهذا ما قد يُجوِّز أن البيهقيَّ أراد أن يعبّر عنه بقوله فيلسوف العرب: «قد جمع في بعض تصانيفه بين أصول الشرع وأصول المعقولات»»[١].

وكذلك من النماذج الجدلية في هذا السياق ما فسّره المعلّم الثاني الفارابي (ت: ٣٣٩هـ) تفسيرًا فلسفيًّا لبعض الآيات القُرآنيَّة في مواطن متفرِّقة من كتبه، وهو كغيره من فلاسفة المسلمين الذين ينفون المعارضة المطلقة بين الشريعة والحكمة / الفلسفة[٢]، وتتبَّع عدد من الباحثين استدلالاتِه وتفسيرَه للقرآن الكريم مع فحصها ودراستها[٣]، وقد بالغ في إعلاء شأن الفلسفة في عدد من عباراته، وجعلها كغيره مرجعًا حاكمًا للعلوم[٤]! مع التنبيه أن له بعض النصوص الصريحة التي تضع المعارف في سياقها، كقوله: «فإن الإنسان إنما سبيله أن تفيده الملل بالوحي ما شأنه أن لا يدركه بعقله وما يخور عقله عنه،

---

(١) رسائل الكندي الفلسفية، جمع وتأليف: محمد عبد الهادي أبو ريدة (١/ ٥٨) قسم الدراسة، وانظر لعبارة ظهير الدين البيهقي: تاريخ حكماء الإسلام (ص: ٤١).

(٢) انظر: العقائدية وتفسير النص القرآني، ياسر المطرفي (ص: ٤٩٢-٤٩٥).

(٣) انظر: الاستدلال بالقُرآن الكَريم عند فلاسفة الإسلام المشائين - الكندي والفارابي نموذجًا، د. بكار جاسم، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، العدد: (١)، ٢٠٠٩م، ونظرية العقول العشرة لدى الفارابي ومدى تأثره بفلاسفة اليونان (دراسة نقدية)، د. عاطف مصطفى أبو زيد، العدد: (٢٩)، ٢٠١٦م.

(٤) انظر رسالة: تحصيل السعادة للفارابي (ص: ٥٥)، وكتاب: من القرآن إلى الفلسفة، اللسان العربي وتكون القاموس الفلسفي لدى الفارابي، جاك لانغاد، ترجمة: وجيه أسعد (ص: ٣٣٥).

وإلا فلا معنىٰ للوحي ولا فائدة إذا كان إنما يفيد الإنسان ما كان يعلمه، وما يمكن إذا تأمله أن يدركه بعقله. ولو كان كذلك لوكّل الناس إلىٰ عقولهم، ولما كانت بهم حاجة إلىٰ نبوة ولا إلىٰ وحي»(١).

ثم جاء الفيلسوف أبو علي بن سينا (ت: ٤٢٨هـ) امتدادًا للاتجاه الفلسفي العام الذي ينزع للموافقة بين الفلسفة والدين، مع نزعة رمزية باطنية(٢)، وهو يقول في حق المعارضين له: «فقد دللتُ علىٰ أقسام الحكمة، وظهر أنه ليس شيء منها يشتمل علىٰ ما يخالف الشرع، فإن الذين يدعونها، ثم يزيغون عن منهاج الشرع، إنما يضلّون من تلقاء أنفسهم، ومن عجزهم وتقصيرهم، لا أن الصناعة نفسها توجبه، فإنها بريئة منهم»(٣).

وقد فسّر ابن سينا مجموعة من السور والآيات، يُخضعها لفلسفته، فيُفسّرها «تفسيرًا مجازيًّا رمزيًّا، فنظامه الفكريّ بمجمله فلسفيّ»(٤).

وبحسب رصد بعض الباحثين فإن التوفيق بين الدين والفلسفة كان علىٰ طريقتين:

«أما الطريقة الأولىٰ: فهي طريقة التأويل للنصوص الدينية والحقائق الشرعية، بما يتّفق مع الآراء الفلسفية، ومعنىٰ هٰذا إخضاع تلك النصوص والحقائق إلىٰ هٰذه الآراء حتىٰ تسايرهم وتتمشّىٰ معها.

---

(١) إحصاء العلوم (ص: ٨٧-٨٨).

(٢) انظر: التَّفسِير والمفسرون، الذهبي (٢/ ٤٦٦).

(٣) رسالة في أقسام العلوم العقلية = تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات لابن سينا (ص: ١١٨)، وانظر: الأثر الفكري لابن سينا في المشرق حتى القرن السابع الهجري، المؤلف: أزهار أسودي حسين (ص:٩) رسالة ماجستير (المكتبة الشاملة).

(٤) التَّفسِير الفلسفي للقرآن الكريم - الفيلسوف ابن سينا أنموذجا (دراسة نقدية)، د. عبد الله الخطيب (ص: ٥١).

وأما الطريقة الثانية: فهي شرح النصوص الدينية والحقائق الشرعية بالآراء والنظريات الفلسفية، ومعنىٰ هٰذا أن تطغى الفلسفة على الدين وتتحكَّم في نصوصه، وهٰذه الطريقة أخطر من الأولىٰ، وأكثر شرًّا منها على الدين»[١].

فهٰؤلاء من كبار فلاسفة الإسلام الذين اشتهر صيتهم، وتناقل اللاحقون تراثهم، وقد تأثر بهم فئام من علماء الشريعة والدين من المفسرين وغيرهم، وبخاصة الذين لديهم معرفة وعناية بالعقائد وعلم الكلام؛ ولهٰذا قام بالردِّ عليهم مجموعة من أئمة التَّفسِير كابن القصَّاب الكَرَجي (ت: نحو ٣٦٠هـ)[٢]، وغيره من المفسّرين كأبي حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ) الذي رد على الرازي (ت: ٦٠٦هـ) في عدد من المواطن في تفسيره[٣].

وبناء علىٰ عدد من هٰذه التفاسير والأخطاء التي وقعت في التَّفسِير والاستشهاد سواء من الفلاسفة أو من بعض المتأثرين بهم، حمل عدد من المفسرين بعض الآيات علىٰ ترجيح المنفعة في ترك الفلسفة، مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ [البقرة: ١٠٢]، فالآية وإن كانت في سياق السِّحر، إلا أنها تشمل غيره بجامع الضرر وقلة النفع[٤].

وفي هٰذا السياق يجدر التنبيه علىٰ أنَّ دعوة القُرآن الكَريم للنَّظر العقلي والتأمل والتفكير في أسباب الأمور ونتائجها مما لا ريب فيه (عند كل عارف لهٰذا النص)،

---

(١) التَّفسِير والمفسرون، الذهبي (٢/ ٣٠٩).

(٢) انظر: نكت القرآن الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام (١/ ٢٨٠).

(٣) انظر: البحر المحيط في التَّفسِير (٤/ ٥٢٧، ٦/ ٤٢٥)، وطبقات المفسرين، الداودي (١/ ١٤٣).

(٤) انظر: تفسير النسفي، دار النفائس (١/ ٧٩)، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) (٣/ ٢٠)، تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمٰن (ص: ٧٤٤)

ولا يلزم من وجود ذلك النداء العقلي القرآني قبول كل ما تطرحه الفلسفة من مواد ومصطلحات، فالفلسفة نهج ومضامين، وأصبح لها نسقٌ خاصٌّ (كغيرها من العلوم)، وطبيعة تعتمد على الاستشكال المتوالي الذي لا يلزم منه الانتهاء إلى نتيجة ثابتة، وهذا خلاف القُرآن الكَريم الذي يعرض الحجج والبراهين بقوة، ثم يبني عليها التسليم والإقرار أو الجحود والنكران، فـ«مجرد الدعوة إلى استخدام العقل، (أو) إثارة المشكلات الفلسفية ليس شاهدًا على وجود فلسفة» في القُرآن الكَريم، «وذلك لا ينقص من شأن القرآن كتابًا أوحى به الله هدى ورحمة للبشر»[1].

قال أبو نصر الفارابي (ت: ٣٣٩هـ): «ينبغي لمن أراد الشروع في علم الحكمة أن يكون شابًّا، صحيح المزاج، متأدّبًا بآداب الأخيار، قد تعلم القرآن واللغة وعلم الشرع أولًا، ويكون صيِّنًا عفيفًا متحرجًا صدوقًا، معرضًا عن الفسق والفجور، والغدر والخيانة، والمكر والحيلة، ويكون فارغ البال عن مصالح معاشه، ويكون مقبلًا على أداء الوظائف الشرعية، غير مخل بركن من أركان الشريعة، بل غير مخل بأدب من آداب السنة، ويكون معظمًا للعلم والعلماء، ولم يكن عنده لشيء قدر إلا للعلم وأهله، ولا يتخذ علمه من جملة الحرف والمكاسب، وآلة لكسب الأموال، ومن كان بخلاف ذلك فهو حكيم زور»[2].

ومن المفكرين المعاصرين الذين أسهموا في إبراز المنهج الفلسفيّ في تفسير القُرآن الكَريم: الفيلسوف التونسي الدكتور أبو يعرب المرزوقيّ، فهو يقول: «إنّ التَّفسِير الفلسفيّ للقرآن الكريم ليس هو أمرًا ضروريًّا للمسلمين من منطلق

---

(١) قضايا من رحاب الفلسفة والعلم، د. توفيق الطويل (ص: ١٥٨، ١٥٩).

(٢) تاريخ حكماء الإسلام، ظهير الدين البيهقي (ص: ٣٤-٣٥). وكذلك للفارابي عدة عبارات عن ذات الفكرة كما يُعبر: «الفلسفة بالحقيقة، والفيلسوف بالحقيقة» في رسالة: تحصيل السعادة (ص: ٦١).

الوضع الإسلامي الراهن فحَسب، بل هو كان ينبغي أن يكون ضرورةً من بداية الدعوة الإسلامية. فالقرآن هو الذي اعتبر تبيُّن حقيقة القرآن أمرًا سَيُري اللهُ الناسَ آياته في الآفاق والأنفس حتىٰ يتبيّن لهم أنه الحق»[١]. ويقول في الدفاع عن هٰذا النوع من التَّفسِير: «لٰكنّ التَّفسِير الفلسفيَّ لا ينبغي أن يرفَض لأنه فلسفيّ، بل علّة الرفض ينبغي أن تكون لأنه ليس فلسفيًّا كما ينبغي أن يكون»[٢].

وفي نصٍّ له آخر يقرّر فيه بعض المعالم المنهجية التي سلكها في تفسيره، فيقول: «الخطاب الكوني في الرسالة الخاتمة ذو أسلوبين في التواصل، أولهما: يكون بلسان أمة معينة، هو في حالة الرسالة القُرآنيَّة اللسان العربي لرسم المعنىٰ، وخاصة ليكون الخطاب معينًا للعيّنة البذرة. وثانيهما: أن يكون بلسان كوني، هو القصّ الروائي لرسم معنى المعنىٰ؛ لئلا يبقىٰ فهمه مقصورًا على العرب، فيتم التحقيق الكلّي. فأما الحاجة إلىٰ لسان معين فالعلّة فيه هي أن يكون الخطاب مفهومًا عينيًّا وبمعناه المباشر من أجل تحقيق الأمة البذرة: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]. وأما الحاجة إلىٰ لسان كوني؛ فحتىٰ يكون الخطاب كليًّا قابلًا لعلاج كلّ الوضعيات التاريخية التي هي البنية العامّة للرهان التاريخي لموضوع الإستراتيجية»[٣].

ومقاربة المرزوقي ورؤيته جديرة بالتأمُّل والدراسة؛ لأنها قد تكون من النماذج التي يصلح أن تكون مثالًا جيدًا ومقبولًا لمثل هٰذا النوع من الطرح،

(١) الجلي في التَّفسِير، إستراتيجية القرآن التوحيدية ومنطق السياسة المحمدية، ج١، مقومات الإستراتيجية والسياسة المحمدية، أبو يعرب المرزوقي، تونس، الدار المتوسطية للنشر، ٢٠١٠م، (ص: ١٩٣).

(٢) فلسفة الدين من منظور الفكر الإسلامي، أبو يعرب المرزوقي، بيروت، لبنان، دار الهادي، ط١، ٢٠٠٦م، (ص: ١٩٤).

(٣) الجلي في التَّفسِير، إستراتيجية القرآن التوحيدية ومنطق السياسة المحمدية، ج١، مقومات الإستراتيجية والسياسة المحمدية، (ص: ٨٠).

ولا سيما في فترة رواج المعتنين بالفلسفة والقراء لها من كافة المجالات، سواء من المتخصصين فيها أو غيرهم من محبي المعرفة، فالسعي لإيجاد مواءمة علمية منهجية دون شطَط وغلوّ أسلمُ وأولىٰ من الرد المجمل[١].

ولا يخفىٰ أن هٰذه المعارف الفلسفيّة والفكريّة عمومًا لها حضور قويّ عند أربابها وغيرهم من القراء وأهل الأدب والتربية، ولها وجود لا يمكن إنكاره، والحديث ليس عن تفاصيلها؛ «ولٰكن الهدف هو إظهار التكامل بين معارف الأوائل والمعارف الدينية، أو على الأقل وضع تصور جديد لا ينبذ الفلسفة ولا يهمل الشريعة، ويتمتع بشمول يحترم الفكر ويجد من الفكر نفسه كل تقدير»[٢].

المحور الثاني: من آثار التفاعل البينيّ على الدِّراسات القُرآنيَّة:

الحضارة الإسلامية تتَّسم بالسعة والشمول، ونتيجة لهٰذا الامتداد الزماني والمكاني وتعدّد الأعراق واستيعاب الثقافات والعلوم دخل عدد من العلماء في هٰذه الميادين المعرفية الحديثة في الثقافة العربية، سواء كانوا من تلك الأمم التي انتمت للإسلام لاحقًا أو من غيرهم نتيجة التواصل، وبذٰلك كتبوا بمقاصد حسنة في الجملة، وراموا تقريب هٰذه التخَصُّصات من المجتمع المسلم، ولا بدَّ أن يكون ذٰلك عبر كتابهم المحكم الذي يصدرون عنه: القُرآن الكَريم بحسب اجتهاداتهم وأغراضهم المختلفة التي تقترب تارةً حين يكون الموضوع دنيويًّا بحتًا وظنّيَّ الدلالة، وتبتعد تاراتٍ عندما تخوض في العقائد والتشريعات الدينية المحضة، ومن نتائج هٰذه العلاقة استنهاض العقول لضبط هٰذه الإشكالية البَينيَّة:

---

(١) وقد قام بعض الباحثين مشكورا بعرض وتحليل عمل المرزوقي، فمن بحثه اعتمدت في النقل عنه: سلسلة المقالات المتعلقة بالاجتهاد التَّفسِيري الفلسفي المعاصر لأبي يعرب المرزوقي، محمد كنفودي، موقع مركز تفسير للدراسات القُرآنيَّة، الرابط: https://2u.pw/5YCIvgT.

(٢) رسائل ابن حزم (٤/ ١٠) (قسم الدراسة).

* **المنحى المنهجي سواء بالمصنَّفات أو التقريرات الضمنيَّة:**

هٰذه الإشكالات الدقيقة التي تحدث بين أرباب التخَصُّصات من أهم ما يُحفِّز العقل للبحث الجادّ، وطرح الأسُس والأدوات العِلميَّة للتعامل مع مثل هٰذه الموضوعات البَينيَّة، وفي مثل ذٰلك يقول الشاطبي (ت: ٧٩٠هـ): «العلوم المضافة إلى القرآن تنقسم علىٰ أقسام: قسم هو كالأداة لفهمه واستخراج ما فيه من الفوائد، والمعين علىٰ معرفة مراد الله تعالىٰ منه؛ كعلوم اللغة العربية التي لا بدَّ منها، وعلم القراءات، والناسخ والمنسوخ، وقواعد أصول الفقه، وما أشبه ذٰلك؛ فهٰذا لا نظَر فيه هنا.

ولٰكن قد يُدَّعىٰ فيما ليس بوسيلة أنه وسيلة إلىٰ فهم القرآن، وأنه مطلوب كطلب ما هو وسيلة بالحقيقة، فإن علم العربية أو علم الناسخ والمنسوخ وعلم الأسباب وعلم المكي والمدني وعلم القراءات وعلم أصول الفقه معلوم عند جميع العلماء أنها معينة علىٰ فهم القرآن، وأما غير ذٰلك فقد يعدّه بعض الناس وسيلة أيضًا ولا يكون كذٰلك، كما تقدّم في حكاية الرازي في جعل علم الهيئة وسيلة إلىٰ فهم قوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦].

وزعم ابن رشد الحكيم في كتابه الذي سماه بـ(فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال) أن علوم الفلسفة مطلوبة؛ إذ لا يُفهم المقصود من الشريعة على الحقيقة إلا بها، ولو قال قائل: إن الأمر بالضدّ مما قال لما بعُد في المعارضة.

وشاهدُ ما بين الخصمين شأن السلف الصالح في تلك العلوم، هل كانوا آخذين فيها، أم كانوا تاركين لها أو غافلين عنها؟ مع القطع بتحقُّقهم بفهم القرآن،

يشهد لهم بذلك النبي ﷺ والجم الغفير؛ فلينظر امرؤٌ أين يضع قدمَه، وثَمَّ أنواع أخرُ يعرفها من زاول هذه الأمور، ولا ينبئك مثل خبير؛ فأبو حامد ممن قتل هذه الأمور خبرة، وصرح فيها بالبيان الشافي في مواضع من كتبه»[١].

وثمّة دراسات وآراء متعدِّدة عبر التاريخ العلميّ، سواء كانت ضمنية أو مستقلة، تسلك هذا المنحى في رصد المقاربة عمومًا بين الشريعة والفلسفة والمنطق، وأثمر ذلك رؤى جادة ومؤلفات متعددة لأئمة وعلماء من كافة المذاهب الإسلامية، كالغزالي (ت: ٥٠٥هـ) الذي مهّد لعلم المنطق في العلوم الشرعية، وجعله مقدمة لها باعتباره منهجا عاما للفكر، ولأصول الفقه خاصة الذي يلتقي معه في شكل التنظير، وربط بعض أجزائه بالقُرآن الكَريم التي يشهد لها الحس والتجربة في كتابه: (القسطاس المستقيم) عبر عدة موازين ذكرها[٢]، وابن رشد الحفيد (ت: ٥٩٥هـ) الذي أشار له الشاطبيّ، ثم ابن الوزير (ت: ٨٤٠هـ) الذي كتب في ترجيح الأساليب القُرآنيَّة[٣]، ولا يخفى أيضًا نقد ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) لمزج هذه العلوم عمومًا بالتخَصُّصات الشرعية[٤]، وهكذا تتابع الجدل العلميُّ

(١) الموافقات (٤/ ١٩٨-١٩٩).

(٢) انظر: القسطاس المستقيم (ص: ٥٤). ولا يخفى دور الفقيه الأصولي المتكلم الإمام الغزالي رحمه الله في تقريب المنطق للعلوم الشرعية من خلال كتبه: معيار العلم، ومحك النظر، ومقدمة المستصفى، إضافة لجهده في تنقيح الفلسفة والرد على الفلاسفة فيما تجاوزوا فيه النظر العلمي في كتابين: مقاصد الفلاسفة، وتهافت الفلاسفة، وثمة أيضًا ردود للحفيد عليه في كتاب: تهافت التهافت. انظر: تاريخ العلاقة بين الدين والفلسفة في الإسلام، (دراسة في صدر كتاب فصل المقال بإشراف، د. محمد عابد الجابري)، وكذلك المدخل العام لتهافت التهافت بإشرافه، ومقالة علمية باسم: فصل المقال فيما بين فلسفة البشر وحكمة القرآن من الانفصال عند الحكيم بديع الزمان، د. طه عبد الرحمن، (نشرت ضمن كتابه: سؤال المنهج)، وعلاقة علم أصول الفقه بعلم المنطق، د. وائل الحارثي (ص: ١٥٥).

(٣) انظر كتابه: ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان.

(٤) بخاصة في كتابيه: الرد على المنطقيين، والانتصار لأهل الأثر، إضافة لموسوعته الكبيرة: درء تعارض العقل والنقل.

وتباينت المواقف إلى عصرنا الحاضر(١)، وسيبقى الاختلاف قائمًا ما بقي العلم، ولا شك في إيجابية مثل هذا الثراء البحثيّ للأفكار الذي يصقل العقل والتفكير.

*** التكامل الشخصيّ في بناء عقليّة المفسر:**

مِن أولى الضروريَّات التي على العقل المفسِّر -الذي يشتغل ببيان القُرآن الكَريم- أن يعيَها: إتقانُ ما يؤهّله للنظر في علم التَّفسِير كغيره من العلوم، فتحديد المعنى المرادِ يقوم على أسس متعددة مصدرُها الكلي من ذات الوحي (قرآنًا وسنة)، واللغة العربية وعلومها، وهو ما تجده مجموعًا ومفصَّلًا في كتب أصول التَّفسِير(٢)، وسيأتي مزيد بيان ذلك في مبحث خاصّ، وأجزاء منه منثورة في علوم القرآن ومقدمات كتب التَّفسير.

وما يتبع المعنى المقصودَ كالاستنباط والاستشهاد أو الفهوم المتعدّدة في إلحاق بعض المعلومات بالقرآن يحتاجُ فيه المرء إلى تريّث كبير، وإدراك معرفي لدلالات الألفاظ في أصول الفقه؛ حتى يزن كلامه واجتهاده بقسطاس العلم، وكلّ مستنبط لا غنى له من معرفة الحد الأدنى في أصول الفقه، ولا سيَّما مباحث الدلالات عمومًا، ولدى الحنفية بالنسبة للمفسر خصوصًا(٣).

---

(١) التَّفسِير والمفسرون، الذهبي (٢/ ٢٦٤).

(٢) على سبيل المثال لا الحصر: أصول التَّفسِير وقواعده، خالد عبد الرحمن العك، والتحرير في أصول التَّفسِير، د. مساعد الطيار، وعلم أصول التَّفسِير محاولة في البناء، د. مولاي عمر بن حماد.

(٣) ثمة كتب متداولة لتحصيل أصول الفقه على طريقة الجمهور خاصة، مثل: أصول الفقه، د. محمد أبو النور زهير، وكتاب: المصفّى في أصول الفقه، ابن علي الوزير، وأحدهما أو كلاهما يكفي لغير المتخصصين، مع تفضيل الأول للمتقدمين، والثاني للمتوسطين. وأشير لمدخل جيد في طريقة الحنفية: تهذيب مسار الوصول إلى علم أصول فقه الحنفية، د. صلاح محمد أبو الحاج، وفي مباحث الدلالات وتطبيقاتها على الآيات؛ أشير لكتاب: المناهج الأصولية في الاجتهاد بالرأي في التشريع الإسلامي، د. فتحي الدريني. رحم الله الأموات منهم وحفظ الأحياء.

وأمّا كافة المعارف القديمة والحديثة فتدخل ضمنَ ما يُعرف بعلوم المفسر التي يوسِّع بها مداركَه، ويتعلّم منها المفيد وما يستطيع دون أي حرج، فالعلم نور وبصيرة للعقل، ومن جهل فنًّا عاداه، ولا يلزم إدراك المرء لعلمٍ ما أن يستدعيه في كل حديث، ويختلق له المناسبة وإن لم توجد، فهذا هو الذي يقع فيه اللومُ والغلط في التَّفسِير أو غيره، وثمة مساحات بين ذلك تختلف فيها التقديرات والأمزجة.

يقول ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ): «إن علاقة العلوم بالقرآن على أربع مراتب:

الأولى: علوم تضمّنها القرآن كأخبار الأنبياء والأمم، وتهذيب الأخلاق والفقه والتشريع والاعتقاد والأصول والعربية والبلاغة.

الثانية: **علوم تزيد المفسّر علمًا** كالحكمة والهيئة وخواصّ المخلوقات.

الثالثة: علوم أشار إليها أو جاءت مؤيّدة له كعلم طبقات الأرض والطب والمنطق.

الرابعة: علوم لا علاقة لها به إما لبطلانها كالزجر والعيافة والميثولوجيا/ الأسطورة، وإما لأنها لا تعين على خدمته كعلم العروض والقوافي»[1].

فالمفسر والباحث عمومًا لا ينبغي له أن يستخفَّ بالمعرفة، ولا يستهجن الاهتمام بها، ولا سيَّما مع إمكانية الانتفاع بها وتمحيصها.



(١) التحرير والتنوير (١/ ٤٥).

الحقبة الثالثة: النزعة التجريبيَّة والماديَّة:

تتداخل هٰذه الحقبة مع التي قبلها، فالمادة التي تتمثل في الشيء المحسوس والجسم الذي يظهر بأشكال مختلفة موجودةٌ وقديمة قِدم البشر، منذ أن خلق الله الأرض وما عليها، سائلةً كانت أو صلبةً أو غازيةً، ولٰكن في العصور المتأخرة أصبحت مذهبًا معاصرًا يعتمد المادة وحدها لتفسير الكون والمعرفة والسلوك[1]، فهي ليست حديثة ولا ما ينتج عنها من المعارف والأفكار التي يتمّ استنتاجها عبر الاختبار والاستقراء.

ولٰكن الأمر الذي تفاقم في هٰذا الشأن (عند البعض) هو الإيغال في اعتمادها، واتخاذها المصدر الأوحد دون غيره، وقد تعزَّز ذٰلك بما يمكن تسميته بثورة المعلومات والصناعات الفائقة التي يحار منها المرء، وتصيب العقل بالدهشة والذهول، وبذٰلك أصبح العالم قرية واحدة، مما سهّل عواملَ الاتصال فيما بين الناس، فغابت الحدود الحسية والمعنوية، وراجت الأفكار عند كل الأمم على السواء دون تمييز اجتماعيّ أو تخصيص مكانيّ كما سيتضح في المحورين التاليين:

الأول: صلة الدِّراسات القُرآنيَّة بالتخَصُّصات الطبيعية:

الدِّراسات القُرآنيَّة (كما نبهنا مرارًا) لا تجافي أي علم قديم أو حديث متى عُلمت الحدود والشروط المنهجية في رسم تلك العلاقة، ولٰكن مع التطورات الكبرى للعلوم الطبيعية أصبح هناك ما يمكن تسميته بشكل من أشكال البحوث البَينيَّة في الدِّراسات القُرآنيَّة، وهو ما يُعرف باسم: التَّفسِير العلمي،

(١) انظر: المعجم الوسيط (٢/ ٨٥٨)، ومعجم اللغة العربية المعاصرة (٣/ ٢٠٧٧)، جذر (م د د).

وهو يعدّ من ألوان التَّفسِير المعاصر، يراد به: الاستناد إلىٰ حقائق العلم التجريبي ونظرياته في شرح آيات الطبيعة والإنسان التي وردت في القُرآن الكَريم في سياقات شتىٰ ومواضع متعددة[١].

ومن التعريفات المختصرة له القول بأنه: «تفسير القُرآن الكَريم بحقائق العلم التجريبي»[٢]، وكذلك يمكن تقريب صورته بأنه من قبيل التفاسير التي لها اختصاص بأمر ما كالأحكام، فعلىٰ غرارها ظهر مثل هذا النوع من التفاسير التي «وقع الاهتمام فيها بعدد من الآيات تمتُّ بموضوعها إلى العلوم الحديثة بصلة كالآيات التي يُذكر فيها الكون بأرضه وسمائه وكواكبه، والآيات التي تتحدث عن الإنسان في خلقته وخُلُقه، وعاداته في تفرده وفي اجتماعه. واتخذ التأليف في هذا النوع من الآيات صورتين:

* صورة نُسجت علىٰ منوال مناهج بعض المفسرين (بالوقوف على السور وتفسيرها كاملة بحسب ترتيبها في المصحف كتفسير الجواهر).

* الدراسة المركزة على الآيات العلمية أو الآيات الكونية الواردة في القرآن، يذكرها المؤلف عادة دون تقيد بترتيبها في المصحف..

وعُرف البحث في هذا الموضوع بالتفسير العلمي، أو الاتجاه العلمي في التفسير، أو التفسير العصري»[٣].

ولا يخفىٰ علاقة هذا اللون من التَّفسِير بما ذاع واشتهر باسم: «إعجاز القرآن»، ويُفرَّق بينهما على النحو التالي: «التَّفسِير العلمي يختلف عن الإعجاز العلمي؛

---

(١) انظر: مدخل إلىٰ تفسير القرآن وعلومه، د. عدنان زرزور (ص: ٢٣١).

(٢) التَّفسِير بمكتشفات العلم التجريبي بين المؤيدين والمعارضين، الدكتور محمد الشايع، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد (٤)، عام ١٤١١هـ.

(٣) التفسير العلمي، هند شلبي (ص١٤-١٥)، وما بين القوسين ليس للمؤلفة.

لأن الإعجاز لا يكون إلا فيما تحقق ثبوته، ولذٰلك يُعَرَّف الإعجاز بأنه: إخبار القُرآن الكَريم أو السنة النبوية بحقيقة أثبتها العلم التجريبيّ أخيرًا، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول ﷺ، وهٰكذا يظهر اشتمال القرآن أو الحديث على الحقيقة الكونية، التي يؤول إليها معنى الآية أو الحديث، ويشاهد الناس مصداقها في الكون، فيستقرّ عندها التَّفسِير، ويعلم بها التأويل»(١).

وقد ظهرت بوادر هٰذا النوع من التَّفسِير قبل هٰذه الحِقبة، كما تقدّم عند فلاسفة المسلمين وبعض المتكلمين، ولعل أبرز مساند للتفسير العلمي ما حصل من التنظير والتطبيق من قِبل الإمامين الغزالي (ت: ٥٠٥هـ) والرازي (ت: ٦٠٦هـ)، **ولكن رغم ما وقعا فيه من تجاوزات نبه عليها عدد من العلماء لم يكن ذٰلك بالغرض الأوحد لديهما، مع عدم سعيهما قصدًا لإبطال أقوال السابقين من أئمة الشأن، إضافة للتمكّن اللغوي والشرعي الذي يجعل اجتهادهما محل النّظر والتقدير في عدد من القضايا التي يَحتمل فيها اللفظ القرآني قولهما، كما أن الطغيان المادي والافتتان به لم يكن في ذٰلك الزمن كما هو عليه في السنوات المتأخرة؛ ولذٰلك من الخطأ الذي وقع في عدد ليس بالقليل من الدِّراسات: إيهام المجتمع العلمي بأن الغزالي والرازي من المؤيدين للتفسير العلمي بالشكل الحديث دون تفصيل. وهٰذا يصدق علىٰ غيرهما من علماء التراث كالزركشي والسيوطي وغيرهما من المتقدمين.**

ومِن أبرز العوامل التي أسهمت في إيجاد هٰذا الحقل التَّفسِيري البيني وتطوّره: سطوة العلم التجريبي في الغرب وانقلابه على استبداد الكنيسة، الذي يُعتبر تحولًا جوهريًّا في أوربا بتهميش هيمنة رجال الدين، وإعلاء العلم التجريبي بنظرياته ومكتشفاته التي تركت أثرها على العالَم بأكمله في السنوات اللاحقة،

(١) انظر: الكفاية في التَّفسِير بالمأثور والدراية، د. عبد الله خضر حمد (١/ ١٤٤).

وذلك ابتداء من منتصف القرن السادس الميلادي/ أواسط القرن العاشر الهجري[١]، وزاد بسط هذا الأمر بعوامل متعددة، وثورات حجاجية متعاقبة في العلم والصناعة[٢]، ونداءات بالإصلاح الشامل والتنمية الحضارية[٣]، مع تسييد الفردانية، وإدخال الإنسان كأساس حديث للأفكار؛ وبذلك بدأت العصور الجديدة، وتبددت الحقائق القديمة[٤].

ونتيجة لهذه التغيّرات الجذرية في الفكر الأوربي تسللت سلطة الأفكار التجريبية للعقل العلمي لدى المسلمين، ولا سيّما أن الحضارة الإسلامية لم تعرف أزمة الصراع الحاد بين العلم والدين، بل كانت التجربة ماثلة في ميدانها اللائق بها، ولكن مع ضعف البلاد الإسلامية وتفرقها وقوة الغرب امتدت آثار ثقافته لبلاد المسلمين في الحاضر، الذين كانوا أفضل حالًا (علميًّا وحضاريًّا) في الجملة من أوربا في العصور الوسطى[٥]، وقد تقاربت الأفكار بين الأمم بأسباب كثيرة، منها: القرب الجغرافي، وشيوع الترجمة، والتبادل التجاري والمعرفي، إضافة لحملات الاستعمار على البلدان العربية والإسلامية في آسيا وأفريقيا وغيرها من الأسباب.

---

(١) انظر: تاريخ العلم، جون غريبين، ترجمة: شوقي جلال (١/ ١٤) من إصدارات عالم المعرفة، ٢٠١٢م.

(٢) انظر: مختصر تاريخ العلم، ويليام بينوم، ترجمة: أحمد الزبيدي (ص: ٢٧٤)، وقد «كانت الثورة الصناعية (تقريبًا من ١٧٦٠ إلى ١٨٥٠) نقطة تحوُّل في تاريخ العالم؛ حيث دشَّنت عهدًا من النمو الاقتصادي المتواصل». التاريخ الاقتصادي العالمي: مقدمة قصيرة جدًّا، روبرت سي آلن، ترجمة: محمد سعد طنطاوي، مراجعة: هبة نجيب مغربي (ص: ٣٥).

(٣) انظر: تاريخ الصراع بين العلم والدين، جون ويليام، ترجمة: عبد الكريم ناصيف (ص: ٢٧٧)، والتاريخ الأوروبي الحديث، د. عبد الحميد البطريق - د. عبد العزيز نوّار (ص: ١٣).

(٤) انظر: مغامرة الفكر الأوروبي - قصة الأفكار الغربية، جاكلين روس، ترجمة: أمل ديبو (ص: ١٠٧).

(٥) المرجع السابق (ص: ٢٨١)، وفي البدء فيزياء، فلسفة وتاريخ علم الكون، سليم زاروبي (ص: ٤٣).

وتعزَّز هٰذا التواصل العلميّ «بعد أنِ ارتقىٰ محمد علي عرش مصر سنة (١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م) فقام بإرسال بعثات علمية إلىٰ أوربا، ولا سيّما فرنسا، وكان من رواد تلك البعثات رفاعة الطهطاوي (ت: ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م) الذي كان له ولغيره من المبتعثين دور في نقل بعض العلوم الحديثة إلى العالم الإسلامي.

ولما وجد بعض العلماء المسلمين الذين لهم اهتمام في تفسير القُرآن الكَريم تلك العلوم الحديثة أمامهم، وإيمانًا منهم بصدق ما جاء في القرآن، وبأثر مما كان يعاني منه المسلمون من ضغوط نفسية وإعراض عن الدين الإسلامي في تلك الأيام = اجتهد هٰؤلاء في ربط القرآن بهٰذه العلوم الحديثة.

وممن كتب في هٰذا المجال (من أهل القرن الثالث عشر) الطبيب محمد بن أحمد الإسكندراني (ت: ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٩م) في مؤلفه الموسوم بـ«كشف الأسرار النورانيَّة القرآنيَّة فيما يتعلق بالأجرام السماوية والأرضية والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية»، وكتابه الآخر: «تبيان الأسرار الربانية في النبات والمعادن والخواص الحيوانية»، وقد طبع الكتاب الأول في القاهرة سنة (١٢٩٧هـ) والثاني في سورية سنة (١٣٠٠هـ).

ولا تخلو كتابات جمال الدين الأفغاني (ت: ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م) من الحث على التوفيق بين القرآن والعلم، حيث يقرر أنه لا خلاف بين الحقائق العِلميَّة والآيات القُرآنيَّة»[(١)].

---

(١) التَّفسِير العلمي للقرآن الكريم، حقيقته - تاريخه - الفئات التي حملت لواءه - أخطاره ومحاسنه، د. محمد بن إبراهيم أبا الخيل، موسوعة البحوث والمقالات العِلميَّة (المكتبة الشاملة - الشبكة الإلكترونية) بتصرف يسير، وانظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية (٨/ ٢٣٢٥)، واتجاهات التَّفسِير في القرن الرابع عشر، د. فهد الرومي (٢/ ٦٧٩).

وفي النص التالي يوضِّح الإسكندراني (ت: ١٣٠٦هـ) دور العلم التجريبي والاحتكاك مع الغرب في بعث هٰذا النوع من التَّفسِير، يقول رحمه الله: «وكنت منذ زالت عني تمائم الطفولية ونيطت بي عمائم الرجولية ممن شغف بتعلم الطب ليالي وأيامًا، وأنهمكُ في دراسته علىٰ قدر الطاقة سنين وأعوامًا.. ثم أقمت بدمشق الشام معتنيًا بمداواة أهلها الأماثل الأعلام، إلىٰ أن اجتمعت في محفل سنة (١٢٩٠هـ) ببعض الأطباء المسيحيين، فشرعوا يتحادثون في كيفية تكوّن الأحجار الفحمية: هل أُشير إليها في التوراة والإنجيل أم لا؟ فبعد الأسئلة والأجوبة والقيل والقال، وإجراء البحث والجدال، حكموا وعوَّلوا علىٰ أنه لا يوجد لها ذكر فيهما أصلًا لا صريحًا ولا إشارةً تؤخذ منهما وتفهم فهمًا، ثم خصَّصوا بي المقال ووجَّهوا إليَّ السؤال: هل أشير إليها في القرآن الشريف أم صرّح بذكرها في ذٰلك الكتاب المنيف؟ وإن لم يشر إليها فيه بشيء، فكيف قال تعالىٰ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]؟ وإن أشير إليها فيه، ففي أيّ موضع أشير إليها؟ وفي أي سورة نصّ عليها؟ فتصدرت للجواب وتلطّفت في التفهيم والخطاب قدر طاقتي ووسعها؛ لأن الله ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وتتبَّعت كلام كثير من العلماء، وتصفَّحت ألوفًا من مسائل الفصحاء والبلغاء، وتفرّدت في طلبه من كتب التَّفسِير والطب القاصية، ووقفت علىٰ كلام كثير من العلماء بهمَّة عالية مع زيادة الاجتهاد والجدّ، والحرص والتعب والكدّ، واجتنيت ولله الحمد من رياضها ثمار أشجار الأقلام، واستخرجت من بحار سطورها فرائد فوائد المفسرين الأعلام، وازدادت همتي من بعد وقوفي علىٰ حقيقة تكوّن الحجر المشار إليه، فبينت كيفية تكوّن الحيوانات والنباتات والأجرام السماوية والأرضية والجواهر المعدنية،

مقتصرًا غالبًا على القول المعتمد عليه، وأبرزت ذلك في ثلاثة أبواب كلها بساتين أزهار أو حدائق معارف، تفجرت منها الأنهار، وأرجو من الله الكريم المنان ذي الفضل والجود والإحسان أن تتلقاها الناس بالقبول»(١).

ومن هنا نَشِط في أواخر القرن الثالث عشر الهجري ما يُعرف بـ«التَّفسِير العلمي»(٢)، وقد كان ذلك «من تأثير الحياة المادية، وانبهار أهله بما توصل إليه المستعمرون الأوروبيون، فشكل تيارًا فكريًّا جارفًا مال إلى التَّفسِير بالنظريات العِلميَّة»(٣)؛ ولهٰذا «استمرت هٰذه النزعة في التَّفسِير العلمي، وأصبحت فيما يبدو وجهًا من تعليل إعجاز القرآن، أو بيان صلاحية الإسلام للحياة، وإذا كان هٰذا التَّفسِير قد ظهر في مثل محاولة الفخر الرازي ضمن تفسيره القرآن، فقد وجدت بعد ذلك كتب مستقلة في استخراج العلوم من القرآن، وتتبع الآيات الخاصة بمختلف العلوم، وراجت هٰذه الفكرة في العصر المتأخر.. ولعل من أكثر من جمع في هٰذا وأطال المرحوم الشيخ طنطاوي جوهري (ت: ١٣٥٨هـ) في (الجواهر في تفسير القُرآن الكَريم)»(٤).

وقد جمع في تفسيره هٰذا «من العلوم والمعارف ما أخرجه عن كونه كتاب تفسير، فقد استطرد فيه مع كلّ علم، وجمع فيه كلّ غريب، ورسم فيه صورًا متنوعة عن النباتات والأعشاب والحيوانات والطيور إلىٰ غير ذلك من الكائنات.

(١) كشف الأسرار النورانية القُرآنيَّة، محمد الإسكندراني، الناشر: المطبعة الوهبية، سنة النشر ١٢٩٧هـ، (١/ ٣-٤).

(٢) المراد أنّ المجال أصبح مسارًا ظاهرًا في التأليف، سواء كان بهٰذا المصطلح التركيبي أو غيره كـ«الإعجاز العلمي» وما في بابهما، واشتِهار مصطلح «التَّفسِير العلمي» كإجراء أغلبيّ علىٰ هٰذا اللون الذي ينزع للمادة لا يلزم منه سلب العِلميَّة عن المجالات الأخرىٰ كالتَّفسِير الفقهي أو اللغوي ونحوها.

(٣) شوائب التَّفسِير في القرن الرابع عشر الهجري (١/ ١٠٩).

(٤) موجز دائرة المعارف الإسلامية (٨/ ٢٣٢٥-٢٣٢٦) بتصرف.

وقد صنّف الشيخ -رحمه الله- كتبًا كثيرة.. يغلب عليها الجمع بين القرآن والعلوم المتنوعة، والغرائب المتعددة، والعجائب النادرة، فعلىٰ سبيل المثال له كتاب بعنوان: (القرآن والعلوم العصرية) ضمّنه مباحث عن علم الفلك والنبات والبحار والحشرات والحيوانات والطيور، وقد ذكر أن في القرآن آيات جامعات للعلوم العصرية، وختم كتابه بفصل يفصّل فيه العلوم العصرية المستخرجة من آيات سورة النحل»[١].

وهٰذا النوع من التَّفسِير في ظل انتشاره لم يسلم من النقد والتصحيح، ومن أشهر نقاده أمين الخولي (ت: ١٣٨٥هـ)، فهو قد وضع علىٰ عاتقه نقد هٰذا التَّفسِير «الذي انتشر في تلك الفترة التاريخية تحت ضغط الاتجاهات العِلميَّة»[٢]، وكذٰلك رده الدكتور الذهبي (ت:١٣٩٨هـ) الذي قال عن أربابه: «حسبهم أن لا يكون في القرآن نصٌّ صريح يصادم حقيقة علمية ثابتة، وحسب القرآن أنه يمكن التوفيق بينه وبين ما جَدَّ ويَجِدّ من نظريات وقوانين علمية، تقوم علىٰ أساس من الحق، وتستند إلىٰ أصل من الصحة»[٣]، وستأتي مجموعة من الضوابط والأسُس لمثل هٰذا النوع من التَّفسِير وغيره.

ومن المؤلفات في التَّفسِير العلمي والمعاصر[٤]:

- الكون والإعجاز العلمي للقرآن، الدكتور منصور حسب النبي.
- مع الطب في القُرآن الكَريم، عبد الحميد دياب والدكتور أحمد قرقوز.

---

(١) الآيات الكونية في سورة الأنعام بين المفسرين والعلم الحديث، أحمد محمود محمد (ص: ٥٣).

(٢) الإسلام العقلاني - تجديد الفكر الديني عند أمين الخولي، د. يمنى الخولي (ص: ٩١).

(٣) التَّفسِير والمفسرون (٢/ ٣٦٢).

(٤) للتوسع في ذكر الأمثلة، انظر: اتجاهات التَّفسِير في القرن الرابع عشر، د. فهد الرومي، والتَّفسِير العلمي التجريبي للقرآن الكريم - جذوره وتطبيقاته والموقف منه، د. عادل بن علي بن أحمد الشدِّي.

- القرآن ينبوع العلم والعرفان، علي فكري.

- التَّفسِير العلمي للآيات الكونية في القرآن، حنفي أحمد.

- ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة البرهان، محمود شكري الآلوسي.

- القرآن والعلوم الحديثة، محمود أبو الفيض المنوفي.

- الإعجاز العلمي في القرآن، د. البشير التركي.

- القرآن والكشوف الحديثة، وحيد الدين خان.

والأمثلة متعددة والدِّراسات متكاثرة ولا تزال بأساليب ومناهج مختلفة في أوعية متنوعة، مثل: رسائل جامعية، ومؤلفات مستقلة، وأبحاث ترقية، وأوراق بحثية في ندوات ومؤتمرات ونحوها، ولعل من أكثر ما تم الاهتمام به مؤخرًا في ظل التشكيك في القُرآن الكَريم وشبه الملحدين وغيرهم:

* الإعجاز العلمي.

* الإعجاز العددي في القُرآن الكَريم.

والتأليف في هٰذين المجالين تفاقم كثيرًا بسبب دخول أرباب التخَصُّصات الأخرىٰ فيه، فلم يعد التصنيف في هٰذين المسارين متوقفًا علىٰ أهل الدِّراسات القُرآنيَّة، بل خاض فيه الكل بمنهجية تفسيرية محكمة تارة ودون ذٰلك تارات، فالنيات الحسنة والصدق في خدمة الوحي والدفاع عنه لا تكفي في المعرفة والخوض في علوم لها نسقها المنهجي الدقيق وأسلوبها المعتبر في المجتمعات العِلميَّة، وهٰذا يشمل الطائفتين في المجالين الديني الشرعي والدنيوي التجريبي، فكل منهما يلزمه مراعاة ميدان العلم ومنهجه.

الثاني: من آثار التفاعل البينيّ على الدِّراسات القُرآنيَّة:

من نتائج الخوض في هٰذه الإشكاليات العِلميَّة المعاصرة مع مجال التَّفسِير ما يلي:

*** تحرير المفاهيم في الدِّراسات القُرآنيَّة:**

التداخل بين العلوم كثيرًا ما ينتج عنه الخلط في المفاهيم، وتبادل الأثر من علم إلىٰ آخر، والعكس كذٰلك، وغالبًا ما تتسلَّل هٰذه الآثار من التخَصُّصات التي تتمتع بالقوة النظرية العقلية، أو التي يكون لها انتشار وبروز في فترة تاريخية محدَّدة.

ولا شكَّ أن الحوار بين العلوم مثمِر، وفوائده أكثَر، ولٰكن قد تتضمَّن تلك المحاسن بعض السلبيات التي يجب التنبّه لها من الباحثين عند التحرير والنقل، وقديمًا قال ابن حزم (ت: ٤٥٦هـ): «لا آفة على العلوم وأهلها أضرّ من الدخلاء فيها وهم من غير أهلها، فإنهم يجهلون ويظنّون أنهم يعلمون، ويفسدون ويقدرون أنهم يصلحون»[(١)].

فمثل هٰذه الآفات تستدعي الضبطَ والتحرير لعددٍ من المفاهيم في العلم التي قد امتزج بها ما يُشكل علىٰ مفهومها وحدودها، وذٰلك ابتداء من مفهوم علم التَّفسِير، والرأي في التَّفسِير، وغيرها من القضايا ومسائل التخصص وتاريخه.

*** أبحاث الدَّخيل في علم التَّفسِير:**

من الموضوعات التي نشط فيها البحث مؤخرًا من خلال الصلة بين التخَصُّصات: ما يسميه أرباب الدِّراسات القُرآنيَّة بـ«الدخيل»، وهو مجال يحتاج لكثير من التدقيق والفحص، ومَن يكتب فيه يلزمه أن يحرِّر مجموعة من القضايا

---

(١) رسائل ابن حزم (١/ ٣٤٥).

والمفاهيم في العلم قبل الخوض فيه، وثمة أمثلة لهٰذه الأبحاث المتعددة، والمتفاوتة أيضًا في الجودة، سواء مادة ضمنية أو مستقلة[١].

***دعوات التجديد في التَّفسِير وعلوم القرآن:**

شهِدت الدِّراسات القُرآنيَّة في هٰذا العصر المتأخّر نشاطًا محمودًا، وحركة ظاهرة في الشرق أو الغرب الإسلامي، تمثّل ذٰلك بقيام عدد من المشاريع والأبحاث سواء الخاصة أو العامة، وهٰذا الأمر مما يستحق الرصد والتحليل من عدة جهات:

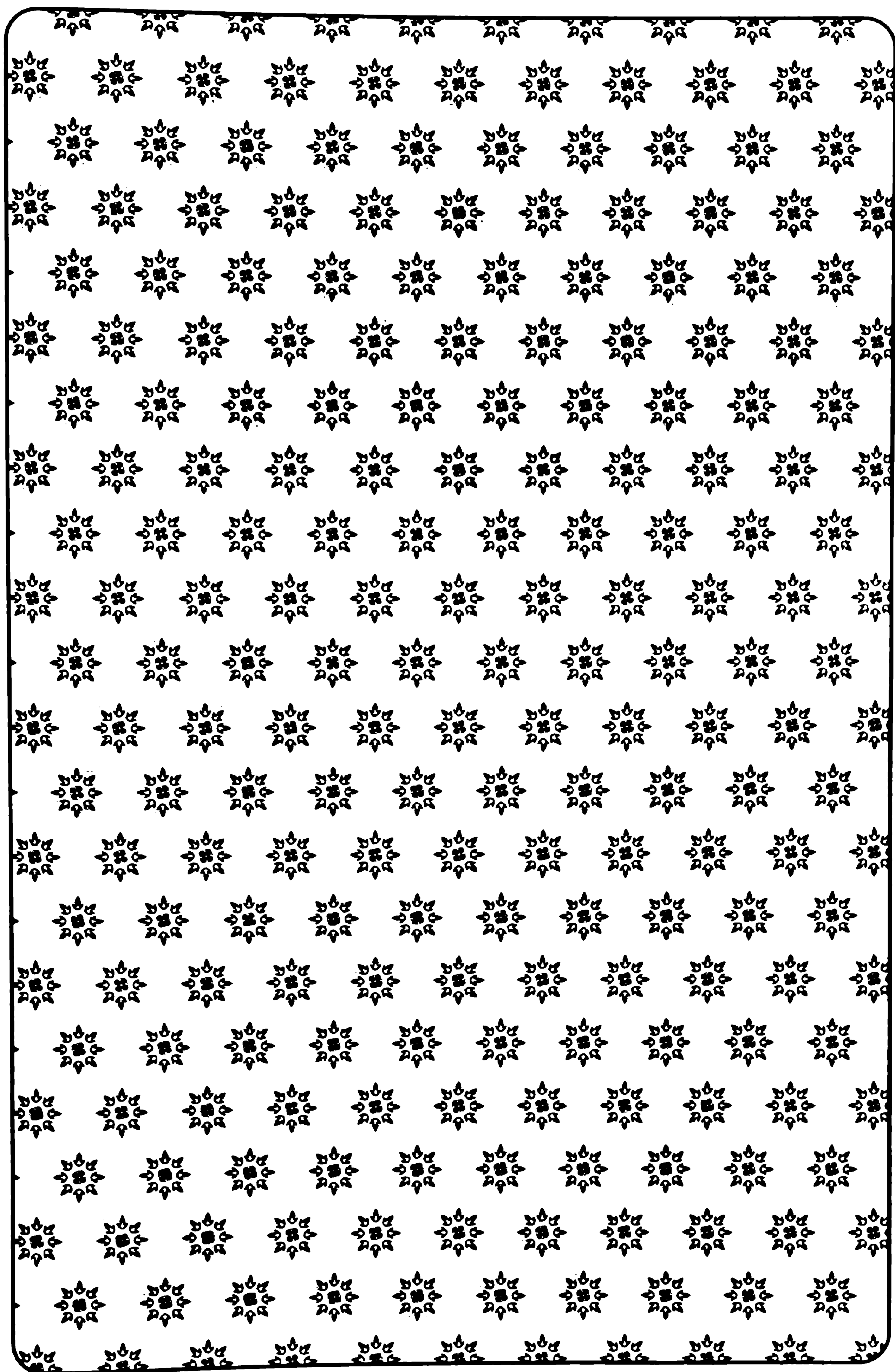
- في الجامعات العربية والإسلامية.

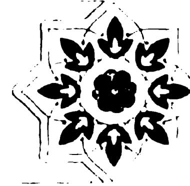
- في المراكز العِلميَّة والجمعيات المختصة بالتَّفسِير وعلوم القرآن.

- عبر جهود عدد من الشخصيات الاعتبارية في المجال، بشرطين: أحدهما: توفر الإنتاج البحثي وتميزه في الجملة عند الشخصية، والثاني: أثره في الدِّراسات القُرآنيَّة ومجتمعها.

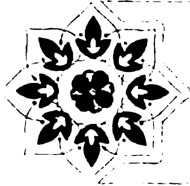


(١) فمن ذٰلك: الدخيل في تفسير القُرآن الكَريم، د. عبد الوهاب فايد، وأصول الدخيل في تفسير آي التنزيل، د. جمال مصطفى النجار، والدخيل في التَّفسِير: أسبابه، وعلاماته، وواجب العلماء نحوه، د. إبراهيم حسني عبد ربه إبراهيم، المجلة العِلميَّة لكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق، المجلد: (٢٩)، العدد: (٤)، ٢٠١٧م.





المبحث الرابع: الوعي بطبيعة التخَصُّصات في الدِّراسات البَينيَّة



هٰذا المحور تتميمٌ منهجيّ للمبحث السابق، ولا سيَّما كيفية التعامل مع علاقات العلوم (التجريبية والإنسانية والوافدة..)، فالحقائق العِلميَّة للتخَصُّصات ومبادئها تُعد أصلًا ضروريًّا لعملية العلاقة البَينيَّة، ومنطلَقًا منهجيًّا في فهم الاتصال أو الانفصال، وبما أن موضوعَ التداخل بين القُرآن الكَريم والعلوم الطبيعيّة والصحيّة والعقليّة كالفلسفة والمنطق وغيرها من الموضوعات الفرعية خاض فيه عدد كبير من الباحثين، ورصدوا كافة الآراء الموافقة والمعارضة (كما سيأتي في ذكر بعض الدِّراسات في الملحقات)؛ سنكتفي بعرض عدة مبادئ نقصد من ورائها التنبيه علىٰ أمور في هٰذا الشأن، عبر تناول القضية من زاوية مختلفة، تقترب من طبيعة الدِّراسات القُرآنيَّة:

المبدأ الأول: التَّحكيم لمرجعيَّة التخصُّص:

للعلوم أصلها ومعيارها المعتبر في المجتمع العلمي، سواء كان ماديًّا أو عقليًّا أو نصًّا متعاليًا، وأي بحث لا بد أن يخضع لهٰذه الأسس، ومن هنا تعددت مصادر المعرفة في الحضارة الإسلامية، بناء علىٰ محل البحث (نقليّ، حسيّ، عقليّ، حدسيّ..)، فليس ثمة مصدر معرفي أوحد لكل قضية، وهٰذا من السمات الحسنة التي دعا إليها القُرآن الكَريم، فقد استعمل مجموعة من المصادر بحسب الموضوع وسياق الخطاب.

وهٰكذا لكل علم منطقه الخاص لدى المجتمع الذي يعمل فيه، وهٰذا حال الأمم التي اشتهرت بالمعارف، تجد أنّها تعتمد منهجًا أو كتبًا مرجعية تُمثِّل عندها الأصل في البناء المعرفي (كما عند أهل الكتاب)، وكذٰلك بقية الأمم تجد أن لديها فلسفات وحِكمًا وضعها العقلاء منهم أشبه بالدساتير والأنظمة لقيام الحياة.

والأمر الذي لا مرية فيه لكل مدرك لتاريخ العرب وغيرهم من المسلمين أنّ القُرآن الكَريم هو مصدر الإلهام والنور المبين، الذي أمدّهم بالمضامين والمعاني والأفكار التي جعلتهم في موقع التأثير والإبهار عند الأمم في فترة وجيزة. فالوحي (قرآنًا وسنة) هو المنهج الأوحد فيما يُنسب لله سبحانه وتعالىٰ، وهو المصدر الأول في كافة الأخبار الغيبية والتشريعات العبادية، فليس هناك ما يماثله أو يدانيه في القطعية الثبوتية، وخلود النص بروحه واتساعه، وعمق الامتداد في التاريخ السابق واللاحق، فهو ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ﴾ [فصلت: ٢، ٣]، وهو ﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ [السجدة: ٣].

فالكتاب العزيز هو الأم في الحضارة الإسلامية؛ ولهٰذا كان له الصّدارة في تشكيل وعي المسلم. ومن الأسس العِلميَّة المطلقة التي جعلها التنزيل معيارًا للنظر في كافة الأمور والمعارف: فكرة الحجة والبرهان الحق، ومعيار النفع للإنسان والحياة مطلقًا، قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]، فلا يُقبل سوى الدليل المعتبر في كل شأن من شؤون الحياة؛ ولذٰلك نفى الله العلم والبصيرة علىٰ كل مقلِّد لا يخضع للدليل بعد وضوحه، قال سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾ [المائدة: ١٠٤]، فالوحي الإلهي يدعو

للمنهج العلمي الرصين الذي يتَّسق مع الإنصاف والعقل، وهٰذا شامل في كل العلوم الدينية والدنيوية.

وفي التأكيد على نفع البشرية والحفاظ على وجودها قال الله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥]، فهٰذه الآية تشير بإجمال لمنهج الكتاب الجديد مع الحياة وما فيها من المكتسبات التي سخّرها الله تعالىٰ للبشر وفق قوانينه العادلة، فقد أرسل الرسل «بالمفصَّلات من البيان والدلائل»، وأنزل «معهم الكتاب بالأحكام والشرائع، والميزان بالعدل»[(١)].

والحاصل في هٰذا السياق أن مبدأ التشريع والإثبات وعدم الإبطال والتعطيل أصل معياريّ في ضبط المواقف العِلميَّة، فمفردة «الكتاب (في الآية) إشارة إلى القوة النظرية، والميزان إلى القوة العملية، والحديد إلىٰ دفع ما لا ينبغي، ولما كان أشرف الأقسام رعاية المصالح الروحانية، ثم رعاية المصالح الجسمانية، ثم الزجر عما لا ينبغي، روعي هٰذا الترتيب في هٰذه الآية»[(٢)]. ومفردة المنافع مطلقة تدل علىٰ كل ما تحقَّق نفعه من الحديد ونحوه، وذٰلك يشمل «أنواع الصناعات والحرف، والأواني وآلات الحرث، حتىٰ إنه قَلَّ أنْ يوجد شيء إلا وهو يحتاج إلى الحديد»[(٣)].

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان، ت شاكر (٢٣/ ٢٠٠).

(٢) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التَّفسير الكبير (٢٩/ ٤٧٠).

(٣) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمٰن (ص: ٨٤٢).

وفي خاتمة هٰذا التنبيه لمراعاة قدسيّة الوحي ثمة قاعدةٌ شرعية وعقلية ضمن هٰذا التقرير، وهي قاعدة النافع والضار، وهي كلية يتفق علىٰ أصلها العقلاء، وتطبيقاتها متعددة ومتجددة ولا سيما في حياة الناس المدنية، ولا شك أنّ من أمثلتها ما يحظىٰ بالقبول ومنها ما يحتمل وتختلف التقديرات في حدوده وتغليب الضرر أو النفع فيه، وبعض العلوم المترجمة ونحوها من هٰذا القبيل.

المبدأ الثاني: مراعاة حال القضيَّة المطروقة في العلم:

المسائل والقضايا تتعدد في كل علم، فهي ليست علىٰ شاكلة واحدة، وحقل الدِّراسات القُرآنيَّة يتمتع بكثير من الثراء والتنوع، وفي داخله علوم ومباحث كبرىٰ مستقلة، ولهٰذا من المهم التنبه لكل قضية وصلتها المباشرة بالنص القُرآنيَّة، فمن يبحث في أصل القُرآن الكَريم ونزوله ليس كمن يبحث في الاجتهادات التَّفسِيرية العامة، فلكل منهما سياقه العلمي المعتبر، ومقامه الظنيّ والقطعيّ. ومن ذٰلك: القضايا التي تنتمي لمجال علوم القرآن، ومباحثُه واسعة، بل يمكن الإضافة عليها بزيادة عدة معارف يتم الربط بينها وبين التنزيل بوجه ما.

ومن هنا فدراسة العلاقة بين تلك المباحث مع الفلسفة أو علوم الطبيعة والإنسان، أو تناول موضوع خاصّ بالبحث كخلق الإنسان، ونظرية القيم بين الفلسفة والقرآن، أو الفطرة والغريزة ونحوها = كل ذٰلك له مجال مقنَّن في أصول التَّفسِير وقواعده مع أصول الفقه، لضبط آلة الاستنباط والمعنىٰ بحسب المرتبة العِلميَّة للمسألة.

وبذٰلك يتعدَّد النظر في الدِّراسات القُرآنيَّة البَينيَّة بحسب وجهة البحث ومساره، مثل:

- دراسات بينيّة عامة تنطلق من النص الإلهي (القُرآن الكَريم) وتفسيره، مع أحد العلوم التجريبية أو العقلية.

- دراسات بينية للتفسير من متخصِّصين في تلك العلوم يوظفونها في فهم القرآن.

- دراسات بينية لقضية محددة من علوم القرآن، مع الحس أو الفلسفة.

- الإعجاز العلمي في القُرآن الكَريم.

- التَّفسِير العلمي.

فالباحث تارة يستشهد فقط، وتارة يُفسر، وأخرىٰ يوفِّق ويوظف، ولكل وجهة من هٰذه ضوابطُ ومعايير حاكمة من المهم الوعي بها من قبل الباحثين في المجالين، فتخصُّص الفلسفة والعلوم الإنسانية والطبيعية أيضًا كغيرها من التخَصُّصات لها عدة مبادئ في البحث (يمكن مراجعتها عند أربابها)، سواء كان البحث من القرآن إلىٰ ذٰلك العلم، أو العكس، وكل ذٰلك مطروق لدى الباحثين، وفق الأمثلة التقريبية التالية:

- القرآن والفلسفة.

- الإنسان بين العلم الطبيعي والديني.

- الوجود الإنساني.

- التَّفسِير والفلسفة.

- مبادئ الطب في القُرآن الكَريم.

- علوم القرآن والفلسفة.

- العلوم الصحية مع القُرآن الكَريم.

- الأخلاق بين القرآن والفلسفة.
- مفهوم العلم بين القرآن والفلسفة.
- العقل بين الفلسفة والقرآن.
- نظرية الخلق بين القرآن والعلم الطبيعي.
- الحجة والبرهان بين القرآن والمنطق.
- ظاهرة البيان والتعريف بين النص القرآني ومنطق اليونان.
- مفهوم الحكمة بين المفسرين والفلاسفة.
- جهود علماء التَّفسِير في العلوم الطبيعية.
- دور العلوم (الطبيعية والعقلية والإنسانية) في تطبيق النص من خلال تفسير محدد.

فالغرض من هٰذا التمثيل هو التأكيد علىٰ ضرورة التميز بين طبيعة النصوص في كل علم وبحث، فمثلًا حين يقارن الباحث بين ذات القرآن مع أي علم آخر لا بد أن يُراعي أنه أمام نص إلهي محكم، ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، فمبدأ المقارنة باطل من الأساس من جهة النص وقطعية ثبوته وحفظه، ويقترب من ذٰلك التَّفسِير البياني للمفردات والجمل، ولا سيما المعاني القطعية للقرآن المجمع عليها، التي تتابع علىٰ نقلها أهل الخطاب.

والقول بأن القرآن كله حق لا يعني إبطال جملي لما سواه، ولا القبول المطلق لكل ما يُربط به اجتهادا. الأصل أن كل ما تضمنه لحكمٍ معتبرة من أهمها رسم المنهج للتفكير والنظر في المعرفة والحياة، الذي يتسق في الجملة مع كافة التخصصات، «والمتأمل في القرآن يلاحظ أنه من بين الكلمات التي كثر

ورودها فيه كلمة الحق وقد ذكرت بعدة معان منها: الله، القرآن، الإسلام، العدل، التوحيد، الصدق، الحق بعينه الذي ليس بباطل.

فالله حق في ذاته وأقواله وأفعاله، يعني أنه ليس باطلاً وأن كل ما أوجده كان بسبب ما تقتضيه الحكمة. والقرآن قوله وكلامه، من أجل ذلك سمي حقا في مثل قوله تعالىٰ: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾. وهذا يعني أن كل ما جاء في القرآن لا يمكن أن يكون إلا حقا. فكل الآيات الكونية سمتها الأولى الحق يعني الإتقان والإحكام. وهذا يؤدي إلىٰ كونها تصور ما تم بالفعل في خلق السماوات والأرض وما بينهما. يقول تعالىٰ ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾. كما يقول تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾»(١).

وبهذا يُعلم بأن من أهم أسس الدِّراسات البَينيَّة: معرفة المعايير والمصادر الحاكمة لهذا العلم أو ذاك، فمثلًا الدِّراسات القُرآنيَّة يتأسس منطقها التَّفسِيري علىٰ أمرين:

الأمر الأول: الوحي (قرآنًا وسنة):

الإيمانُ بأن أساس الدِّراسات القُرآنيَّة كلام الله سبحانه وتعالىٰ يجعلُ التعامل معها أكثر دقّة وهيبة، قال الله تعالىٰ: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ١، ٢]، وهذا المعنىٰ تأكّد كثيرًا لفظًا ومعنىٰ في القُرآن الكَريم، وفي مجمل الوحي والتشريع النبوي.

إنَّ نزول القُرآن الكَريم باللسان العربي لا يجعله مماثلًا في الخصائص لكل النصوص الأخرىٰ، حتى العربية منها فضلًا عن غيرها، بل المتعيِّن خلاف ذلك؛

---

(١) التفسير العلمي، هند شلبي (ص٧٠-٧١).

لأن الكلام يتفاوت عذوبة وبلاغة بين البشر، فكيف سيكون الأمر بين كلامهم وكلام ربهم سبحانه وتعالىٰ؟! فهو كما قال ذاك الجاهلي: «إنَّ له لحلاوةً، وإنَّ عليه لطلاوةً، وإنَّ أعلاه لمثمرٌ، وإنَّ أسفله لمغدقٌ، وما يقول هٰذا بشَر»(١)، فنصُّ القُرآن الكَريم يستمد خصوصيَّته من المتكلِّم به سبحانه وتعالىٰ، وبذٰلك يُعلم علىٰ وجه اليقين «أن بلاغة البيان تعلو إلىٰ علو قدر المبين، فعلو بيان الله علىٰ بيان خلقه بقدر علو الله علىٰ خلقه، فبيان كل مبين علىٰ قدر إحاطة علمه»(٢).

الأمر الثاني: اللغة ونمط الأسلوب العربي:

الصحابة ﵃ -بناء علىٰ أصل نشأتهم- لديهم الكمال اللغوي والاستعداد العقلي لمباشرة النصوص التي من جنس لغتهم، فالله سبحانه وتعالىٰ خاطب العرب بما يعلمونه من فنون كلامهم، وكل فهم لا يتسق مع لغتهم فهو مردود، وقد نصَّ المولىٰ جلَّ وعلا علىٰ هٰذا الأمر بجلاء، وقرره العلماء بإحكام، قال أبو عبيدة معمر بن المثنى البصري رحمه الله (ت: ٢١٠هـ): «إنما أنزل القرآن بلسان عربيٍّ مبين، وتِصداق ذٰلك في آية من القرآن، وفي آية أخرىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٤]، فلم يحتَجِ السلف ولا الذين أدركوا وحيه إلىٰ النبي ﷺ أن يسألوا عن معانيه؛ لأنهم كانوا عرب الألسن، فاستغنوا بعلمهم به عن المسألة عن معانيه، وعما فيه مما في كلام العرب مثله من الوجوه والتلخيص»(٣)، فهو بلسانهم لا شكَّ في ذٰلك، وكل الأساليب القُرآنيَّة في الخطاب أتت وفق اللغة العربية، قال ابن قتيبة رحمه الله (ت: ٢٧٦هـ): «وللعرب المجازات في الكلام،

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ١٩٩). وهٰذا قول نطق به الوليد بن المغيرة عندما سمع القرآن الكريم وهو خبير باللغة شعرًا ونثرًا، في قصة مشهورة عند أهل السير والأخبار.

(٢) تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي (ص: ٢٩).

(٣) مجاز القرآن (١/ ٨).

ومعناها: طرق القول ومآخذه. ففيها: الاستعارة، والتمثيل، والقلب، والتقديم، والتأخير، والحذف، والتكرار، والإخفاء، والإظهار، والتعريض، والإفصاح، والكناية، والإيضاح، ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع، والجميع خطاب الواحد، والواحد والجميع خطاب الاثنين، والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم، وبلفظ العموم لمعنى الخصوص، مع أشياء كثيرة. **وبكل هٰذه المذاهب نزل القرآن**»(١).

فصفوة القول أنَّ أي أسلوب لا ينسجم مع المعنى القرآني العربي المحض لا ثقةَ به، ولا يمكن التجاسر علىٰ ربط القرآن به، يقول الشاطبي (ت: ٧٩٠هـ): «كل معنىً مستنبَط من القرآن غير جارٍ على اللسان العربي فليس من علوم القرآن في شيء، لا مما يستفاد منه، ولا مما يستفاد به، ومن ادعىٰ فيه ذٰلك فهو في دعواه مبطل.. ومن أمثلة (ذٰلك) ما ادعاه من لا خلاق له من أنه مسمىً في القرآن كبيان بن سمعان، حيث زعم أنه المراد بقوله تعالىٰ: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ الآية [آل عمران: ١٣٨]، وهو من الترَّهات بمكان مكين، والسكوت على الجهل كان أولىٰ به من هٰذا الافتراء البارد، ولو جرىٰ له على اللسان العربي لعدَّه الحمقىٰ من جملتهم، ولٰكنه كشف عوار نفسه من كل وجه، عافانا الله وحفظ علينا العقل والدين بمنه»(٢).

ويقول ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ): «أما العربية فالمراد منها معرفة مقاصد العرب من كلامهم وأدب لغتهم، سواء حصلت تلك المعرفة بالسجية والسليقة؛ كالمعرفة الحاصلة للعرب الذين نزل القرآن بين ظهرانيهم، أم حصلت بالتلقي والتعلم؛ كالمعرفة الحاصلة للمولَّدين الذين شافهوا بقية العرب ومارسوهم،

(١) تأويل مشكل القرآن (ص: ٢٢). وانظر: المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالىٰ، أبو النصر أحمد بن محمد السمرقندي الحدَّادي (ص: ٥١).

(٢) الموافقات (٤/ ٢٢٤-٢٢٥).

والمولَّدين الذين درسوا علوم اللسان ودونوها. إن القرآن كلام عربي، فكانت قواعد العربية طريقًا لفهم معانيه، وبدون ذلك يقع الغلط وسوء الفهم لمن ليس بعربي بالسليقة»[١].

ونتيجة لهذين الأمرين الضروريين ننبه على قضية يكثر تداولها في الدِّراسات البَينيَّة:

*** لا يلزم من صحة القضية وصدقها ربطها بالآيات:**

هذا الأمر وَعيُه من الأهميّة بمكان؛ لأن إلغاء صلة العلم أو أي قضية أخرى بالقرآن الكريم لا يعني إبطالها أو كذبها في نفسها، وهو من الضوابط المنهجية المهمة في التعامل مع مثل هذه التطبيقات التَّفسِيرية التي تندرج ضمن قاعدة التَّفسِير بالرأي[٢]، فمثلًا جملة مما يُطرح في عدد ليس بالقليل من قضايا تتعلق بعلوم الدنيا وتخَصُّصاتها وحِرَفِها صحتُها لا يلزم منها صلتها المباشرة بهذه الآية أو تلك، إلا على سبيل العموم على مبدأ قرآني كليّ كالقوة والنفع والزيادة في العلم.

وهذا يغنينا عن ركام كبير للذين خاضوا في دراسات بينيَّة عبر معارف ونظريات وافدة، بلا معرفة وافية لديهم بالمنهج العلمي في التَّفسِير وأصوله وعلوم القرآن؛ إذْ «لا حرج على المفسر الذي يمتلك أدوات التَّفسِير أن يفسِّر القرآن بهذه النظريات إذا كان فيها بيان لمعنى تحتمله الآية، وإن وقع في خطأ في ربط الآية بنظرية من النظريات، فهو كمن وقع في خطأ في وجه من وجوه التَّفسِير، فما دام عالمًا فلا تثريب على طريقته العِلميَّة، لكن لا يعني هذا قبول تفسيره بهذه النظرية التي قد يُخالَف حملها على الآية، وهذا هو مهيع التَّفسِير في

(١) التحرير والتنوير (١/ ١٨).

(٢) انظر: الإعجاز العلمي إلى أين؟ د. مساعد الطيار (ص: ١٣١)، المقدمات الأساسية في علوم القرآن، عبد الله الجديع (ص: ٣٩٠)، ومعايير القبول والرد لتفسير النص القرآني، د. عبد القادر الحسين (ص: ٣٣٧).

تاريخه الممتدّ من جيل الصحابة الكرام إلىٰ عصرنا الحاضر»[١].

وفي النقل التالي تقرير منهجيّ في سياق الحديث عن الرأي المنهيّ عنه في القُرآن الكَريم، وهو يتضمّن الإشارة لقضايا مهمة في علاقة النص القرآني بغيره، يقول القرطبي رحمه الله (ت: ٦٧١هـ): «وإنما النهي يحمل علىٰ أحد وجهين:

أحدهما: أن يكون له في الشيء رأي، وإليه مَيلٌ من طبعه وهواه، فيتأوَّلَ القرآن علىٰ وفْق رأيه وهواه، ليحتجَّ علىٰ تصحيح غرضه، ولو لم يكن له ذٰلك الرأي والهوىٰ، لكان لا يلوح له من القرآن ذٰلك المعنىٰ.

وهٰذا النوع يكون تارة مع العلم، كالذي يحتجّ ببعض آيات القرآن علىٰ تصحيح بدعته، وهو يعلم أن ليس المراد بالآية ذٰلك، ولٰكنّ مقصودَه أن يلبِّسَ علىٰ خصمه. وتارة يكون مع الجهل؛ وذٰلك إذا كانت الآية محتملة، فيميل فهمه إلى الوجه الذي يوافق غرضَه، ويُرجِّح ذٰلك الجانب برأيه وهواه، فيكون قد فسَّر برأيه، أي: رأيُه حمله علىٰ ذٰلك التَّفسِير، ولولا رأيه لما كان يترجَّح عنده ذٰلك الوجه. وتارة يكون له غرض صحيح، فيطلب له دليلًا من القرآن، ويستدلّ عليه بما يعلم أنه ما أريدَ به، كمن يدعو إلىٰ مجاهدَة القلب القاسي، فيقول: قال الله تعالىٰ: ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ ويشير إلىٰ قلبه، ويومئُ إلىٰ أنه المراد بفرعون.

وهٰذا الجنس قد يستعمله بعض الوُعاظ في المقاصد الصحيحة؛ تحسينًا للكلام، وترغيبًا للمستمع، وهو ممنوع؛ لأنه قياس في اللغة، وذٰلك غير جائز.

وقد تستعمله الباطنيّة في المقاصد الفاسدة؛ لتغرير الناس ودعوتهم إلىٰ مذاهبهم الباطلة، فيُنزِّلون القرآن علىٰ وفق رأيهم ومذهبهم؛ علىٰ أمور يعلمون قطعًا أنها غير مرادة. فهٰذه الفنون أحد وجهي المنع من التَّفسِير بالرأي.

---

(١) الإعجاز العلمي إلىٰ أين؟ (ص: ٦٣).

الوجه الثاني: أن يتسارع إلىٰ تفسير القرآن بظاهر العربية، من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن، وما فيه من الألفاظ المبهمة والمبدلة، وما فيه من الاختصار والحذف والإضمار والتقديم والتأخير، فمن لم يُحكِم ظاهر التَّفسِير، وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كَثُرَ غلطه، ودخل في زمرة من فَسَّر القرآن بالرأي. والنقل والسماع لا بد له منه في ظاهر التَّفسِير أولًا؛ ليتَّقي به مواضع الغلَط، ثم بعد ذٰلك يتَّسع الفهم والاستنباط.

والغرائب التي لا تُفهم إلا بالسماع كثيرة، ولا مطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر، ألا ترىٰ أن قوله تعالىٰ: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾ معناه: آية مبصرة، فظلموا أنفسهم بقتلها؟! فالناظر إلىٰ ظاهر العربية يظن أن المراد به أن الناقة كانت مبصرة، ولا يدري بماذا ظلموا، وأنهم ظلموا غيرهم وأنفسهم، فهٰذا من الحذف والإضمار. وأمثال هٰذا في القرآن كثير، وما عدا هٰذين الوجهين فلا يتطرَّق النهي إليه. والله أعلم»[١].

المبدأ الثالث: الالتزام بحقائق العلم وأغراضِه:

من طرق البحث البينيّ القرآنيّ ما يتعلّق بالمقاصد والغايات التي دعا إليها القُرآن الكَريم في كافّة المجالات التشريعيّة والعقديّة والأخلاقيّة، ومن المهمّ في هٰذا السياق وعي الباحث بالغرض الأساس والرسالي لمحكم التنزيل، ومطالبه الكبرى الصريحة التي لا يقبل مجمل النص المساس بها، ولا التشكيك في إثباتها ونفعها للبشرية في عاجلها وآجلها؛ كالوحدانية والخلْق والتدبير واستحقاقه للعبادة وأصول الأخلاق ونحوها، فأي ربط لآيات القُرآن الكَريم مع معرفة أخرىٰ لا بد فيه من مراعاة الحقائق الجوهرية والقضايا العليا؛

(١) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (١/ ٣٣-٣٤).

حتىٰ لا يخرج النص عن مراده، ولكل علم أسسه ومبانيه التي لا يسوغ الخروج منها عند أهله، ومَن تجاوز ذٰلك كان مدَّعيًا، وقد أساء وتعدّىٰ وظلم.

فـ«من المعلوم أن نزول القُرآن الكَريم إنما كان لإصلاح النفوس البشريّة، وتهذيب معاشر الناس سواء كانوا عربًا أو عجمًا، بدوًا أو حضرًا؛ ولذٰلك اقتضت الحكمةُ الإلهية أن لا يخاطب الناس في «التذكير بآلاء الله» إلا بما تسعه معلوماتهم، وتحيط به مداركهم، وأن لا يخوض في البحوث الدقيقة والتحقيقات النادرة، فقد تعرض القُرآن الكَريم للأسماء والصفات الإلهية بطريقة واضحة سهلة، يدركها جميع أفراد البشر بفطرتهم، وبمداركهم التي أُودعت في أصل خلقهم من دون حاجة إلىٰ ممارسة الفلسفة الإلهية، أو علم الإلهيات وعلم الكلام»(١).

قال الزرقاني (ت: ١٣٦٧هـ) عن مقاصد إنزال الكتاب العزيز: «ثلاثة مقاصد رئيسيَّة: أن يكون هداية للثقلين، وأن يقوم آية لتأييد النبي ﷺ، وأن يتعبد الله خلقه بتلاوة هٰذا الطراز الأعلىٰ من كلامه المقدس»(٢).

وبهٰذا فإن أيّ تخصّص يراد اتّصاله بالقُرآن الكَريم فلا بدّ فيه من مراعاة أمرين:

- لفظه وأسلوبه، فلا يخرج في فهمه عن اللغة العربية المحضة.

- مضامينه وحقائقه، فلا يأتي بما ينقض تشريعات القرآن ومقاصده التي نص عليها.

فكل ما يُجلب للقرآن أو يُستخدم فيه القرآن يلزم مناسبته للمعنى المراد عن طريق الوضع العربي، أو الاستعمال، أو عبر الاستنباط الدقيق بأدواته وأسسه،

---

(١) الفوز الكبير في أصول التَّفسِير، الدهلوي، تعريب: سلمان الحسيني النَّدوي (ص: ٦٣).
(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن (٢/ ٨٩).

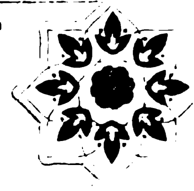
وقد أسهم العلماء قديمًا وحديثًا سواء بالمؤلفات أو ضمنًا بإحْكام ما يتعلق بالقُرآن الكَريم من العلوم والتخَصُّصات، ولهم في ذٰلك مسالك متعددة، واجتهادات سائغة في الجملة، تختلف باختلاف المقامات، وأي سعي لربط الآية مع غيرها «يبنىٰ علىٰ توفر الفهم، وشرطه:

- أن لا يخرج عما يصلح له اللفظ عربيةً.
- ولا يبعد عن الظاهر إلا بدليل.
- ولا يكون تكلّفًا بيّنًا.
- ولا خروجًا عن المعنى الأصلي، حتىٰ لا يكون في ذٰلك كتفاسير الباطنية»[1].

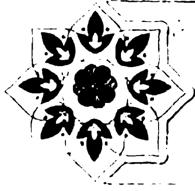
وهٰذا الإطار العلمي الظاهر هو الحكَم العدل العام لكل اجتهاد، وهو يتوافق مع المنهج العلمي المعتبر، الذي يقضي بمراعاة خصائص كل علم وأهله.



(١) التحرير والتنوير (١/ ٤٤).



المبحث الخامس
منافذ الدِّراسات البَينيَّة القُرآنيَّة



منافذ الدِّراسات البَينيَّة القُرآنيَّة متنوّعة، وطرقُها متعدِّدة متباينة، اكتفينا منها بأحدَ عشرَ لتكون أنموذجَ انطلاقةٍ في اقتحام مناطق التخوم بين الدِّراسات القُرآنيَّة وسائر العلوم، إما تأصيلًا وتقعيدًا، أو إشارةً وتمثيلًا، وقد توخّينا فيها الإشارة، واكتفينا معها بالدلالة، دون الشرح وتطويل العبارة؛ لتكون مفاتحَ بين العلوم، وأبوابًا للتواصل والفهوم، وقد يكون بعضُ الطرق أسعدَ بتخَصُّصات، كما قد تستأثر علوم بطرق أخريات، والموفَّق من هدِي لأقوم الطرق، ونال شرف خدمة كتاب الله بتثوير معانيه والكشف عن دلالاته ومبانيه، افتتحناها باللفظة القُرآنيَّة، وختمت بأبوابٍ من علوم القرآن، هي مظنّة التلاقي والتكامل بين العلوم والمباني.

أولًا: اللَّفظة القُرآنيَّة:

مما يفتح آفاقًا رحبة ويوسِّع النظر في دلائل القرآن وإشاراته والاستنارة بهديه ومعانيه: التعاطي مع ألفاظ القُرآن الكَريم ومفرداتِه، فهي مورِد زلالٌ، ومَعين لا ينضَب، ومَنجَمٌ لا ينفد، يَرِده العلماء والحكماء فيصدرون عنه بِريًّ وغنًى، وأصدق وصف ينبِئ عن مكنونه ويكشف عن حقيقته ما وصفه به الجنّ، وصدَّقه القرآن في قول الله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١]، ومِن مظاهر عَجَبه تلك الألفاظ الحاملة لوِقر المعاني والدلالات، المنبئة عن الهدايات والإشارات، قال ابن عطية (ت: ٥٤٢هـ): (فإذا قدر الله اللفظة في القرآن علم بالإحاطة اللفْظَةَ التي هي أليق بها في جميع كلام العرب في المعنى المقصود حتى كمل القرآن على هذا النظام، الأولى فالأولى)[1].

---

(١) المحرر الوجيز (٤/ ٤٨٢).

ولذا كانت اللفظة القُرآنيَّة أحدَ معالم الإعجاز القرآنيّ، ومظهرًا من مظاهر بلاغته وفصاحته، هي فاتحة المعاني وجالبة الهدايات، ينفذ الباحث من خلالها إلىٰ بحور العلم وشواطئ المعرفة وجداول المعاني، قال الخطابي (ت: ٣٨٨هـ): (لا ترىٰ شيئًا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذَب من ألفاظه... واعلم أن القرآن إنما صار معجزًا؛ لأنه جاءَ بأَفصح الألفاظ، في أحسن نظوم التأليف، مضمَّنًا أصح المعاني)[1]؛ لذا وصف الله تعالى الآيات الكريمات بالتصريف في قوله سبحانه: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٦٥]، وحقيقته: التنويع والتبديل، فمرة تأتي بحجَج من مشاهدات في السماوات والأرض، ومرة بحجَج من دلائل في نفوس الناس، ومرة بحجَج من أحوال الأمم الخالية التي أنشأها الله[2]، ومرة بمخاطبة العقل والفكر، وأخرىٰ بإثارة الفطرة والخِلْقة السوية، وأحيانًا بالقصص وأخرىٰ بالمثل، إما بترغيب وأمر، أو بترهيب ومنع؛ لتستوعب الإحاطة بالأفهام على اختلاف مدارك العقول في تنوع المسالك والمشارب، فيتعاضد عليها العلماء، ويتظاهر عليها المختصون كل في مجاله؛ لإظهار أسرارها، والكشف عن دلائلها وأحوالها، وذٰلك في كل زمن حسب قدرته ومبلَغ علمه الذي وصل إليه.

لذا عُني العلماء والمفسرّون والحكماءُ بالبَدء باللفظة القُرآنيَّة وتقليب النظر فيها، تحليلًا وتدقيقًا، وبدءًا وإعادةً، لتفتح آفاقًا معرفيّة ودلالات مرجعيّة، منضبطة بقوانينها اللغوية ومعانيها الدلالية، قال الراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ تقريبا): (فألفاظ القرآن هي لبُّ كلام العرب وزبدتُه، وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد

(١) بيان إعجاز القرآن (٢٧).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٧/ ٢٣٦).

الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحِكَمهم، وإليها مفزع الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم، وما عداها وعدا الألفاظ المتفرّعات عنها والمشتقات منها هو بالإضافة إليها كالقشور والنوىٰ بالإضافة إلىٰ أطايب الثمرة، وكالحثالة والتبن بالإضافة إلىٰ لُبوب الحبوب)(١). فاللفظة القُرآنيَّة موئل العلماء والفقهاء والحكماء، ومعتمَد الباحثين والدارسين في تثوير القُرآن الكَريم، والاستنارة بهداية آياته الكريمات.

فمن سمات اللفظة القُرآنيَّة أن معناها قد لا يعزب عن العامِّيّ الأُمِّيّ، وتروي غليل العالِم المتخصّص، فذاك يدرك المعنى العامّ إما بتركيب الكلمة أو سياقها، والعالِم في كشف دقائقها وعمق معناها، فذات الكلمة تمدّ هٰؤلاء وهٰؤلاء من عطاء المعنىٰ والدلالة، كمعنى الإيلاج في قول الله تعالىٰ: ﴿تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾ [آل عمران: ٢٧] قال ابن عرفة (ت: ٨٠٢هـ): (كان بعضهم يقول: إن القرآن يشتمل علىٰ ألفاظ يفهمها العوامّ، وألفاظ يفهمها الخواصّ، وعلىٰ ما يفهمه الفريقان، ومنه هٰذه الآية، فإنّ الإيلاج يشمل الأيام التي لا يدركها إلا الخواصّ، والفصول التي يدركها سائر العوام)(٢). وكذٰلك معنى الرتق والفتق في قول الله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠]، فالمعنى العامّ مدرك، لٰكنَّ أهل الفلك والمختصّين في العالم الكوني يقفون عند دلالة (الفتق) و(الرتق)، ويبحرون في استنطاق الآية الكريمة.

ومن سمات اللفظة القُرآنيَّة حين يتلوها التالي: أنه قد يسبق إليه معنىٰ من المعاني تنتظم معه الآية ويصحّ به المعنىٰ، وحين الإعادة وتقليب النظر في الآية الكريمة -خصوصًا من متخصّص أيًّا كان تخصصه- يدرك معنىٰ آخر سوى المعنى السابق،

(١) مفردات ألفاظ القرآن (ص: ٥٥).

(٢) نقلًا عن مقدمة التحرير والتنوير لابن عاشور (١/ ١٢٧)، وهٰذا القدر ساقط من النسخة المطبوعة لتفسير ابن عرفة.

وحين تتفحّص ذَينِك المعنيين أو أكثر بالرجوع إلىٰ مظانها في التَّفسِير وأَطرها بأصول التَّفسِير وقواعده ولسان العرب، ندرك أنّ كلا المعنيين أو المعاني صحيحة، تحتملها بنية اللفظة وتدلّ عليها، من غير تعارض ولا تضادّ، أو اختلاف وركوب وحشيِّ المعاني، ففي قول الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥] لفظة: (تولىٰ) تحتمل معنىٰ: أدبر هٰذا المنافق وانصرف من عند محمد ﷺ وعمل السيئات كقطع الطريق وإفساد السبيل... قاله ابن عباس رضي الله عنهما وغيره. وتحتمل معنىٰ آخر، فـ(تولَّىٰ) قد تأتي بمعنىٰ الولاية، أي: إذا مُكِّن أو استمكن من الولاية والحكم سعىٰ في الأرض فسادًا ونَشرًا للرذيلة ومحاربة الفضيلة، قاله مجاهد والضحاك[1]. وكلا المعنيين صحيح، تحتملهما الآية الكريمة[2].

وبعد: فإن اللفظة القُرآنيَّة منطلَق الحكمة، وبوابة المعرفة، ومكتنَز المعاني الرحبة، ليس للمفسّرين فحسب، بل وللحكماء والبلغاء وسائر العلماء في شتى العلوم، فمن خلالها يرتوُون من ريِّ القُرآن الكَريم، ويقتبسون من نوره،

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٣/ ٥٨٠)، زاد المسير (١/ ٢٢١).

(٢) هنا مسألة مهمة أحببنا التعريج عليه والإشارة إليها في مثل هٰذه السياقات، وهي: أن القرآن الكريم ببلاغة معانيه وفصاحة ألفاظه تكون الكلمة منه والجملة فيه تفيض بمعان كثيرة، ودلالات متعددة، قال أبو الدرداء رضي الله عنه: (إنك لن تفقه كل الفقه حتىٰ ترىٰ للقرآن وجوهـًا كثيرة) [أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١١/ ٢٥٥) [٢٠٤٧٣] وابن أبي شيبة في مصنفه (١٥/ ٥١٨) [٣٠٧٨٩]] وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (إن القرآن ذلول حمول ذو وجوه) [أخرجه الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه (١/ ٥٦٠)] قال الزركشي [٧٩٤هـ]: (قوله ذو وجوه يحتمل معنيين أحدهما: أن من ألفاظه ما يحتمل وجوهـًا من التأويل..) [البرهان٢/ ١٦٣] بل قال شيخ الإسلام ابن تيمية [٧٢٨هـ]: (أكثر آيات القرآن دالة علىٰ معنيين فصاعداً) [مجموع الفتاوىٰ١٥/ ١١] وقال السيوطي [٩١١هـ]: (وقد فسره بعضهم بأن المراد أن يرى اللفظ الواحد يحتمل معاني متعددة فيحمله عليه إذا كانت غير متضادة ولا يقتصر به علىٰ معنىٰ واحد) [الإتقان٣/ ٩٧٦]. وقد قرر العلماء قاعدة عامة وهي: أن الآية الكريمة أو اللفظة القرآنية إن كانت تحتمل أكثر من معنىٰ صحيح تعيَّن حملها على الجميع. [ينظر: بدائع الفوائد ٣/ ٣، أضواء البيان ١/ ٢٤، قواعد التفسير ٢/ ٨٠٧].

وقد أحسن ذلك العالِم الموفَّق والإمامُ المسدَّد حين وصف الكلمة القُرآنيَّة بأنها: فَصٌّ من ألماس يعطيك كلُّ ضِلع منه شعاعًا، فإذا نظرت إلىٰ أضلاعه جملة بهرتك بألوان الطيف كلّها، فلا تدري ماذا تأخذ عينك وماذا تدع! ولو وَكلت النظر فيها إلىٰ غيرك لرأىٰ منها أكثر مما رأيتَ![1]، حجة بالغة، وآية باقية، ودلالة شاهدة علىٰ مر الزمان وكرّ الليالي والأيام.

ثانيًا: السورة القُرآنيَّة:

إن كان من منافذ الهدايات القُرآنيَّة ألفاظُ القرآن ومصطلحاته؛ لما تحويه من دلالات لفظيّة وأبعاد معنويّة سبق التدليل عليها والإشارةُ إليها، فإن ذلك الوعاء الذي يحوي تلك المصطلحات والألفاظ والسُّور الذي يحيط بجملة المفردات والآيات هو أيضًا مجالٌ رحب وميدان فسيح في استمداد الهدايات القُرآنيَّة والمعاني الربانية، فإن السُّورة القُرآنيَّة -وأقلها ثلاث آيات- مظهر من مظاهر إعجاز القرآن، ودلالة تحدٍّ لمن عبث به شيطانه، وزيّن له القدرة على المعارضة أو المدافعة، قال تعالىٰ: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس: ٣٨]، فحين نسبوا الافتراء إلىٰ واحدٍ منهم في البشرية والعربية جاءهم التحدِّي: هٰذا الذي نسبتموه إليَّ وأنا واحد منكم ليس عليكم إلا أن تأتوا -وأنتم الجمع الجمُّ- بسورة مماثلة لسورة من سوَره، واستعينوا بمن شئتم من أهل اللسان من بني آدم أو من غيرهم من الجن أو الأصنام، فلم يستطيعوا بعد هٰذا الكلام المنصف والتنزُّل البالغ بكلمة ولا نطقوا ببنت شفة[2]،

(١) ينظر: النبأ العظيم (ص: ١٤٧).

(٢) ينظر: فتح القدير (٢/ ٦٢٦).

قال الرازي (ت:٦٠٦هـ): (القرآن كما هو معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضًا معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته)[1].

لذا كان الإجماع قائمًا على أن ترتيب الآي في السورة الواحدة توقيفيّ من النبي ﷺ، لا مجال للرأي والاجتهاد فيه؛ لينتظم المعنى ويكتمل المبنى، قال مالك بن أنس (ت: ١٧٩هـ): (إنما أُلِّف القرآن على ما كانوا يسمعون من النبي ﷺ)[2]. وقد عُني جمع من المفسرين بإظهار المناسبات بين ترتيب الآيات في السورة، وكذا مناسبة فاتحة السورة مع خاتمتها؛ ليظهر التكامل والانسجام والمعجزة والإتمام في كل سورة من سوَر القرآن.

فلكلّ سورة من سوَر القرآن شخصية مستقلّة، وعنوان يميّزها عن غيرها، وإن بدا فيها تَكرار لقصّة نبيّ، أو تتميم لحكم ورد في سورة أخرى، أو موضوع عولج في موضع سابق... إنما ذلك كله ليكوِّن للسورة وحدة متكاملة، واستقلالية موضوعية عن بقية السور، تظهر لمن عالج السورة ككتلة مستقلة، وربط الفواتح بالخواتم، وبحث عن مناسبة الموضوعات، والعلاقة بين ترتيب الآيات، مع عدم إغفال اسم السورة، وأحيانًا موضعها في القرآن... صوَّر ذلك وجلَّاه من عالج سوَر القرآن، وبحث في وحدة موضوعاتها، وتمييز شخصية السورة عن شقيقاتها: الإمام البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) حيث قال: (فإن كلّ سورة لها مقصدٌ واحد يُدار عليه أولها وآخرها، ويستدلّ عليه فيها، فترتّب المقدمات الدالة عليه على أتقن وجه وأبدع نهج، وإذا كان فيها شيء يحتاج إلى دليل استدلّ عليه، وهكذا في دليل الدليل،

---

(١) التَّفسِير الكبير (٧/ ١١٢).

(٢) ينظر قوله في: الإتقان في علوم القرآن (٢/ ٤٠٣). وممن حكى الإجماع على ذلك: القاضي عياض وأبو جعفر أحمد بن الزبير والزركشي وغيرهم. ينظر: المنهاج في شرح صحيح مسلم (٦/ ٦٢)، البرهان في تناسب سور القرآن (٧٣)، البرهان في علوم القرآن (١/ ٣٥٣).

وهلم جرًّا. فإذا وصل الأمر إلىٰ غايته ختم بما منه كان ابتدأ، ثم انعطف الكلام إليه وعاد النظر عليه، علىٰ نهج آخر بديع، ومرقىٰ غير الأول منيع، فتكون السورة كالشجرة النضيرة العالية، والدوحة البهيجة الأنيقة الخالية، المزينة بأنواع الزينة المنظومة بعد أنيق الورق بأفنان الدّرّ، وأفنانها منعطفة إلىٰ تلك المقاطع كالدوائر، وكل دائرة منها لها شعبة متّصلة بما قبلها، وشعبة ملتحمة بما بعدها، وآخر السورة قد واصل أولها، كما لاحم انتهاؤها ما بعدها، وعانق ابتداؤها ما قبلها، فصارت كل سورة دائرةً كبرىٰ، مشتملة علىٰ دوائر الآيات الغُرِّ، البديعة النظم، العجيبة الضم، بلين تعاطف أفنانها، وحسن تواصل ثمارها وأغصانها)(١).

وهٰذا الترابط العجيب والمناسبات الظاهرة بين آي السورة الواحدة، سواءٌ فيها الطويل من السور أو القصير ذو الثلاث آيات، كلُّها تكوِّن شخصية متَّحدة، وموضوعاتٍ مترابطةً، ونسيجًا متكاملًا، يقول محمد عبد الله دراز (ت: ١٣٧٧هـ): (إنك لتقرأ السورة الطويلة المنجَّمة -نزلت مفرَّقة- يحسبها الجاهل أضغاثًا من المعاني حُشيت حشوًا، أو أوزاعًا من المباني جمعت عَفوًا، فإذا هي -لو تدبَّرتَ- بِنية متماسِكة قد بُنيت من المقاصد الكلية علىٰ أُسُس وأصول، وأقيم علىٰ كل أصل منها شُعَب وفصول، وامتدَّ من كل شعبة منها فروع تقصر أو تطول)(٢).

من سمات السورة القُرآنيَّة أنها وإن كان بعض آياتِها قد نزل في أزمان متفاوتة وأوقات متباعدة، مما يشي بصعوبة اتحاد المعنىٰ واكتمال المبنىٰ في السورة الواحدة،

(١) مصاعد النظر في الإشراف علىٰ مقاصد السور (١/ ١٤٩).

(٢) النبأ العظيم (١٩٥). وقد قرر هٰذا جمع من العلماء كابن العربي كما في البرهان في علوم القرآن للزركشي (١/ ١٣٢)، والبقاعي في نظم الدرر (١/ ١٤)، والشاطبي في الموافقات (٤/ ٢٦٦)، وغيرهم.

إلا أنها (وإن كانت على حسب الوقائع تنزيلًا، فإنها على حسب الحكمة ترتيب)(١)، وترتيب الآي في السورة توقيفي -كما سبق-، فقد كان النبي ﷺ إذا نزلت عليه الآيات قال: ضعوها في موضع كذا وكذا.. فعن عثمان بن العاص رضي الله عنه قال: كنتُ عندَ رسولِ الله ﷺ جالسًا إذْ شخُصَ ببصرِهِ ثم صوَّبَهُ حتى كادَ أنْ يَلْزَقَ بالأرضِ، قال: وشخُصَ ببصرِه، قال: (أتاني جبريلُ فأمرَني أن أضعَ هذه الآيةَ بهذا الموضعِ من هذه السورةِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾)(٢)، مما يدل على أن هناك حكمة ما، وعلومًا قابلة للاستنباط إن درست السورة ككتلة واحدة.

ومن سمات السورة القُرآنيَّة: أنها وإن كانت كل سورة تكوِّن وحدة موضوعية مستقلة لا يدل ذلك على حصرها في موضوع واحد، أو فصلها عن بقية الموضوعات المحتملة، وإنما تبقى كالكتاب المفتوح الذي يسعى الناظر فيها والمتأمل لآياتها، المستنير بأقوال المفسرين وتأويلات السلف للمعاني، يسعى في إبراز موضوعات أخرى عالجتها السورة القُرآنيَّة، وبيّنت معالمها وأبعادها، كونها وحدة موضوعية مستقلّة، فالشيء إذا جُمع مع غيره وقورن أوله بآخره، يفتح آفاقًا رحبة من المعاني ودلالات واسعة، يمكن أن تستنبط من السورة ككلّ، فكلٌّ يرى من زاويته، ويعالج الموضوعات من خلال تخصّصه، ومن أمثلة ذلك: السياسة الشرعية في سورة الممتحنة، التركيبة الإنسانية في سورة العلق، وغيرها.

---

(١) ينظر: نظم الدرر (١/ ٨) نقلًا عن الشيخ ولي الدين الملوي. وينظر: الإتقان (٥/ ١٨٣٩). وقال محمد دراز: (إنها إن كانت بعد تنزيلها قد جمعت عن تفريق، فلقد كانت في تنزيلها مفرقة عن جمع). النبأ العظيم (ص: ١٩٥).

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٨٩) [١٧٩١٨]، قال الهيثمي في المجمع (٧/ ٥١): إسناده حسن. وذكره ابن كثير وقال: هذا إسناد لا بأس به. تفسير ابن كثير (٤/ ٥٩٧).

ومن سمات السورة القُرآنيَّة: أنها ذو نظام رباني وترتيب للآيات توقيفي، وهٰذا يفتح آفاقًا من المعاني والدلالات التي يمكن استنباطها والاستدلال عليها، فالنظام له دلالة يمكن معها الفصل والتبيين، ويسهل بها استخراج المعاني وإصدار الأحكام، ويتعذر وجود تلك المعاني فيما كان مبعثرًا مشتتًا، ألم تر إلىٰ حكم أبي بكر الصديق رضي الله عنه القاطع وثباته العجيب حين عزم علىٰ قتال من منع الزكاة، وفرق بينها وبين الصلاة، حين قال: (والله، لا أُفَرِّقُ بَينَ الصَّلاةِ والزَّكاةِ، ولأُقاتِلَنَّ مَن فرَّقَ بَينَهما)[1]، كل ذٰلك استنادًا على النظام، واتكاء علىٰ أن الزكاة قرينة الصلاة في كتاب الله تعالىٰ، ومن فرق بينهما فقد فرق بين شطري أحكام الإسلام المتمثلة في حق الله تعالىٰ وحقوق الآدميين، فكانت النتيجة: (فقاتَلْنا معه، فرأَيْنا ذٰلك رَشَدًا)[2]... فالنّظام له دلالة خاصة يوفَّق إليها الناظر، ويُهدىٰ إليها المتدبّر لكتاب الله تعالىٰ.

وبعد: فإن السورة القُرآنيَّة مجال فسيح لاستنباط الهدايات واستخراج الدلالات من الآيات والسور الكريمات، حيث إنها ذو نظام ونسَق رباني، ولكل سورة شخصية مستقلة ووحدة موضوعية، يوفق إليها الباحث أيًّا كان تخصّصه، إذا استجمع الآلة، وسلك سواء السبيل.

ثالثًا: الموضوع في القرآن:

موضوعات القرآن لا تتناهىٰ، وعلومه تزداد وتتباهىٰ، فهو بحر لا يدرك غوره، وساحل لا يرىٰ آخره، كلما نظر إليه المتخصّص وتعمق فيه الدارس نهل من روحه وريحانه، وعاد عليه بجوده وفيوضاته، لا يَردُّ سائلًا، بل يهدي سائرًا،

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (١٥/ ٢٨٦) [٩٤٧٥]. وأصله في صحيح البخاري [٦٩٢٤]، وصحيح مسلم [٢٠].

(٢) سبق تخريجه.

ولا يبقى حائرًا، بل يدل مبتغيًا علمًا وافرًا، فهو (مفْجَر العلوم ومنبعها، ودائرة شمسها ومطْلعُها، أودع فيه سبحانه علم كل شيء، وأبان فيه كل هدىً وغيٍّ، فترىٰ كل ذي فنٍّ منه يستمد، وعليه يعتمد)[١]، وهو كفاية الطالب، وغنية المحتاج، ورِيّ الضمآن، وشافي العليل، عجائبه لا تنقضي، وعلومه لا تنتهي، يجلّي سعة معانيه، ويكشف عن كثرة موضوعاته ودلالاته، العموم المطلق في هدايته، قال الله تعالىٰ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[النحل: ٨٩]، قال ابن مسعود ﷺ: (أُنزل في هذا القرآن كلُّ علم، وكلُّ شيء قد بين لنا في القرآن)[٢]. علَّق ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) علىٰ كلام ابن مسعود ﷺ مرجّحًا ومؤيّدًا: (فإن القرآن اشتمل علىٰ كلّ علم نافع؛ من خبر ما سبق، وعلم ما سيأتي، وحكم كل حلال وحرام، وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهم، ومعاشهم ومعادهم)[٣].

وفي الأثر: (هو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تختلف به الآراء، ولا تلتبس به الألسن، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء)[٤].

ولما كانت موضوعاتُ القرآن بهذه السَّعة، ودلائل براهينه بتلك الشمولية، استنهض هممَ العلماء وحثَّ خطى النبلاء في توجيه الأنظار إليه وتقليب الفكر فيه؛ لاقتباس أنواره، وتلمس هداياته ودلائله وأسراره، كل في مجاله وتخصصه،

(١) الإتقان في علوم القرآن (١/ ٤).
(٢) تفسير الطبري (١٤/ ٣٣٤)، الدر المنثور (٤/ ١٢٧).
(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٤٩).
(٤) أخرجه الترمذي في جامعه، كتاب: فضائل القرآن، باب: ما جاء في فضل القرآن [٢٩٠٦]، وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. والدارمي في سننه (٤/ ٢٠٩٨) [٣٣٧٤].

حَتَّى استنهض همم عُلَمَاء هَٰذِه الأمة في التَّوَسُّع في تَبْيِين تِلْكَ الْعُلُوم من ثنايا القُرآن الكَريم، فعالم الشريعة يستدلّ به على الحلال والحرام، (والمفكّر يلتقي بالموارد القُرآنيَّة التي يبحث عنها في مظانّ التدبر وإعمال النظر، والاقتصاديّ يقف علىٰ آيات المال والإنفاق والثروة والإعمار، وعالم الكونيات يرىٰ مطلوبه في آيات الفلك والنجوم وحركة الكواكب والليل والنهار، والباحث التربوي يلقىٰ ضالته في آيات الإرشاد والوعظ والتوجيه والاعتبار، والمؤرّخ يعثر علىٰ أخبار الأمم السابقة ودروس العبر القُرآنيَّة وأحوال الأقوام والدول، وباحث الاجتماع يجمع ثروة هائلة من الآيات الدالة علىٰ سنن الابتلاء والتمكين والاستدراج والزوال، وأحوال العمران)[1]، والإداري تتمثل أمامه معالم حسن الإدارة وحنكة السياسة في قصصه وأمثاله وسيرِ الأنبياء وهدي المصلحين، وعالِمُ الصحة والباحثُ في الحِمية والوقاية يجد بغيته في آيات تشريع الأحكام وتعليلها وربما في كفاراتها... يُكمِّل كل ذٰلك ويهذبه آيات الآداب العامة والأخلاق السامية؛ ليلج طالب الهداية في القرآن البيوت من أبوابها، ويسمو بنفسه في مدارج العلم والترقي بزينة الخلق والأدب.

ومن سمات موضوعات القرآن الكريم أنها موسوعية المعرفة، ذات أفانين متنوعة، لا يحدها حدّ، ولا يحصيها عدّ، جامعها الهداية للتي هي أقوم؛ لتمد كل زمن باحتياجاته، وترتقي بمفكريه وعلمائه، قال ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ): (معاني القرآن ومقاصده ذات أفانين كثيرة، بعيدة المدىٰ مترامية الأطراف، موزعة علىٰ آياته... وربما اشتملت الآية الواحدة علىٰ فنَّين من ذٰلك أو أكثر)[2]،

---

(١) من مقدمة معالي الشيخ: صالح بن حميد لموسوعة التَّفسِير الموضوعي (١/ ٩).

(٢) التحرير والتنوير (١/ ٨).

إما بالذكر والتنصيص على الموضوع، أو بالإشارة والتدليل، وما على طالب الهداية إلا اقتفاء النهج السليم، وسلوك السبيل القويم في استخراج مكنوناته والهداية إلىٰ موضوعاته ودلالاته.

فموضوعات القرآن وتنوّعها واختلافها وتجدُّدها مظهر من مظاهر إعجازه، وسمة من سمات بلاغته، أثبت ذٰلك الزمن، ودلَّل عليه جهود العلماء قديمًا وحديثًا، قال ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ): (فنرىٰ مِلاك وجوه الإعجاز راجعًا إلىٰ ثلاث جهات:

الجهة الأولىٰ: بلوغه الغاية القصوىٰ مما يمكن أن يبلغه الكلام العربي البليغ من حصول كيفيات في نظمه مفيدة معاني دقيقة، ونكتًا من أغراض الخاصة من بلغاء العرب، مما لا يفيده أصل وضع اللغة...

الجهة الثانية: ما أبدعه القرآن من أفانين التصرّف في نظم الكلام مما لم يكن معهودًا في أساليب العرب، ولٰكنه غير خارج عما تسمح به اللغة.

الجهة الثالثة: ما أودع فيه من المعاني الحكميَّة والإشارات إلى الحقائق العقلية والعِلميَّة مما لم تبلغ إليه عقول البشر في عصر نزول القرآن وفي عصورٍ بعده متفاوتة... [فـ] القرآن معجز من الجهة الثالثة للبشر قاطبةً إعجازًا مستمرًّا علىٰ ممر العصور... لأنه قد يدرك إعجازه العقلاء من غير الأمّة العربية بواسطة ترجمة معانيه التشريعيّة والحكميّة والعِلميَّة والأخلاقيّة، وهو دليل تفصيليّ لأهل تلك المعاني، وإجماليّ لمن تبلغه شهادتهم بذٰلك)(١).

ومما يدلّل علىٰ هٰذا الوجه من الإعجاز في صلاحيته لكل زمان وإقامة الحجة والبرهان في كل مكان، وذٰلك علىٰ مرّ العصور وكرّ الدهور: حديث

(١) المرجع السابق (١/ ١٠٤- ١٠٥).

أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (ما مِنَ الأنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مِنَ الآيَاتِ ما مِثْلُهُ أُومِنَ -أَوْ: آمَنَ- عليه البَشَرُ، وإنَّما كانَ الذي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ الله إِلَيَّ، فأرْجُو أَنِّي أَكْثَرُهُمْ تَابِعًا يَومَ القِيَامَةِ) رواه الشيخان[١]. فهو حجة باقية ودلالة باهرة بتعدّد موضوعاته، وتنوّع دلالاته، مهما بلغ البشر من علم، ووصلوا إليه من قوّة وفهم.

ومن سمات موضوعات القرآن: الهداية والإرشاد بالدلالة والإشارة والحجة والبرهان، إما بتقعيد علمٍ من العلوم، أو إيراد أصل تُبنىٰ عليه فروع متعدّدة ونواحٍ متنوعة، أو إشارة تفتح آفاقًا علمية ومجالات رحبة، فالقُرآن الكَريم ليس كتاب اقتصاد ومعاملاتٍ مالية، أو سِفْر صحّة وكيفية إدارة، أو صحائف تأريخ وعلم اجتماع، أو إتقان فنّ من الفنون من خلاله... إنما هي دلالات دقيقة وإشارات ربانية، يُهدَىٰ إليها الباحث، ويقِف عليها المتدبّر حين تتمثّل فيه الأهليّة وتتكامل لديه القدرة العِلميَّة، ﴿يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [النور: ٣٥]، قال الشافعي (ت: ٢٠٤هـ): (فليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليلُ علىٰ سبيل الهدىٰ فيها)[٢].

ومثال ذٰلك: ورود أصول الطبّ وقواعده في كتاب الله تعالىٰ، وهي ثلاث قواعد يقوم عليها نظام الصحة عمومًا، وهي:

أولًا: قاعدة حِفظ الصحّة والعناية بها، قال الله تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: كيف نزل الوحي؟ وأول ما نزل [٤٩٨١]، صحيح مسلم، كتاب: الإيمان [١٥٢].

(٢) الرسالة (١/ ١٩).

والثانية: قاعدة الحِمية والامتناع عن ما يضرّ البدن ويضعفه، المتمثلة في قول الله تعالىٰ: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُ﴾ [المائدة: ٦].

ويجمع بين القاعدتين قول الله تعالىٰ: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]، فأمر بالأكل والشرب الذي لا يستقيم البدَن إلا بهما، ونهىٰ عن الإسراف إما زيادة في كثرة المأكولات والمشروبات، وإما بالتخليط، وهٰذا حمية عن كلّ ما يؤذي الإنسان.

والثالثة: قاعدة الاستفراغ وإزالة ما يؤذي البدن، في قول الله تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖ﴾ [البقرة: ١٩٦][(١)].

وبعد: فإن البحث عن موضوع في القرآن هو نور يقذفه الله في قلب باحثٍ عن الحقيقة، ودارسٍ يتلمّس الهداية القُرآنيَّة، إما بآية صريحة، أو دلالة خفية، أو جمعٍ بين آيتين، أو مقارنةٍ بين موضِعين، لتتفتّق عن آفاقٍ رحبة، وترتق بها فجوات فجّة، تستبين من خلالها هدايات ربانية وقبسات قرآنية، تنير السبيل، وتكشف المتغبّي الخفيّ؛ يتكامل معها العقل البشري بالنور الرباني، وتتقاطع بها المعارف الدنيوية مع دائرة العلوم الدينية.

رابعًا: مقاصد القرآن:

مِن أوسع منافذ الدِّراسات البَينيَّة القُرآنيَّة وأرحب مجالاتها: تناوُلها من خلال مقاصد القُرآن الكَريم ومحاوره التي اشتمل عليها وحوتها آيات القرآن وسوَرُه،

---

(١) ينظر: القواعد الحسان لتفسير القرآن لابن سعدي (١٠٩)، وذكر غيرها، ومن ذٰلك: طريقة القرآن في أحوال السياسة الداخلية والخارجية... وغيرها.

وقد اعتنى العلماء قديمًا وحديثًا بحصر تلك المقاصد والتنصيص عليها، بين مستقلٍّ ومستكثر في تَعدادها، فمنهم منِ اكتفى بثلاثة مقاصدَ كلّية، والبعض بلغ بها عشرة، ومنهم بين وبين، وما ذاك إلا لاختلاف النظر في كون ذلك الموضوع هل يعدّ مقصدًا كليًّا، أو لا يرقى إلا أن يكون موضوعًا أساسيًّا ومحورًا مهمًّا ولمَّا يبلغ كونه مقصدًا كليًّا؟... وهي منطقة تحتمل الاختلاف، وقابلة لتباين وجهات النظر، ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [البقرة:١٤٨]، والأمر فيه يسير ليس بعسير، ومقدَّر غير مستهجن، وإن كان إلى الاختلاف اللّفظيّ أقربَ منه إلى الاختلاف الحقيقي.

وأيًّا ما كان، فمعرفةُ مقاصد القرآن ومحاوره ليست مقصودةً لذاتها، والاستفادةُ منها ليست متوقّفة على حصرها وتحريرها، وإنما الفائدة المرجوّة والنتيجة الحاصلة هي في إعمال تلك المقاصد، واستثمار تلك المحاور في فهم النصوص وتوجيهها، والاستفادة منها في تثوير القرآن واستنباط دلالاته، والاسترشاد بتوجيهاته في شتى العلوم وسائر الفنون، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (مَنْ أرادَ العِلْمَ فَلْيُثَوِّرِ القرآنَ؛ فإنَّ فيه علمَ الأولينَ والآخرينَ)[١].

ومِما ذُكر في تَعداد مقاصد القُرآن الكَريم عند المتقدمين وأوسعها ما أورده الغزالي (ت: ٥٠٥هـ) بقوله: (سِرُّ القرآن ولُبَابُه الأصفى ومقصدُهُ الأقصى دعوَةُ العباد إلى الجَبَّار الأعلى، ربِّ الآخرةِ والأولى، خالق السماوات العُلَى والأرَضين السُفلى، وما بينهما وما تحت الثَّرَى، فلذلك انحصرت سُوَرُ القرآن وآياتُه في ستة أنواع:... أما الثلاثة المُهِمَّة فهي: تعريف المدعوّ إليه، وتعريف الصراط المستقيم الذي تجب ملازمته في السلوك إليه، وتعريف الحال عند الوصول إليه.

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٩/ ١٣٥) [٨٦٦٤]،وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٦٨): روي بأسانيد رجال أحدها رجال الصحيح.

وأما الثلاثة المُغْنِيَة المُتِمَّة: فأحدها: تعريف أحوال المُجيبين للدعوة ولطائف صُنع الله فيهم؛ وسِرُّهُ ومقصودُه التشويقُ والترغيبُ... وثانيها: حكاية أحوال الجاحدين، وكَشْفُ فضائحهم وجهلهم بالمجادلة والمُحاجَّة على الحق، وسِرُّه ومقصوده في جنب الباطل الإفضاحُ والتَّنْفير، وفي جَنب الحقّ الإيضاحُ والتَّثْبيت. وثالثها: تعريف عمارة منازل الطريق، وكيفية أخذ الزاد والأُهبة والاستعداد، فهٰذه ستة أقسام)[١].

وما ذُكر جامعٌ لعموم مقاصد القرآن، إلا إن خاتمة الثلاثة المغنية المتمّة يهدي الباحثين في كتاب الله والمسترشدين بنوره إلىٰ عمارة الدنيا بكل ما يُصلِح المعاش فيها، وينظم الحياة؛ لتبقىٰ أمة القرآن في صدارة الأمم، ومتبعوة لا تابعة، وأتباعها قادة تُقتفىٰ آثارهم نتاجًا وسلوكًا وعمارة، بفضل وحي ربها، ونوره الذي أنزله إليها، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩]. وقد بين الغزالي (ت: ٥٠٥هـ) ذٰلك في شرحه لهٰذا المقصد بقوله: (الدنيا منزل من منازل السائرين إلى الله تعالىٰ، والبَدَنُ مَرْكَب، فمن ذَهَل عن تدبير المنزل والمَرْكَب لم يَتِمَّ سفرهُ، وما لم ينتظم أمرُ المعاش في الدنيا لا يَتِمُّ أمرُ التَّبَتُّلِ والانقطاع إلى الله تعالى الذي هو السلوك، ولا يتمُّ ذٰلك حتىٰ يبقىٰ بدنُه سالمًا ونسلُه دائمًا، ويَتِمُّ كلاهما بأسباب الحفظ لوجودهما، وأسباب الدفع لِمُفسِداتِهما ومُهلِكاتِهما)[٢].

وقد نصَّ المتأخّرون كذٰلك علىٰ مقاصد القرآن وعُنوا بتَعدادها، ومن ذٰلك ما أورده محمد رشيد رضا (ت: ١٣٥٤هـ) في كتابه: (الوحي المحمدي)[٣] بقوله:

---

(١) جواهر القرآن (ص: ٢٤).

(٢) المرجع السابق (٣٢).

(٣) (ص: ١١٩- ٢٥١).

(إن مقاصد القرآن من إصلاح أفراد البشر وجماعاتهم وأقوامهم، وإدخالهم في طور الرشد، وتحقيق أخوتهم الإنسانية ووحدتهم، وترقية عقولهم وتزكية أنفسهم؛ منها ما يكفي بيانه لهم في الكتاب مرة أو مرتين أو مرارًا قليلة، ومنها ما لا تحصل الغاية منه إلا بتَكراره مرارًا كثيرة؛ لأجل أن يجتثّ من أعماق الأنفس كلّ ما كان فيها من آثار الوراثة والتقاليد والعادات القبيحة الضارة... والقرآن كتاب تربيّة عمليّة وتعليم، لا كتاب تعليم فقط... وإننا نذكر هنا أصول هٰذه المقاصد...)، ثم ذكرها بشيء من التفصيل والتعليق، وهي:

١ - أركان الدين الثلاثة (الإيمان بالله، البعث والجزاء، العمل الصالح).

٢ - إثبات النبوة والرسالة.

٣ - إكمال الإنسان من الأفراد والجماعات والأقوام.

٤ - الإصلاح الإنساني (الاجتماعي والسياسي الوطني).

٥ - مزايا الإسلام العامة وخصائص التشريع.

٦ - حكم الإسلام السياسي.

٧ - الإرشاد إلى الإصلاح المالي.

٨ - إصلاح نظام الحرب وفلسفتها، أو السياسة الدولية.

٩ - قضايا المرأة.

١٠ - تحرير الرقيق.

والسمة العامة لجميع هٰذه المقاصد القُرآنيَّة أنها سهلة الفهم، عميقة المعنىٰ، عظيمة الدلالة، قابلة التطبيق، فكل من آمن بالقرآن، وتلاه حقَّ تلاوته أحدث فيه صلاحًا داخليًّا، وفكرًا نيرًا، وعملًا صالحًا بارًّا، وتنكّر لسيِّئ الأخلاق وسوء الطباع،

وكفر بعادات تعطِّل العقل، وممارسات تخالِف الفطرة، شهد على ذلك التاريخ، وأقرّ به الأعداء، وبدا للعيان فلا ينكَر، وبان ماثلًا فأنى يجحد؟!

ومن سيما هذه المقاصد شموليتُها لصلاح الدين، وعمارة الدنيا، وفلاح الآخرة، فإكمال نفس الإنسان من الأفراد والجماعات (بجعل الإسلام دين الفطرة السليمة، والعقل والفكر، والعلم والحكمة، والبرهان والحجّة، والضمير والوجدان، والحرية والاستقلال)[١]، يشمل كل ما فيه نهضة الإنسان، وإصلاحه اجتماعيًّا واقتصاديًّا، وتهيئته صحيًّا وبدنيًّا، وتنظيمه سياسيًّا وأمنيًّا، مع تحرر عقله من التقليد الأعمى، أو الجمود المميت.

لذا كان المسلمون منذ نزل القرآن تمثّلوه في نفوسهم، وجعلوه واقعًا مَعيشًا، يهذّب أخلاقهم، ويصلح شأنهم، وينير عقولهم، ويجدِّد فكرهم ونظرتهم للحياة، به تقيَّم العلاقات، وتحدَّد الأولويات، وترسم شؤون الدولة وعلاقاتها وسياساتها الداخلية والخارجية... حتى أضحت أمّة القرآن في صدارة الأمم، بفكرها وروحها وأخلاقها وحضارتها ومجدها، حتى قال جوستاف لوبون (ت: ١٩٣١م): (إن ملكة الفنون لا يتمّ تكوينها لأمة من الأمم الناهضة إلا في ثلاثة أجيال، أولها: جيل التقليد، وثانيها: جيل الخضرمة، وثالثها: جيل الاستقلال والاختصاص، إلا العرب وحدهم فقد استحكمت لهم ملكة الفنون في الجيل الأول الذي بدؤوا فيه بمزاولتها)[٢].

بل إن جهود علماء المسلمين في تاريخهم الطويل في سائر العلوم الدينية والحياتية والطبية والفلكية... إلخ مبعثه القرآن، إما بدلالة ظاهرة، أو إيحاء خفي،

(١) المرجع السابق (ص: ١٧٣).
(٢) سر تطور الأمم (ص: ٤٦).

أو أمر بتفكر، أو بمخاطبة وجدان، أو حث على عمل، أو يكون خدمة للقرآن، مما أورث مكتبة عامرة، وتاريخًا مجيدًا، وحضارة باقية، أعلامها ظاهرة، وآثارها باقية، تتجدّد مع كل زمان ومكان، جاء عن أبي الفضل المرسي[١] قوله: (جمع القرآن علوم الأولين والآخرين، بحيث لم يحِط بها عِلمًا حقيقةً إلا المتكلِم بها، ثم رسول الله ﷺ خلا ما استأثر به سبحانه، ثم ورث عنه معظمُ سادات الصحابة وأعلامُهم، مثل الخلفاء الأربعة وابن مسعود وابن عباس ﭫ جميعًا، حتى قال: لو ضاع لي عقال بعير لوجدته في كتاب الله. ثم ورث عنهم التابعون بإحسان، ثم تقاصرت الهمم وفترت العزائم... فنوَّعوا علومه، وقامت كل طائفة بفنّ من فنونه، فاعتنى قوم بضبط لغاته، وتحرير كلماته، ومعرفة مخارج حروفه... واعتنى النحاة بالمعرَب منه والمبنيّ من الأسماء والأفعال والحروف العاملة وغيرها... واعتنى المفسّرون بألفاظه... واعتنى الأصوليّون بما فيه من الأدلة العقلية والشواهد الأصلية والنظرية... وتأمّلت طائفة منهم معاني خطابه، فرأت منها ما يقتضي العموم، ومنها ما يقتضي الخصوص، إلى غير ذٰلك، فاستنبطوا منه أحكام اللغات من الحقيقة والمجاز... وتلمّحت طائفة ما فيه من قصص القرون السالفة والأمم الخالية، ونقلوا أخبارهم، ودوَّنوا آثارهم، وسمَّوا ذٰلك بالتاريخ والقصص... ونظر قوم إلى ما فيه من الآيات الدالات على الحكم الباهرة في الليل والنهار، والشمس والقمر ومنازله، فاستخرجوا منه علم المواقيت... وقد احتوى على علوم أخرى من علوم الأوائل؛ مثل: الطب والجدل والهيئة والهندسة والجبر والمقابلة... وفيه أصول الصنائع وأسماء الآلات التي تدعو الضرورة إليها كالخياطة والحدادة...) إلخ[٢].

---

(١) هو الإمام المفسر المحدث، ذو الفنون، شرف الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي الفضل السلمي المرسي الأندلسي، وهو من الأئمة الفضلاء في جميع فنون العلم، وله فهم ثاقب وتدقيق في المعاني، توفي سنة ٦٥٥هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (٢٣/ ٣١٢).

(٢) ينظر: الإتقان في علوم القرآن (٥/ ١٩١٠- ١٩١٧).

وبعد: فإن النظر في مقاصد القرآن والتأمّل فيها وتدبُر آيات الله تعالى يفتح آفاقًا رحبة ومعانيَ واسعة، يستطيع الباحث من خلالها الإبحارَ العلمي، والتوسع الأفقي في دلالات القرآن وإشاراته، والاستنارة بهديه[١]، وصدق الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، فلن تغيض معاني القرآن وتعزب دلالاته، لكن بإدراك المنهجية العِلميَّة تفيض المعاني، وتدرك الدلالات.

خامسًا: علوم القرآن:

من منافذ الهدايات القُرآنيَّة لعموم الموضوعات الواردة في كتاب الله تعالى: العلومُ المتعلّقة بالآيات والسور، والموضوعات المتَّصلة بها، التي تكون الدلالة فيها خارجَ ذات النص، لكن لا يمكن فهم تمام النص وكمال معناه إلا بإدراك تلك العلوم المتعلّقة بعلوم القرآن واستحضارها، فبها يكتمل المعنى، وتظهر معها الدلالة، ويضبط بها الفهم.

وقبل ذكر بعض هذه العلوم يحسُن التعريف الاصطلاحي لعلم علوم القرآن؛ ليدرَك المقصود ويفهَم السياق، فعلوم القرآن هي: علوم تتعلّق بتاريخ القُرآن الكَريم، وما كان وسيلة لفهمه وتلاوته على الوجه الصحيح[٢].

---

(١) من أمثلة ذلك: ملتقى عقِد في رحاب الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، بعنوان: عظمة القرآن في مقاصده، نظمته جمعية تبيان بتاريخ ٢١/ ٥/ ١٤٣٢هـ، ومن بين تلك الأوراق: ١/ أثر مقاصد القرآن في الارتقاء بالعلوم الإنسانية، ٢/ أثر مقاصد القرآن في الارتقاء بالعلوم الكونية، ٣/ أثر مقاصد القرآن في الارتقاء بعلم البيئة، ٤/ أثر مقاصد القرآن في الارتقاء بالحضارة.

ومن الكتب المفيدة في هذا الموضوع: المقاصد الكبرى للقرآن الكريم دراسة تأصيلية للدكتور: طه عابدين.

(٢) ينظر: علوم القرآن في الأحاديث النبوية (ص: ٣٦). وقد تعدَّدت التعريفات لهذا العلم وتنوعت، لكن لعل هذا التعريف من أقربها وأجمعها.

فأحد أركان هٰذا العلم -كما هو ظاهر- ما كان وسيلةً لفهم القرآن وإدراك دلالة الآيات والسور، والعلوم كثيرة ومتنوّعة، لٰكن أهمّ تلك العلوم المتعلقة باستخراج الهدايات واستنباط الدلالات هي:

١ - التَّفسِير:

وهو بوّابة المعنىٰ، ومنطلق الهدايات والدلالات، وحتىٰ تصح النتائج لا بد من إحكام المدخَلات، والنصّ القرآني يُقدِم عليه سليم المعتقد صحيحُ الفهم مبتغي الهداية والدلالة، كما يَرِد عليه فاسدُ المعتقد، سيّئ الفهم، خبيث الطوية؛ لذا جاء الوعيد الشديد على القول في التَّفسِير بغير علم، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]، فقرن الله تعالى القول عليه بغير علم -ومن ذٰلك تفسير كلامه سبحانه بجهلٍ وتخمين- بالشرك والفواحش، وجاء في الأثر عن ابن عباس ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ: (مَن قالَ في القُرآنِ بغَيرِ علمٍ فَليَتبوَّأ مَقعدَهُ منَ النَّارِ)[١]، فليس كلّ تفسير للآية أو السورة يكون مقبولًا، أو كل ما عنَّ في الذهن وخمَّنه العقل يكون صحيحًا، فليحذر المستدلّ بكتاب الله تعالىٰ، وليأت البيوت من أبوابها؛ بالرجوع إلىٰ كتب التَّفسِير المعتمدة والأئمة المعتبرين؛ ليطمئن إلى التَّفسِير الصحيح للآية قبل الاستدلال بها واستنباط هداياتها ودلالاتها، وقد كتب العلماء قديمًا وحديثًا كتبًا، وصنفوا مصنفاتٍ في أصول التَّفسِير وطرقه، والتفريق بين المنقول منه والمعقول، وشروط القول فيهما، ومتىٰ يمكن للإنسان أن يقول برأيه، ومتىٰ لا يمكن؛ كل ذٰلك ليكون التَّفسِير صحيحًا، علىٰ وفق معايير أساسية، تصح معها الدلالة، ويستقيم بها المعنىٰ في استنباط الهدايات واستخراج الدلالات في شتى العلوم وتنوع المعارف.

---

(١) رواه الترمذي في جامعه [٢٩٥٠]، وقال: حديث حسن صحيح، والإمام أحمد في مسنده (٣/ ٤٩٦).

٢- أسباب النزول:

وهو من العلوم التي تفتح آفاقًا معرفية ومجالات بحثية في عموم العلوم والمعارف، فبعض الآيات والسور لها قصّة نزول، وسببٌ نزلت به الآية أو الآيات، والنظر في تلك الأسباب كما أنه يعين على فهم الآية، ويتوقف عليه تمام المعنى، كما قال الواحدي (ت: ٤٦٨هـ): (إذ هي أوفى ما يجب الوقوف عليها، وأولى ما تصرف العناية إليها؛ لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها)[١]، فهو أيضًا في نفسه مصدر هداية ودلالة، ويمكن أن يستدلّ به، ويكون مبعثًا لبحوث ودراسات بينية، إما في الدِّراسات الاجتماعية كقصة نزول مطلع سورة المجادلة، أو في نظم السياسة والإدارة كسبب نزول قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨]، أو في علوم الطب والصحة كقصة نزول آية: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة: ١٩٦]، وكذا في علوم الطبيعة كقصة نزول قوله سبحانه: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الحشر: ٥].. وهذه بعضٌ من كل، وأمثلة يسيرة على عموم العلوم والمعارف، وإلا فإن النظر في أحد مصنفات أسباب النزول أو تتبع أسباب نزول بعض الآيات كفيل بفتح آفاقٍ ثرية، تكون منطلقًا لبحوث بينية في عموم المعرفة وأصناف العلوم المتنوعة.

٣- المكي والمدني:

كل ما اتَّصل بالكتاب الحكيم فهو ذو حكمةٍ ودلالةٍ، وقد وُصف القرآن كله بأنه: ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ [القمر: ٥]؛ للدلالة على أنه بلغ الغاية في الحكمة

---

(١) أسباب النزول لأبي الحسن الواحدي (ص: ٤).

والإحكام والإتقان، وما على الدارس والباحث فيه إلا تلمّس تلك الحِكَم في كل ما يتّصل بهٰذا الكتاب العزيز أيًّا كان مجال البحث وتخصّص الباحث، ومن ذٰلك تتبع أماكن نزول القرآن وزمنه، فله دلالته وهداياته، ويفتح آفاقًا بحثية في جغرافية الأماكن، وتاريخية النزول، كذٰلك مراعاة أزمنة القوة والضعف، ودراسة أحوال المجتمعات بين فئة مستضعَفة ودولة صاعدة، وغير ذٰلك، قال القرطبي (ت: ٦٧١هـ): (وينبغي له أن يعرف المكيّ من المدنيّ؛ ليفرق بين ما خاطب الله به عباده في أول الإسلام، وما ندبهم إليه في آخره، وما فرض في أول الإسلام، وما زاد عليهم من الفرائض في آخره)[١].

وقد عُني السلف بهٰذا العلم، حتىٰ قال ابن مسعود ﷺ: (والله الذي لا إله غيره، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين نزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن نزلت، ولو أعلم أحدًا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه)[٢]. فمعرفة مكية الآيات والسور ومدنيتها يكشف عن علوم بينية ودراسات بحثية مشتركة لعموم الباحثين في سلك المعرفة أيًّا كانت تخَصُّصاتهم وتنوعت انتماءاتهم.

٤ - علوم السّورة والآية:

ويأتي في مطلعها أسماء السور وبعض الآيات، خصوصًا إذا علمنا أن كل سورة من القرآن قد سمِّيت باسم توقيفيّ من النبي ﷺ، تُعرف به، وتتميز به عن غيرها[٣]،

(١) من مقدمة تفسير القرطبي (١/ ٣٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه [٥٠٠٢] كتاب: فضائل القرآن، باب: القراء من أصحاب النبي ﷺ.

(٣) يقول السيوطي: (ظاهره أنه لا يجوز إلا بتوقيف من النبي ﷺ، والمراد الاسم الذي تذكر به وتشتهر، وإلا فقد سمىٰ جماعة من الصحابة والتابعين سورًا بأسماء من عندهم). التحبير في علم التَّفسِير (ص: ٣٦٩).

وتنوّع تلك التسميات بين أعلام وأوصاف، مما يكوِّن مجالات خصبة لأرباب العلوم والمعارف المتنوّعة في تلمّس الحكم، واستخراج الدلالات من تلك الأسماء والأوصاف، ولِمَ خصّ الاسم وذاك الوصف دون غيره؟ وما مناسبة الاسم لموضوع السورة؟ إلخ.

أيضًا عددُ آي السورة وتنوّعها بين طوال ومئين ومثاني ومفصّل، والمقارنة بينها، وكذا ترتيب السور وانتظامها في كتاب الله، ولِمَ افتتح بهٰذه السورة وخُتم بتلك؟ وذٰلك على القول الراجح بأن ترتيب السور في كتاب الله توقيفيّ من الشارع الحكيم[1]، كل ذٰلك يفسَح عن آفاقٍ بحثية لأرباب العلوم والمعارف المتنوعة، كونه تنزيلًا من حكيم عليم الذي أتقن كل شيء سبحانه.

٥- القراءات:

في المرحلة المدنية وبعد دخول الناس في دين الله أفواجًا دعا رسول الله ﷺ ربَّه أن يخفِّف عن أمته قراءة القرآن، فأذن له أن يُقرِئ أمتَه علىٰ سبعة أحرف، أيُّما حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا، وتمَّ جمع القرآن في عهد أبي بكر وعثمان ﵄ علىٰ ما استقرّ عليه في العرضة الأخيرة التي عارض فيها النبي ﷺ جبريل عليه السلام سنة وفاته عليه الصلاة والسلام، فكانت تلك من مجموع الأحرف السبعة، فتلقاها الصحابة وأقرؤوا بها غيرهم، وتلقاها من بعدهم جيلًا بعد جيل، فتعدَّدت القراءات المروية لبعض الكلمات القُرآنيَّة، فكان النظر فيها والبحث عنها يفتح آفاقًا من المعاني والدلالات، فإنَّ جملة منها -بل الأعم الأغلب- ليس اختلافًا لفظيًّا فحسب، بل يتغاير معها المعنىٰ ويختلف بها المراد؛ ولذا قرر العلماء أنّ تنوُّع القراءات بمنزلة تعدّد الآيات، فقد تكون ضالةُ الباحث يجدها

---

(١) ينظر في هٰذه المسألة: البرهان في علوم القرآن للزركشي (١/ ٣٥٣)، الإتقان للسيوطي (٢/ ٤٠٥).

في مظانها في كتب القراءات وتوجيهها، فالقراءات القُرآنيَّة منفذ ثري، ومنجم غنيّ بالمعاني والدلالات.

٦- تجويد القرآن:

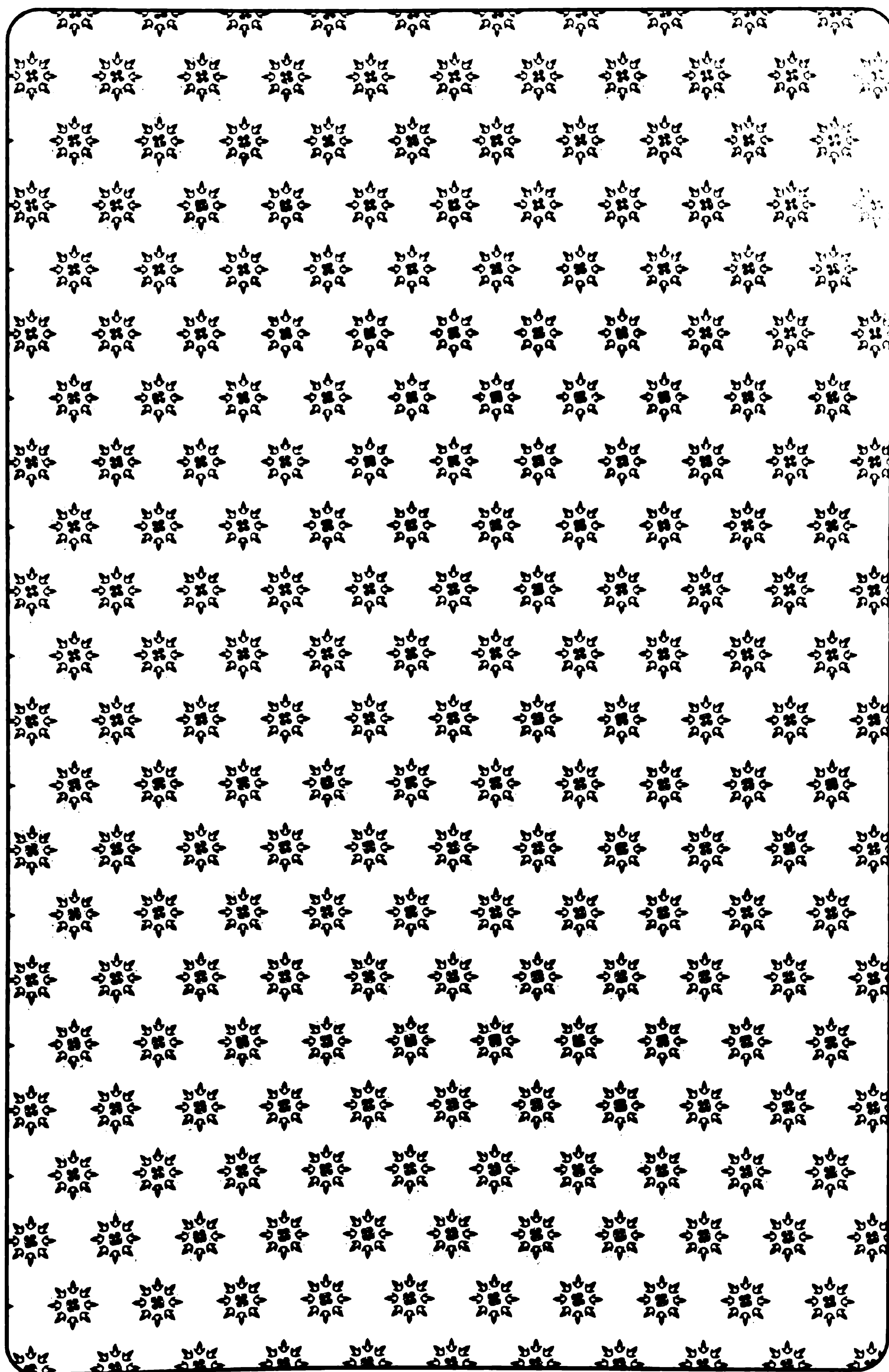
كانت السُّنة أن يتلقَّى النبي ﷺ القرآن من لدن حكيم عليم، ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل: ٦] بواسطة الملَك جبريل عليه السلام، فتعلَّم منه عليه الصلاة والسلام التلفُّظ بالقرآن وتلقَّاه منه، ثم نقل ذٰلك إلىٰ أصحابه وأقرأهم ما نزل عليه بذات الأداء الذي تلقَّفه وسمِعه، حتىٰ خصَّ بعض أصحابه بالتعليم والإقراء كونَهم بلغوا الرتبةَ العالية في تجويد الحرف وحُسن الأداء، فقال عليه الصلاة والسلام: (استقرِئوا القرآن من أربعة: من ابن مسعود، وسالم مولىٰ أبي حذيفة، وأبيّ، ومعاذ بن جبل)[1]، فكانت سنة قراءة القرآن أن تكون علىٰ أداء رفيع وتحقيق بليغ، في إقامة الحروف وإعطائها حقَّها ومستحقَّها، قطعًا ووصلًا.

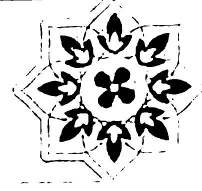
فأحكام التجويد وطرق الأداء أُخذت بالتلقّي، ونُقلت إلينا بالسند المتصل إلى النبي ﷺ مشافَهة، مما يصحّ معه أن يكون مصدرًا للّسانيات، ومرجعًا للغات واللّهجات، وأصلًا لأداء الحرف العربيّ مخرجًا وصفة، وميكانيكية (علم) الأصوات... فالتجويد يفتح أبوابًا لعلوم بينيّة في عموم التخَصُّصات العِلميَّة، بمرجعيته الربانية ومصدريته الإلهية.

وبعد، فتلك أحد عشر مصدرًا من مصادر استمداد الدِّراسات البَينيَّة القُرآنيَّة، توخينا فيها الإشارة، واكتفينا معها بالدلالة، دون الشرح وتطويل العبارة، ولن يعزبَ عن الباحث المحقّق الوقوف علىٰ غيرها مما يوافق طبيعة بحثه سوىٰ ما ذكر.

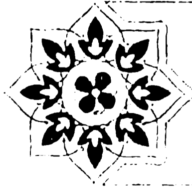
---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب: مناقب سالم مولىٰ أبي حذيفة [٣٧٥٨].





المبحث السّادس: منهجيّة البحث في الدّراسات البَينيَّة القُرآنيَّة



إنَّ لكل هدف وغاية سبيلًا ووسيلة، تمهِّد لصاحبها الطريق في تحقيق النتائج وجلب الحقائق، في أيسر سبيل وأسهل طريق، من خلال إتيان البيوت من أبوابها، وطَرْق الموضوعات بمنهجياتها وأسلوبها، وذٰلك كلٌّ بحسْبه وطبيعته حسًّا ومعنىٰ، قال الله تعالىٰ: ﴿وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩]، فهو منهج قرآني وتوجيه رباني، وما سوىٰ ذٰلك عبث يتيه معه الباحث في سُبُلٍ تُشتت الذهن وتشوّه النتائج، وتُضلّ صاحبها عن سواء السبيل، مع ما ينال الباحث من عنتٍ ومشقة.

ومنهجية الدراسة التَّفسِيرية للآيات القُرآنيَّة طويل باعها، ومتعدّد أطرافها، فهو التعامل مع كلام الله والتوقيع عن رب العالمين، الذي لا يصل إلىٰ فهمه إلا من تبحر في العلوم وأصلح نفسه وحاله بمراقبة علوم الغيوب، وتوقف حيث أمره الله تعالىٰ... فيصعب حصرها في مبحث ضمن (مدخل). بَيدَ أن ما لا يدرك كله لا يترك كلّه، وحسبنا ذكر معالم منهجية وخطوط عريضة، تكشف عن أهم الخطوات المنهجية في الدراسة التَّفسِيرية للآيات القُرآنيَّة، يقول أبو حيان (ت: ٧٤٥هـ) بعد ذكره لأهم العلوم التي يحتاجها المفسر: (فهٰذه سبعة وجوه لا ينبغي أن يقدم علىٰ تفسير كتاب الله **إلا من أحاط بجملة غالبة من كل وجه منها**... وأما من اقتصر علىٰ غير هٰذا من العلوم، أو قصَّر في إنشاء المنثور والمنظوم، فإنه بمعزل عن فهم غوامض الكتاب، وعن إدراك لطائف ما تضمنه من العجب العجاب، وحظه من علم التَّفسِير إنما هو نقل أسطار، وتكرار محفوظ علىٰ مر أعصار)[1].

---

(١) مقدمة تفسير البحر المحيط (١/ ٢٧).

ومن رام التوسّع والإفاضةَ فلييمِّم وجهه قِبَل كتب أصول التَّفسِير وعلوم القرآن[1]، فسيجد بغيته ولا بدّ.

وحتىٰ تستقيم المنهجية وتؤتي ثمارَها لا بد لسالكها من صحة المعتقد وسلامة المقصد وسداد النية وسلوك الجادة، فلا تدفعه بدعة، ولا يميل به هوىٰ، ولا يخالطه رياء وسمعه، ولا يخبط خبط عشواء، إنما حاديه البحثُ عن الحق، وداعيه الكشف عن معاني الألفاظ ودلالات التراكيب، بمنهجية سليمة وطريقة صحيحة، وليحذر القدوم على القرآن باستصحاب مفاهيم يريد إثباتها، أو بمقررات سابقة يلوي أعناق النصوص لتوافقها وتقررها، فهو مزلة قدم ومظنة عطب، ولن تعود عليه إلا بالضلال والخسران.

قال الزركشي (ت: ٧٩٤هـ): (والحقّ أن علم التَّفسِير **منه ما يتوقف على النقل**، كسبب النزول، والنسخ، وتعيين المبهم، وتبيين المجمل، **ومنه ما لا يتوقف**، ويكفي في تحصيله التفقه على الوجه المعتبر)[2].

ومن خلال هٰذا الحصر يمكن تقسيم المنهجية إلىٰ قسمين:

الأول: ما يُتوقَّف فيه على النقل:

كالتَّفسِير المباشر للقرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة، وتفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين، وأسباب النزول والنسخ وغيرها، فيكون السبيل إلى المعرفة هو النقل عمن سبق والرواية عن أهل الرواية، والمنهجية فيها:

---

(١) ينظر علىٰ سبيل المثال: مقدمة تفسير الراغب الأصفهاني (١/ ٩٣)، مقدمة في أصول التَّفسِير لشيخ الإسلام ابن تيمية، البرهان في علوم القرآن للزركشي (٢/ ٢٧٦) وما بعدها، الإتقان للسيوطي (٦/ ٢٢٧٤-٢٣٢١).

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي (٢/ ٣١٢).

١- البدء بتفسير القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان قد يكون فسِّر في موضع آخر، وما اختصر في مكان قد يكون بسط في موضع آخر، فإن لم تجده فعليك بالسنة النبوية فهي شارحة للقرآن وموضِّحة له، وهي وحي كما القُرآن الكَريم وحي، فإن لم تجد التَّفسِير في القرآن ولا في السنة، فعليك بأقوال الصحابة فإنهم أعلم بالمعاني من غيرهم لما شاهدوه من القرآن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التامّ والعلم الصحيح، فإن لم تجده فابحث في أقوال التابعين خصوصًا ما أجمعوا عليه فهو حجة ولا شك[1].

٢- التثبت من صحة النقل: خصوصًا في الأحاديث النبوية والقراءات القُرآنيَّة وأسباب النزول والنسخ[2]، وتجنب الأحاديث الباطلة والموضوعة التي قد ترد في كتب التفسير وغيرها، وأما ما يتعلق بأقوال الصحابة والتابعين في التَّفسِير فالبحث في صحة النقل لا يتشدد فيه، إلا في أحوال منها: إن كان القول مما لا يقال فيه بالرأي، أو كان سبب نزول، أو خالف ظاهر القول ما ثبت عن النبي ﷺ، أو خالف المشهور من أقوال السلف، أو خالف إجماعهم على قول ورأي، أو عارض القول سياق الآية، وكذا إن ورد قولان متعارضان عن مفسّر واحد؛ لمعرفة الصحيح منهما، أو كان القول فيه إثبات قراءة قرآنية... فعندئذ لا بد من البحث في صحة السند والمتن.

---

(١) ينظر: مقدمة في أصول التَّفسِير لشيخ الإسلام ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٦٣)، وممن عني بهذه المنهجية جملة المفسرين، كابن جرير الطبري في تفسيره، والمحرر الوجيز لابن عطية، ومعالم التنزيل للبغوي، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير... وغيرهم.

(٢) ومظان ذلك: الطبري في تفسيره (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، والبغوي في معالم التنزيل، وابن كثير في تفسيره، ويمكن الاستفادة من موسوعة التَّفسِير بالمأثور إعداد: معهد الشاطبي.

٣- تحري الصواب في مطابقة التَّفسِير للمفسر، والدقة في النقل ليطابق المفسر التَّفسِير، وعدم الاستطراد وتشعيب الآراء والأقوال، وأن يتحرز من نقص المفسَّر عما يحتاج إليه من إيضاح المعنىٰ، أو أن يكون في المفسِّر زيغ عن المعنى المفسَّر وعدول عن طريقه[1].

٤- الالتزام بالنقل والرواية مما لا يمكن معرفة المعنىٰ إلا بهما، والتوقف عند وجود التشابه الحقيقي وإحالة علمه إلى الله تعالىٰ، قال الزركشي (ت: ٧٩٤هـ): (وكل متشابه في القرآن عند أهل الحق فلا مساغ للاجتهاد في تفسيره، ولا طريق إلىٰ ذٰلك إلا بالتوقيف من أحد ثلاثة أوجه: إما نص من التنزيل، أو بيان من النبي ﷺ أو إجماع الأمة علىٰ تأويله، فإذا لم يرد فيه توقيف من هٰذه الجهات علمنا أنه مما استأثر الله تعالىٰ بعلمه)[2].

الثاني: ما لا يُتوقَّف فيه على النقل:

وهو أن يُعمِل المفسر عقله في فهم القرآن والاستنباط منه، مستخدمًا آلات الاجتهاد وأدوات الحكم، قال بعض السلف: للقرآن نزول وتنزّل، فالنزول قد مضىٰ، والتنزُّل باقٍ إلىٰ قيام الساعة[3].

ففهم كلام الله تعالىٰ لا غاية له، كما لا نهاية للمتكلّم به سبحانه، فأما الاستقصاء فلا مطمع فيه للبشر، ومن لم يكن له علم وفهم وتقوىٰ وتدبر لم يدرك من لذة القرآن شيئًا[4].

---

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن (٢/ ٣١٦).

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي (٢/ ٣٠٧).

(٣) المرجع السابق (٢/ ٢٩١).

(٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي (٢/ ٢٩١).

وأبرز معالم المنهجية في هٰذا القسم:

١- الحذر من القول في التَّفسِير بغير علم، أو إبداء الرأي والاجتهاد من غير أصل، لٰكن بالتخمين والاجتهاد القاصر، دون تحقق الأهلية وبذل الطاقة في البحث والدراسة، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]، فقرن الله تعالى القول بغير علم بالشرك والبغي والفواحش، كما ورد الوعيد الشديد علىٰ تفسير القُرآن الكَريم بغير علم في السنة النبوية، قال عليه الصلاة والسلام: (مَن قالَ في القُرآنِ بغَيرِ علمٍ فَليَتبوَّأ مَقعدَهُ منَ النَّارِ)(١).

وهٰذا الوعيد محمول على التَّفسِير المبني علىٰ جهل وبغير علم، أو الدافع له تحريف الكلم وفساد الطوية، أما الاجتهاد القائم علىٰ علم ودراية وبحث ودراسة، فهو محمود بل ومرغب فيه، قال البيهقي (ت: ٤٥٨هـ): (إنما أراد -والله أعلم- الرأي الذي يغلب على القلب من غير دليل قام عليه؛ فمثل هٰذا الرأي لا يجوز الحكم به في النوازل؛ فكذٰلك لا يجوز تفسير القرآن به، وأما الرأي الذي يسنده برهان؛ فالحكم به في النوازل جائز، وكذٰلك تفسير القرآن به جائز)(٢).

وقال ابن القيم (ت: ٧٥١هـ): (الرأي نوعان: أحدهما: رأي مجرد لا دليل عليه، بل هو خَرْص وتخمين، فهٰذا الذي أعاذ الله الصديق والصحابة منه. والثاني: رأي مستندٌ إلى استدلال واستنباط من النص وحده، أو من نص آخر معه، فهٰذا من ألطف فَهْمِ النصوص وأدقه)(٣).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) الجامع لشعب الإيمان (٤/ ٣٧٨).

(٣) إعلام الموقعين (٢/ ١٥٤).

٢- البدء بالعلوم اللفظية ومتعلقاتها، فالقُرآن الكَريم نزل بلسان عربي مبين، وعلىٰ سنن العرب في الأساليب والتراكيب، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]، وهٰذه العلوم علىٰ نوعين:

أ) الألفاظ المفردة: وذٰلك بمعرفة معاني المفردات القُرآنيَّة وتحقيق دلالاتها، وهو يتعلق بعلم اللغة(١)، قال مالك بن أنس (ت: ١٧٩هـ): (لا أوتىٰ برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالًا)(٢).

ومن تحقيق اللفظة معرفة تصريف الكلمة؛ لأن به تعرف الأبنية والصيغ، قال ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ): (ومن فاته علمه -أي: التصريف- فاته الُمعْظَم؛ لأن (وجد) مثلًا كلمة مبهمة، فإذا صرفناها اتضحت بمصادرها)(٣).

وتتم المعرفة التامة باللفظة بإدراك اشتقاقاتها(٤)؛ لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف المعنىٰ باختلافهما، كالمسيح، هل هو من السياحة أو من المَسْح؟(٥).

ب) تركيب الجملة: ويأتي في مقدمة ذٰلك معرفة النحو وإعراب الكلمة؛ لأن المعنىٰ يتغير والسياق يختلف باختلاف الإعراب(٦)، فالفاعل له دلالته كما المفعول، ومثله المبتدأ والخبر...

---

(١) ومظان ذٰلك: كتاب غريب القرآن لابن قتيبة، ومجاز القرآن لأبي عبيدة، ومعاني القرآن للزجاج، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب.

(٢) الجامع لشعب الإيمان (٤/ ٢٧٠).

(٣) نقله عنه السيوطي في الإتقان (٦/ ٢٢٩٤).

(٤) ومظان معرفة التصريف والاشتقاق للفظة القُرآنيَّة: مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، وعموم كتب اللغة كالعين للفراهيدي، وتهذيب اللغة للأزهري، ولسان العرب لابن منظور، وكذا بعض كتب التَّفسِير كالبسيط للواحدي، والبحر المحيط لأبي حيان.

(٥) ينظر: البرهان في علوم القرآن (٢/ ٣١٤)، الإتقان في علوم القرآن (٦/ ٢٢٩٤).

(٦) ومظان ذٰلك: مشكل إعراب القرآن لمكي، والبيان في غريب القرآن لابن الأنباري، وكذا بعض كتب التَّفسِير كالبسيط للواحدي، والبحر المحيط لأبي حيان، والدر المصون للسمين الحلبي.

ثم النظر بعد ذلك في تركيب الجملة من حيث المحسنات وعوارض السياق، وهو العلم بالبلاغة[١] (المعاني والبيان والبديع)؛ لأنه يعرف بالأول: خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنىٰ كالخبر والإنشاء والإيجاز والإطناب والتقديم والتأخير، وبالثاني: خواصها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفاؤها كالاستعارة والكناية والتشبيه، وبالثالث: وجوه تحسين الكلام باعتبار الفصاحة اللفظية والمعنوية، كالسجع والاقتباس، والمقابلة والتورية... وهذه العلوم هي علوم البلاغة، وهي من أعظم أركان المفسِّر[٢].

٣- قد تكون للفظة القُرآنيَّة -محل البحث- أكثرُ من قراءة، وتشي إلىٰ دلالات أوسع وقد تكون أعمق، فيحتاج الباحث الرجوع إلىٰ علم القراءات وتوجيهها، فإنَّ تنوّع القراءات بمنزلة تعدد الآيات، وبالقراءات ترجح بعض الوجوه المحتملة علىٰ بعض[٣].

٤- حصول المعرفة العِلميَّة لمحل الاستدلال، فإن كان في الفقه وأصوله فلا بد للباحث من المعرفة بالحكم الشرعي ودلالات الاستدلال من مظانها[٤]، أو كانت مسألة عقدية أو موضعًا تنازعت فيه الطوائف والملل، فعندئذ يلزم الرجوع إلىٰ كتب العقائد الموثوقة[٥]، ومثله إن كانت المسألة تتعلق بالحديث النبوي...

---

(١) ومظان ذلك: إعجاز القرآن للباقلاني، وإعجاز القرآن للخطابي، ومن كتب التَّفسِير: الكشاف للزمخشري، وفتوح الغيب للطيبي، وتفسير البيضاوي.

(٢) ينظر: المرجعان السابقان.

(٣) ومظان ذلك: كتاب السبعة لابن مجاهد، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكي بن أبي طالب، ومن التفاسير: تفسير الطبري، والبحر المحيط لأبي حيان.

(٤) ومظان ذلك: كتب أحكام القرآن للجصاص، ولابن العربي، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي.

(٥) ومظان ذلك: تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية جمع إياد القيسي، دقائق التَّفسِير جمع: د. محمد الجليند، والتَّفسِير القيم لابن القيم جمع: محمد الندوي، وكذا تفسير الطبري، وابن كثير.

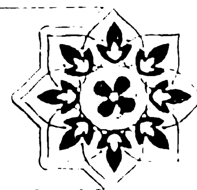
وهكذا؛ ليتسع نظر الباحث ويصح الاستدلال، ويستقيم معه الدليل، وفي مثل هذا السياق يقول الزركشي (ت: ٧٩٤هـ): (ضرورة معرفة المفسر قواعد أصول الفقه، فإنه من أعظم الطرق في استثمار الأحكام من الآيات)[١].

تلك هي أهم المعالم المنهجية للبحث والدراسة التَّفسِيرية؛ لتؤتي ثمارها ويتحقَّق أثرها، وإلا عاد الاستدلال على صاحبه، وتقحَّم الوعيد الشديد في ارتكاب المحظور، وضلَّ عن سواء السبيل، يقول ابن أبي الدنيا (ت: ٢٨١هـ): (فهذه العلوم التي هي كالآلة للمفسّر لا يكون مفسرًا إلا بتحصيلها، فمن فسر بدونها كان مفسِّرًا بالرأي المنهيّ عنه، وإذا فسر مع حصولها لم يكن مفسّرًا بالرأي المنهي عنه، والصحابة والتابعون كان عندهم علوم العربية بالطبع لا بالاكتساب، واستفادوا العلوم الأخرى من النبي ﷺ)[٢].

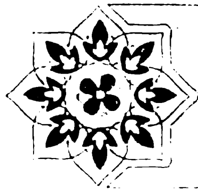


(١) البرهان في علوم القرآن (٢/ ١٣٢).

(٢) نقله عنه السيوطي في الإتقان (٦/ ٢٢٩٧).



المبحث السابع: ضوابط ومقترحات حول الدّراسات البَينيَّة القُرآنيَّة



جملة من المباحث الآنفة تتضمَّن مجموعةً من الضوابط المهمّة الحاكمة لمثل هٰذا النوع من الدِّراسات البَينيَّة، وفي هٰذا المبحث سنشير لبعض تلك الإرشادات والأفكار التي تُسهم في تجويد البحث، علمًا بأن مجمل هٰذه المقترحات شارك في وضعها عدد من الأساتذة والباحثين.

ومن الشواهد العِلميَّة لهٰذه الضوابط من كلام العلماء ما ورد عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦]، ذكر أبو حيان الأندلسي رحمه الله (ت: ٧٤٥هـ) في تفسيره ما يدل على الدِّراسات البَينيَّة وطريقة التعامل مع ذٰلك، فيقول رحمه الله: «وقد تكلم المفسرون هنا في حقيقة النسخ الشرعي وأقسامه، وما اتّفق عليه منه، وما اختلف فيه، وفي جوازه عقلًا، ووقوعه شرعًا، وبماذا ينسخ، وغير ذٰلك من أحكام النسخ ودلائل تلك الأحكام، وطوَّلوا في ذٰلك، وهٰذا كله موضوعه علم أصول الفقه، فيبحث في ذٰلك كله فيه.

وهٰكذا جرت عادتنا: أن كلّ قاعدة في علم من العلوم يُرجع في تقريرها إلىٰ ذٰلك العلم، ونأخذها في علم التَّفسِير مسلَّمة من ذٰلك العلم، ولا نُطوِّل بذكر ذٰلك في علم التَّفسِير، فنخرج عن طريقة التَّفسِير»[١].

فكلّ مسألة علميّة تُنسب إلىٰ علم ما يُرجع في تحقيقها إلىٰ ذٰلك العلم،

---

(١) البحر المحيط في التَّفسِير (١/ ٥٤٧).

وليس مِن المنهج العلمي أن يُنازَع أرباب العلوم في علومهم، لا سيَّما مَن كان دخيلًا علىٰ ذٰلك العلم، ولم يُتقن أصوله، ويَضبط مسائله، ولا يخفىٰ أن مِن أدبيات العلم وقيمه تقديرَ المتخصّصين في العلوم، واعتبار اجتهاداتهم، فذٰلك من العدل والإنصاف مع الحقيقة والذات[1].

إنَّ الرجوع لأهل كل تخصّص حقٌّ وعدل، فـ«من الواجب علىٰ أرباب الصناعات.. ألا يحمل أحدًا فرطُ الإعجاب بنفسه وبصناعته على الاستخفاف بما سواه، وألا يحمله الاغترار بما أوتيه من المهارة في خاصّيِّ صناعته علىٰ الخوض فيما ليس هو من شأنه، بل يعمل علىٰ تفويض كلّ صناعة إلىٰ أربابها، ويوفِّي العارفين بها والمتقدمين فيها أبلغَ حقوقهم من التبجيل والتعظيم»[2].

ومما يدخل في هٰذه الضوابط ما يلي:

أولًا: ما يتعلق بالباحث في الدِّراسات القُرآنيَّة مع العلوم الأخرىٰ:

- أن يجتهدَ الباحث في إيجاد مساعِد له في التخصّص الذي يبحثه مع القُرآن الكَريم، ولو أمكن ذٰلك بالطرق النظاميّة في ذات الأقسام الجامعيّة لكان حسنًا.

- الدخول مع مجموعات بحثية إنْ وُجدت، والبحوث المشتركة بين أقسام الجامعة وكلياتها.

- القراءة الدقيقة والدراسة الكافية للقضية التي يبحثها مع تخصصه.

- مراعاة التفريق بين التخَصُّصات الأخرىٰ في القرب والبعد من النص القرآني واحتمال اللفظ لها دون تكلف.

---

(١) سؤال التداخل المعرفي، محمد الأنصاري (ص: ٦٢).

(٢) الإعلام بمناقب الإسلام، أبو الحسن العامري (ص: ١١٨).

- عدم الدخول فيما لا يحسنه الباحث القرآني من دقائق التخَصُّصات الأخرىٰ.

- تحكيم الخطط البحثية البَينيَّة قبل اعتمادها من أهل التخَصُّصات ذات العلاقة.

- التحرير والتحكيم للبحث كاملًا بعد الانتهاء منه قبل المناقشة؛ للتأكد من سلامة فهم مسائل العلوم الأخرىٰ.

- مزيد العناية والضبط للمصطلحات العِلميَّة بالرجوع لمعاجم أهلها.

- البعد عن التكلف عمومًا في ربط القُرآن الكَريم مع غيره من العلوم بخاصة الطبيعية والعقلية.

- عدم الخروج عن المعنى البياني التَّفسِيري للآية، ثم مراعاة سنن الاستنباط منها في علم أصول الفقه.

- إلمام الباحث القرآني عمومًا ببعض العلوم الشرعية واللغوية التي لها صلة بالقُرآن الكَريم، مثل: البلاغة، ومباحث الدلالات والألفاظ في أصول الفقه بخاصة عند الأحناف، وكذٰلك بعض مباحث القياس والمصلحة ومقاصد الشريعة التي تمنح الباحث مجموعة من المعايير الدقيقة في ربط الآية بعلوم الواقع.

ثانيًا: ما يتعلق بالباحث في التخَصُّصات الأخرىٰ مع القرآن وعلومه:

- من المهم هنا أيضًا محاولة الباحث إيجاد مساعد أو مستشار فيما يُشكل عليه.

- معرفة المصادر الأساسية لعلوم الدِّراسات القُرآنيَّة كالتَّفسِير، وأصوله وقواعده، وعلوم القرآن وغيرها.

- التقيد بالضوابط والقواعد التَّفسِيرية عند أهل التخصص.

- معرفة كيفية الاستدلال التي ذكرها العلماء لعرض القُرآن الكَريم علىٰ الحوادث المتجددة.

- مراعاة الطريقة القُرآنيَّة الكلية في عرض القضايا.

- عدم تطويع القُرآن الكَريم وحمله على آراء الباحث دون علم.

- البعد عن الجزم واليقين في حمل أي آية على واقعة علمية تجريبية أو عقلية أو إنسانية.

- الحذر من توسيع مدلول الآيات خارج معانيها وما تحتمله ألفاظها اللغوية.

- ألا ينقض الباحث في أي دراسة بينية التفاسير المجمع عليها أو الخروج بالكلية عن المعاني الثابتة.

- أهمية استثمار أقوال علماء التَّفسِير، ولا سيما الذين لهم عناية بالاستنباط وربط القُرآن الكَريم بغيره من العلوم، مع التنبيه لسلامة رأيهم ودراسته وتحريره.

- إبطال علاقة الآية بالمسألة لا يعني نفي الصحة عن تلك المسألة، فإثباتها وصحتها شيء، وربطها بالآيات شيء آخر.

- مراعاة سياق الآيات وفهمها قبل أي استنباط أو توظيف لها والاستشهاد على قضية من قضايا العلوم الأخرى.

- نؤكد -كما سبق- على ضرورة الإلمام بالحد الأدنى لعلم أصول الفقه، وغيره من العلوم الضابطة والحاكمة للفهم والاستنباط كاللغة وعلوم القرآن.

- معرفة الشخصيات العِلميَّة المعتبرة في مجال الدِّراسات القُرآنيَّة بحسب المسألة.

- التمييز قدر الإمكان بين العلماء، فليس كل مشتغل بالقرآن وعلومه يلزم تخصصه وتجويده في ذات العلم، مع التنبيه أيضا إلى أن ثمة أخطاء اجتهادية قد تقع من العلماء في الجملة.

- التريث وعدم العجلة في الحكم.

- التفريق بين القضايا الغيبية وغيرها.

ثالثًا: مكملات بحثية عامَّة في الوعي البيني:

* إنشاء بيئة نقاشية ملهمة تجمع بين التخَصُّصات في كل جامعة كبيوت خبرة، أو جمعيات أو مراكز ونحوها.

* أن يكون البحث البيني مفيدًا لأحد العِلمين أو كليهما.

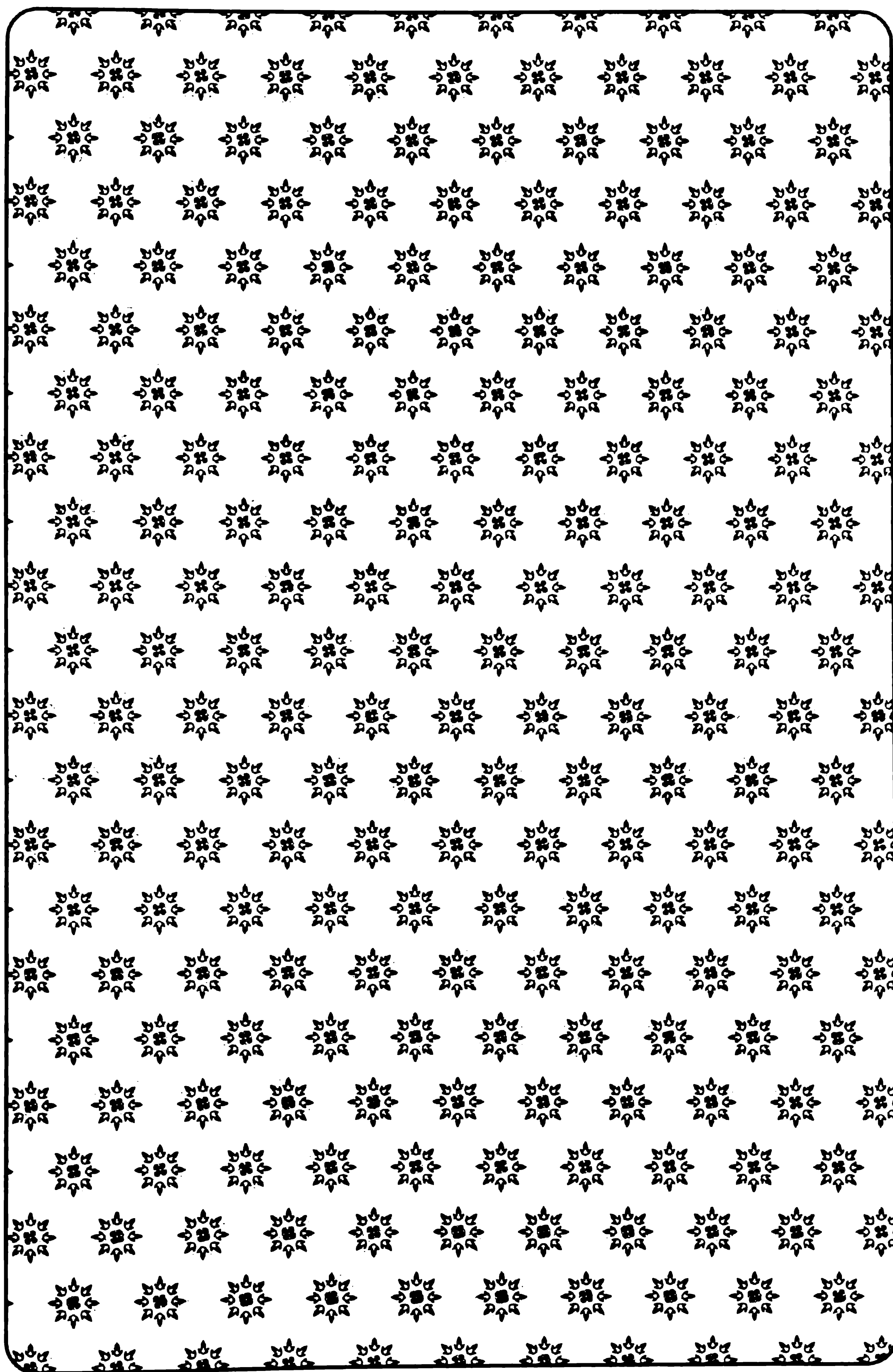
* التنبه إلىٰ أن الاتفاق في الموضوعات والمصطلحات لا يعني التطابق بينها، وعدم اختصاص كل علم منها بمعنىٰ.

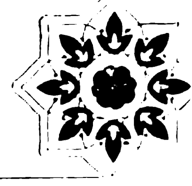
* تضييق مجال الاستطراد في العلوم الأخرىٰ بالقدر المفيد.

* ليس كل ما يذكره العلماء داخلًا في العلم، يقول ابن عطية رحمه الله (ت: ٥٤٢هـ) عن بعض المسائل في التَّفسِير: «وهٰذا من مُلَح التَّفسِير، وليس من متين العلم»[١].

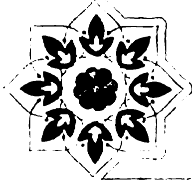


(١) المحرر الوجيز (١/ ٨٢).





الخاتمة



الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، والصلاة والسلام على خير البريّات، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أولي الفضل والمقامات، أما بعد:

فبعد سياحة علميّة منهجيّة وتاريخيّة بين مباحث هذه الدراسة والحقول العِلميَّة البَينيَّة المختلفة سواء الشرعية/ القُرآنيَّة أو غيرها نخلص إلى نتائج عدة، أهمها:

١- الدِّراسات البَينيَّة القُرآنيَّة ذات جذور ثابتة وتاريخ ممتد، فهي ليست انعكاسًا لطبيعة هذا العصر، أو بدعًا من المناهج والطرق، فقد تناولها العلماء السابقون، وعالجها المفسرون الأقدمون، كل في مجاله، وحسب ميوله وتخصّصه، لكن تزداد أهميتها في هذا العصر على وجه الخصوص لطغيان المادة، وسلطان المدنية، وتقارب الأمم والشعوب.

٢- أن الدِّراسات البَينيَّة القُرآنيَّة مبعثها إما من متخصص في الدِّراسات القُرآنيَّة له عناية بعلوم دنيوية أخرى، أو من خلال متخصص في علوم دنيوية له عناية بكتاب الله تعالى مدارسة وبحثًا ودراية، وكلاهما قد يحقق نتائج ويصل إلى حقائق، لكنّ الأكمل منهجًا والأتم طريقة أن يتشارك باحثان أو أكثر، أحدهما: متخصص في الدِّراسات القُرآنيَّة، والثاني: في العلم الآخر البيني؛ ليكمِّل أحدهما الآخر، ويصنعا دراسة متخصصة كاملة الأركان.

٣- طبيعة الدِّراسات البَينيَّة القُرآنيَّة تنطلق من كتاب الله تعالى، وتتعامل مع كلام الخالق سبحانه وتعالى، مما يضفي هيبة ورهبة في الاقتحام والحكم،

لكن باتباع المنهجية التي قررها العلماء، وطبقها المحققون منهم، يكون رأيًا محمودًا وعملًا مبرورًا إن شاء الله، قال ابن أبي الدنيا (ت: ٢٨١هـ): (فهذه العلوم التي هي كالآلة للمفسر لا يكون مفسرًا إلا بتحصيلها، فمن فسر بدونها كان مفسِّرًا بالرأي المنهي عنه، وإذا فسر مع حصولها لم يكن مفسرًا بالرأي المنهي عنه)(١).

٤- أن منافذ الدِّراسات البَينيَّة القُرآنيَّة متعدّدة، وطرق الوصول إليها متنوعة، وهي متماشية مع شمول مصدر تلك العلوم، ومبعث الدِّراسات والفهوم، وهو الكتاب العزيز الذي وصفه الله تعالى بقوله سبحانه: (ونزلنا عليك الكتاب تبيانًا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) [النحل: ٨٩]، ذكرنا منها أحد عشر منفذًا كطرق ممهدة لمثل هذه النوعية من الدِّراسات، ولن يعزب عن الباحث المحقق الوقوف على غيرها مما توافق طبيعة بحثه ونوع دراسته.

٥- الدِّراسات البَينيَّة تمنحك القدرة على الفحص وسبر الأحكام المطلقة على العلوم والأفكار والشخصيات؛ لأنها توسّع مداركك، وتفتح لك مناطق متعددة للتقييم والإعذار.

٦- العلوم المنهجية في الحضارة الإسلامية لا بديل عنها في الدِّراسات البَينيَّة مع التخَصُّصات الشرعية (فلا يكفي المنطق، ولا الفلسفة، ولا اللسانيات، ولا المناهج الأدبية..) مع أهميتها (كما سبق آنفًا)، فمن تلك العلوم التي يجب مراعاتها في فهم النصوص العربية (الدينية أو العِلميَّة): النحو والبلاغة (علم المعاني والبيان)، وأصول الفقه، وأصول التَّفسِير وعلوم القرآن، وعلوم الحديث ومصطلحه، فمن أراد دقة الفهم ومنطق العلم لن يتجاسر على خوض علوم لها سياقها ومسلكها المنهجي دون اعتبارها، كما أن الذي يخوض في تلك العلوم الطبيعية أو المترجمة عموما يلزمه مراعاة بيئتها ونسقها.

---

(١) نقله عنه السيوطي في الإتقان (٦/ ٢٢٩٧).

٧- الدِّراسات البَينيَّة مظهر من مظاهر الجمال المعرفي، والذوق العلمي، وتحقيق روح التكامل الذي طبع الله به هذه الحياة؛ فالإنسان مدنيٌّ بطبعه كما يقال، وهو أيضا معرفيٌّ بتواصله مع غيره من أرباب التخَصُّصات، سواء بذواتهم أو عبر مصنفاتهم، والعلوم لا تتراكم وتُثمر، والمدن لا تنهض وتقوىٰ، إلا بمثل هذا التلاقح البيني.

* ومن التوصيات حول الدراسات البينية القرآنية ما يلي:

- دعوة الجامعات ومراكز البحوث والكراسي العلمية إلىٰ دعم هذا النوع من الدراسات، وذلك بفتح برامج مشتركة للدراسات العليا، مع عقد لقاءات ومجالس علمية بين الكليات والأقسام؛ لتجسير الهوة بين أرباب التخصصات المتنوعة.

- تفعيل دور البيئات العلمية والبحثية داخل الجامعات وخارجها؛ لفتح آفاق التعاون البحثي، واستقطاب الكفاءات من كافة شرائح المجتمع؛ لإثراء المشاريع العلمية والتنموية، تحقيقا لمسؤولية بث الوعي من النخب المثقفة، وإبراز دورها في الواقع.

- التماس الدعم من المانحين ورجال الأعمال والمسؤولية المجتمعية إلىٰ رعاية المشاريع العلمية التي تنفتح علىٰ أكثر من تخصص ومجال نظري وتطبيقي، ويعم نفعها للعلم والوطن والمواطن.

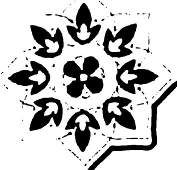
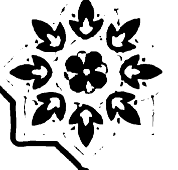
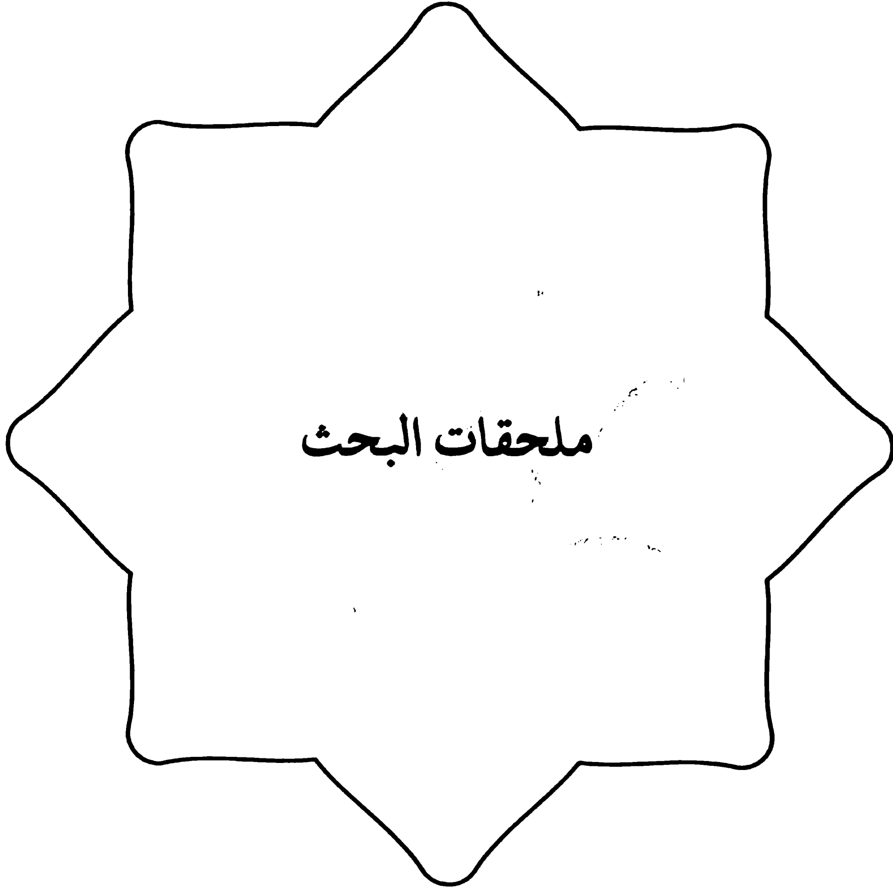
- الحرص من الباحثين في الدراسات العليا علىٰ مثل هذه البحوث البينية التي يشترك فيها عدد من التخصصات بمناهج مختلفة، فهي تُسهم في البناء الفكري والعلمي للباحث وتنوع مصادره.

- العناية علىٰ بحث القضايا التي تُلامس الواقع وهموم الناس المعرفية وإشكاليات الثقافات المعاصرة، ولا سيما ما له أثر ظاهر في تحقيق الأمن الفكري.

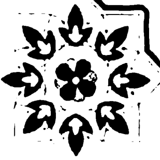
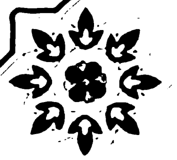
- مزيد الاهتمام بالتخصصات الدنيوية (العقلية، والطبيعية، والإنسانية، والتقنية)، فالحضارة الإسلامية عبر تاريخها لم يعلو شأنها وتزدهر نهضتها، إلا بالتفوق والمواءمة بين هذه العلوم والدراسات القرآنية والشرعية.

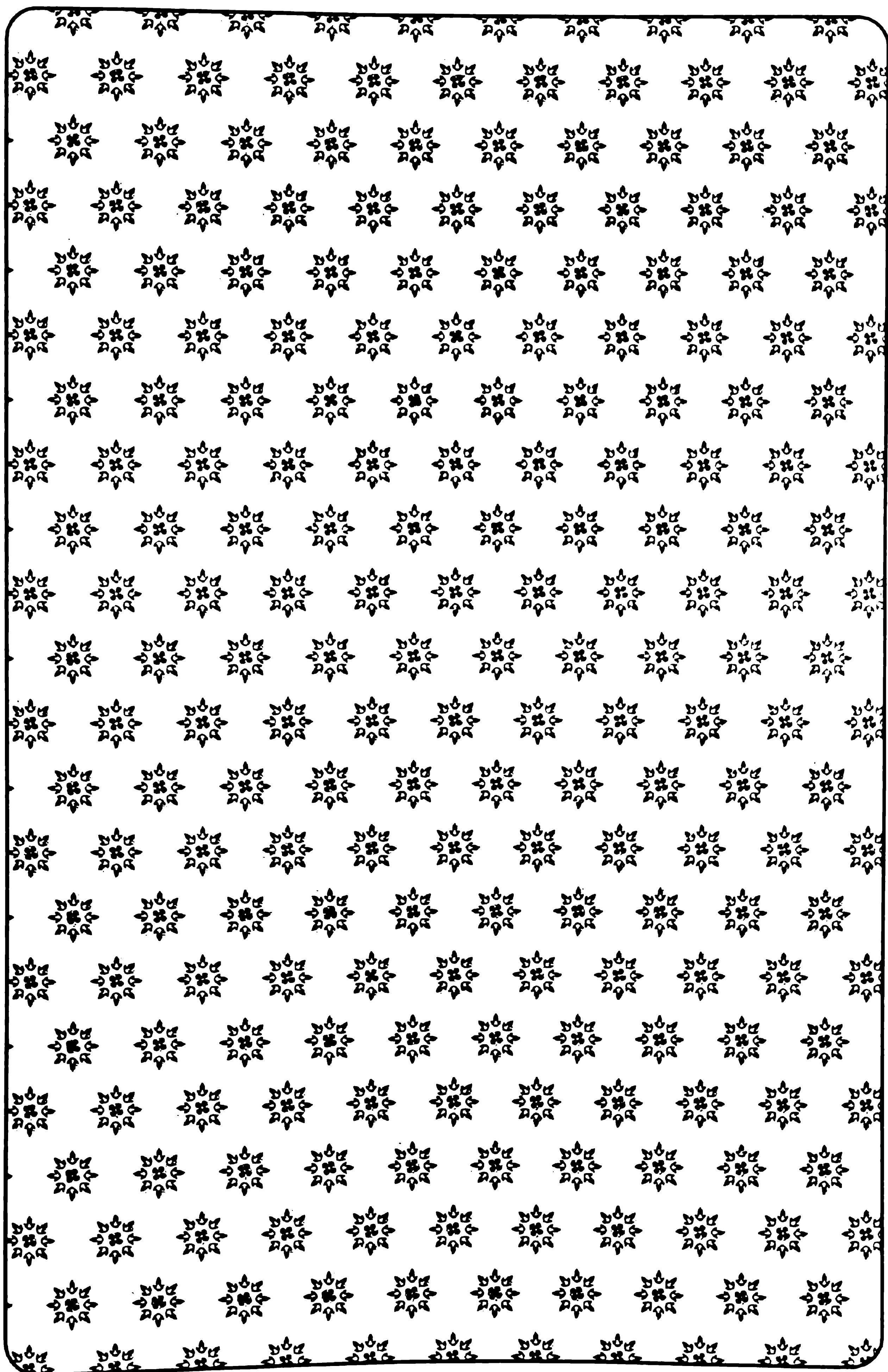
والحمد لله رب العالمين من قبل ومن بعد.

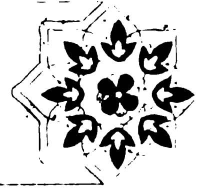


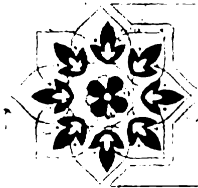
ملحقات البحث





الملحق الأول: عرض لأنموذج في الدراسات البينية القرآنية



تتميما للفائدة، وتحقيقا لغرض البحث البيني؛ سعينا قدر الإمكان لاستكتاب عدد من الباحثين في المجالات العلمية (العقلية والطبيعية والإنسانية والصحية)، وقد تواصلنا مع مجموعة منهم، ولكن اعتذر جلهم، فلم نحصل إلا على ورقة واحدة في المجال الإداري للأستاذ الدكتور/ عبدالله البريدي، فشكر الله له وبارك في جهوده، وفيما يلي عرض لورقته:

الحقل الإداري والقرآن الكريم: نحو مِرشاد تكاملي:

الحقل الإداري والقرآن الكريم: نحو مِرشاد تكاملي، أ.د. عبدالله البريدي، أستاذ غير متفرغ بجامعة القصيم - المملكة العربية السعودية.

١ - مِهاد عام:

برعتِ الحضارةُ العربية الإسلامية في بكورها في حركة تأسيس علوم الوحي وعلوم الآلة، واستطاع العلماء المنظِّرون أن يؤسسوا علوماً عديدة متينة؛ متكئين في ذلك على أسس إبستمولوجية ومنهجية صلبة في فترة زمنية وجيزة، وشققوا تلك العلوم وطوروها بقالب تراكمي مطرد، مع قدر جيد من تطوير المناهج وأدوات تحصيل العلم وإنتاجه في سياق مِرشاد[١] (نموذج إرشادي أو بارادايم)

(١) ترجمة مقترحة من قبل أحد الباحثين، ولم أقف على اسمه.

ذي صبغة تكاملية. ومن السمات اللافتة في تلك الحركة قيامها على مبدأ تكامل العلوم في حقولها الدينية والإنسانية والطبيعية، وهذا التكامل لا يعني البتة «واحدية العلوم» من جهة المنهج المستخدم، وإنما يعني صبغها بالتكامل والتعاون والتعاضد والتراكم من جهة الرؤية المتبناة، والغاية المتوخاة، مع التنوع في المناهج والبراهين والأساليب والبيانات المستخدمة، وسعي للإفادة من المنظومة المنهجية والبرهانية، متى كانت ملائمة للحقل العلمي المحدد، بقالب مرن متجدد، وذلك وفق ما تقرره الجماعة العلمية المتخصصة. وهذا المبدأ التكاملي مؤسس على شمولية الخطاب القرآني، ومعالجته للديني والإنساني والطبيعي في سياقات معرفية تكاملية تفاعلية تحاشدية، فالقرآن الكريم وإن لم يكن كتاب علم وفلسفة من حيث الأساس بل كتاب دين وهداية، فإنه قد تضمن إضاءات مفتاحية كبرى للمعرفة في كل حقولها الفلسفية والعلمية، مما جعل العقل المسلم يتفتح على روح التكامل الوصلي المعرفي، ويعد ذلك أصلاً أو حالة أصلية أصيلة، من جهة التكوين والاشتغال العلميين، إلا أن هذه الحالة المعرفية التكاملية التمازجية لم تدم فتصلنا في هذا العصر، حيث تلونتِ المعرفةُ بأصباغ الفصل من جراء عوامل عديدة داخل سياقات معرفية أجنبية عنا من حيث الرؤية والغاية والمنهج. ولقد سبق لي تقديم توصيف شامل لهذه الإشكالية البحثية، وسنفيد من ذلك في مقاربة موضوعنا، عبر تخصيص الأطروحة وإعادة ضبط مقاساتها لتلائم الحقل الإداري على وجه التركيز والاختصار(١).

---

(١) عبد الله البريدي، العلوم الإسلامية والإنسانية: من الفصل إلى الوصل - نحو بلورة مِرشاد التكامل الاندماجي، ورقة بحثية مقدمة للندوة الدولية: الأبعاد الإنسانية للعلوم الإسلامية، المغرب، الرباط، معهد محمد السادس للقراءات والدراسات القرآنية (جامعة القرويين)، ١٥-١٦ مارس ٢٠٢٣.

وبمراعاة المضامين السابقة واستحقاقاتها، تعالج هٰذه المداخلة المكثفة بعض الأبعاد الرئيسة في قضية الوصل بين العلوم الإسلامية متمثلاً بالقرآن الكريم، والإنسانية متمثلاً بالحقل الإداري؛ في محاولة «أولية» للإجابة عن سؤال مركَّب، مفاده: **كيف يسعنا الارتحال من «مِرشاد الفصل» إلىٰ «مِرشاد الوصل» بين الحقل الإداري والقرآن الكريم في تموضع إبستمولوجي منهجي إجرائي ملائم، وكيف؟** هٰذا سؤال عسر ومركب، وما سأقدمه هو مجرد مقاربة أولية مكثفة جدا، وفق حجم النص المتاح في هٰذه المداخلة الصغيرة.

٢- مسارات التفاعل بين العلوم الإسلامية والإنسانية:

المعالجة المنهجية الدقيقة الشاملة تقتضي التقصي للبدائل الإبستمولوجية في سياق التكامل بين العلوم الإسلامية والعلوم الإنسانية، وهو ما أدعوه بـ الطيف التكاملي بين العلوم الإسلامية والإنسانية في مسارات ثلاثة، ويمكن التعريف بهٰذه المسارات بشكل مقتضب، كما يلي[1]:

٢-١- المسار الأول: مسار عدم التكامل: التفلسف غير النقي:

مِرشاد الفصل يعكس الحالة المبكرة للعلوم الإنسانية في عالمنا العربي الإسلامي في مغرب القرن التاسع عشر الميلادي وفجر القرن العشرين، حيث ورثنا هٰذه العلوم في حلتها المعاصرة من الفكر الغربي القائم علىٰ حالة متطرفة من الفصل بين هٰذه العلوم (وفي طليعتها الحقل الإداري) والعلوم الدينية، وهو ما جسد حالة «**التفلسف غير النقي**». وثمة أسباب عديدة للفصل الحاصل بين العلوم الإنسانية عن العلوم الإسلامية، ومن أهمها: (١) **السبب الحضاري**: وذٰلك أن التاريخ يُعلمنا بأنه إذا سقطت حضارة ما، فإن مِرشادها يتهاوىٰ معها هو الآخر؛

---

(١) السابق.

(٢) **السبب النفسي**: وذلك أن السقوط الحضاري يتسبب في انخرام العامل النفسي، بما يقود إلى إضعاف ما أسميه بـ **الأنفة الثقافية**(١)، التي تحيل إلى مبدأي: الاعتزاز والخصوصية، في أي عمل أو فعالية ذات طابع فكري أو ثقافي، ويدخل في ذلك الإبداع في أي مجال معرفي كان، على المستويات الفردية والجماعية والحضارية وضعف هذه الأنفة يُنتج نوعـًا من الباحثين والمثقفين الفاقدين للثقة في ذواتهم(٢)؛ (٣) **السبب الفكري**: انخرام العامل النفسي يؤدي إلى نتيجة خطيرة، حيث يغدو الآخرُ مرآةً مشوِّهة مهشِّمة لصورتنا المعرفية الذاتية، فأمسى بعضُ باحثينا يعتقدون أن التراث العربي الإسلامي لا قيمة معرفية له. وتعيش الأدبيات العربية الإسلامية في أكثر الحقول المعرفية -وعلى رأسها الحقل الإداري- حالة من التبعية المعرفية والمنهجية والبحثية للأدبيات الغربية، وقد نجم عن هذه التبعية ثلاث نتائج سلبية كبار، وهي: (١) النظرة الدونية الإقصائية للعلوم الدينية؛ (٢) النظرة التجزيئية الاختزالية للأبعاد الإنسانية؛ (٣) النظرة التبعية الانغمارية للعلوم الإنسانية ومنها الإدارية في العلوم الغربية.

---

(١) طرحتُ هذا المفهومَ قبل نحو ١٥ عامـًا. انظر مثلاً: عبدالله البريدي، «الأنفة الثقافية» بوصفها انعكاسـًا ومقياسـًا لـ «التحيز»، ورقة بحثية مقدمة لمؤتمر «إشكالية التحيز»، تنظيم برنامج حوار الحضارات في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية- جامعة القاهرة والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ٢٠٠٧.

(٢) مما يهمنا في هذه الإلماحة السريعة، إنما هو التأكيد على ممارسة الأنفة الفلسفية والمنهجية والبحثية بقدرها، مع ما يتطلبه ذلك من الحذر من تقشير ما لا يجوز تقشيره كخطأ تقشير الإغريق للتجربة الشرقية، فخسر الفكر اليوناني نجاعة التجربة ونفاذها إلى النتائج الدقيقة! وفي هذا حقن لهذه الأنفة بقدرٍ من الاعتدال والتوازن، وما يقتضيه ذلك ويتطلبه من نِشدان الحق؛ بأدلته ومنهجه من أي مصدر كان، فهي ليست غاية بحد ذاتها، وإنما سلوك يتغيا تحقيق غاية أسمى، عبدالله البريدي، كينونة ناقصة - أحد عشر سؤالاً في قراءة الفلسفة، الرياض: أدب، ط٢، ٢٠٢٣، ص ٣٥٦.

٢-٢- المسار الثاني: مسار التكامل غير الاندماجي: التفلسف شبه النقي:

يعكس هٰذا المسار حقبة «**التفلسف شبه النقي**» عبر جملة من المتفلسفين والمنظِّرين الحاملين لمستويات جيدة من الأنفة الفلسفية، مع إيمانهم بمبدأ خصوصية الفلسفة، إلا أنهم يعجزون أحياناً عن تحييد تحيزاتهم لصالح النموذج الفلسفي الغربي من جهة المناهج أو المفاهيم، حيث تعلموها وتدربوا عليها لفترات طويلة؛ مما يؤثر علىٰ نقاوة التفلسف. وقد ترتب علىٰ هٰذا المسار ما يلي: (١) ميوعة الاندماج؛ (٢) رخاوة الاستنتاج؛ (٣) هيمنة الغربيات، كهيمنة «الغربيات الإدارية» في الحقل الإداري، وذٰلك أن عموم المفاهيم والنظريات والنماذج الإدارية مستقاة من هٰذه الغربيات، ولا يعدو الحقل الإداري العربي أو الإسلامي أن يكون سوىٰ رجع صدىٰ.

٢-٣- المسار الثالث: مسار التكامل الاندماجي: التفلسف النقي:

هٰذا المسار يجعلنا علىٰ عتبة **التفلسف النقي**، حيث يُتوقع أن تتنامىٰ «**الأنفة الفلسفية**»، وتتجذر معنوياً وتنضج مفاهيمياً ومنهجياً لدىٰ نخب فلسفية وتنظيرية وبحثية، تكون ممكَّنة أكثر في مؤسساتها ومحطيها المجتمعي (=مشروعية مؤسسية مجتمعية). وهٰذه النخبة تفلح في تجهيز نفسها بعتاد معرفي شرعي وفلسفي وتنظيري وإنساني ولغوي فيه قدر أكبر من التكامل، مع وعي أنضج بمسألة التحيزات وكيفية معالجتها، وقدرة أكبر علىٰ توليد المصطلحات الجديدة واستخدامها، وتطوير المناهج الأكثر أصالة؛ وفق معايير إبستمولوجية دقيقة، وهو ما نفتقر إليه في الحقل الإداري.

إن التفلسف النقي المنشود المفقود، هو ذٰلك النوع من التفكير الفلسفي الخلاق الأصيل، الذي يمتح مباشرة من النص التراثي العربي الإسلامي،

وفي مقدمته النص القرآني، ومعه النص الحديثي الصحيح، حيث يمثلان أعلى النصوص مرجعية، وأصحها وأشملها وأعمقها، في اشتباك مباشر مع الموضوعات والظواهر دون وساطة طروحات فلسفية للآخر. ويدخل في مفهوم النص التراثي أيضاً نصوص المدونة الإسلامية في: علوم الوحي (الغاية)، وعلوم الآلة (الوسيلة)، والعلوم الإنسانية، والعلوم الطبيعية، مع تفاوت درجة أصالة هٰذه النصوص وأهميتها التأسيسية والمرجعية وفق اعتبارات منهجية عديدة[1].

التفلسف النقي ينبني علىٰ قاعدة صلبة من الإيمان بأن النص التراثي نسيج وحده، وهو مُلهم للتفلسف حيال موضوع ما، مع ارتفاع قدرات المتفلسف علىٰ التقاط الموضوعات التي تستحق الاشتغال الفلسفي في الحقل المتخصص، مع إعادة تشكيلها وفق إطارنا المرجعي من جهة مضمونها ودلالتها، فمثلاً يمكن تناول موضوع بعنوان «ضمرنة الإدارة» حيث بات الحقل الإداري والممارسات الإدارية تشتكي من ضعف الرقابة الذاتية وضمور سلوك الضمير الحي في السياقات الإدارية، ويمكن علىٰ غرار ذٰلك طرح مواضيع من قبيل: «رهفنة الإدارة»، بما يجعل الفكر الإداري يشعر بمسؤولياته تجاه المجتمع، بحيث تقدم المنظمات طواعية وبطيب خاطر وكرم يد الإسهامات المالية والمادية واللوجستية المتواصلة للفئات المحتاجة والمهمشة وللمشاريع المجتمعية التنموية؛ في قالب يتجاوز الفتات المتطاير من فكرة «المسؤولية الاجتماعية» كما في الفكر الإداري الغربي. ويمكن أيضاً السعي لـ «شعرنة الإدارة»، مما يرخي الخيال في الفكر الإداري ويشجع على الخيال والابتكار وتعضيد العاطفة والاتجاهات الإنسانية النبيلة؛ مع معالجة موضوعات عصرية كالتقنية والمعلومات،

(١) البريدي، كينونة ناقصة، ص ٣٦٨.

والابتكار، والبيئة، والاقتصاد السياسي، ونحو ذلك مما ينقلنا إلىٰ عربة المستقبل. ونؤكد هنا أنه لا يسوغ ألبتة أن يُفهم من هذا التفلسف النقي أنه سيكون تفلسفًا منكفئًا علىٰ ذاته، لا يمارس الاغتراف الذكي من المناهج والمفاهيم الجيدة. وهذه المسألة بطبيعة الحال برمتها نسبية، فمقل منها ومستكثر، ومعتدل فيها ومتطرف، علىٰ أن ذلك يجب أن يضبط بمعايير منهجية وأخلاقية دقيقة[1].

٣- معالجة الفصل:

إعادة التموضع الإبستمولوجي للأبعاد الإدارية داخل العلوم الدينية وتثوير النص القرآني في المدونة الإدارية بكل مجالاتها، يقضي بأن ثمة إجلاء معرفيًا من جهة وإثواء معرفيًا من جهة ثانية يجب أن يُصار إليهما، ومثل هذا الإجلاء والإثواء يستلزمان تفعيل ركني التخلية والتحلية؛ التخلية ببعدها الهدمي السلبي، والتحلية ببعدها البنائي الإيجابي، وذلك كما يلي[2]:

٣-١- ركن التخلية:

ربما لا يفطن الكثير إلىٰ أن أمِّيَّة نبي الإسلام محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام، شكَّلتْ أكبر قطيعة معرفية إبستمولوجية، فقد كان ثمة دلائل علىٰ أن الإسلام جاء ليكوِّن معرفة أصيلة في فضاءات الدين والإنسان والاجتماع والطبيعة، مما يتطلب قطيعةٍ ضخمة كهذه، فهذا النبي لا يقرأ لأحد ممن سبقه وحاشاه، وهو النبي الخاتم المصلح المجدد الرائد الملهم، وإنما يقرأ فقط باسم ربه الذي خلق الإنسان من علق، فهو الخالق القوي الأكرم، الذي علَّم بالقلم،

---

(١) السابق، ص ٣٦٩.

(٢) البريدي، العلوم الإسلامية والإنسانية: من الفصل إلى الوصل.

علَّم الإنسان ما لم يعلم. إذن يمكن للعلوم الإدارية في عالمنا العربي الإسلامي أن تنفك عن الأدبيات الإدارية الغربية، وتتحرر من إسارها الإبستمولوجي والمنهجي والبحثي وفق استراتيجية مدروسة ملائمة، وهو ما يشكِّل ركن التخلية.

٣-٢- ركن التحلية:

بعد الفراغ من ركن التخلية وفق استراتيجية مدروسة ناجعة، يأتي ركن التحلية، الذي نرى أن يُحقق في دائرتين، إطارية وتطبيقية، وذلك كما يلي:

٣-٢-١- التحلية الإطارية: الإبستمولوجية المفاهيمية:

يمكن للعلوم الإسلامية أن تتوفر على إطار إبستمولوجي مفاهيمي ملهم شامل، يمكِّن الجماعات العلمية من معالجة ناجعة للأبعاد الإنسانية والمادية في الحقل الإداري بطريقة تحقق الغاية الكبرى المتوخاة، وهو ما يشكل قاعدة متينة لركن التحلية بشقها الوصلي، وهي التحلية الإبستمولوجية المفاهيمية بقالب غائي وصلي.

٣-٢-٢- التحلية التطبيقية: المنهجية البحثية:

يمكن للعلوم الإسلامية أن تعالج تلك الأبعاد وفق تموضع إبستمولوجي ملائم، يقوم على تفعيل مَرشاد الوصل والتراكم، مع السعي لتطوير مناهج تلائم طبيعة هذه المعالجة والغايات المتوخاة، وتستجيب لتنوع البيانات والموضوعات المبحوثة، وهو ما يشكل مِعمار ركن التحلية، وهي التحلية المنهجية البحثية الوصلية بقالب تطبيقي.

٤- انبثاق الحقل الإداري من النص القرآني[١]:

إن مثل هذا الانبثاق أو ما نسميه بـ **التكامل الاندماجي** يقتضي أن ينفذ وفق تموضع إبستمولوجي ملائم. وهذا الخيار ليس جديداً بقدر ما هو «تجديدي»،

---

(١) السابق.

والتجديدي أكثر عمقـًا وأصالة ونجاعة، لكونه يعاود النبوع من الأصول ذاتها، ويراكم على الحقائق والإنجازات السابقة.

٤-١- شروط منهجية للتموضع الإبستمولوجي المنشود:

يدخل في هٰذا التموضع الوفاء بثلاثة شروط، وهي:

الشرط الأول: التسليم بالمسلمات الدينية في أطرها العقدية والشرعية والكونية، والصدور عنها والبناء عليها، مما ينقل العلوم الإنسانية ومنها الحقل الإداري من تموضع العناد أو التشكيك بهٰذه المسلمات أو مشاكستها إلىٰ تموضع التسليم واليقين.

الشرط الثاني: التسليم بالمنطلقات الإبستمولوجية للعلوم الإسلامية وعلىٰ رأسها مصادر المعرفة، حيث يجئ المصدر الخبري علىٰ رأسها (=النص القرآني والنبوي)، بجانب مصادر العقل والحس والحدس وفق ما يقرره فقه العلوم الإسلامية (نظرية المعرفة أو الإبستمولوجيا).

الشرط الثالث: الإفادة من المنظومة البرهانية وترسانة الأدلة التي طورتها العلوم الإسلامية في القرون الماضية، وهي متينة ومتنوعة، وقابلة للتطوير وفق ما تقتضيه الحاجة في المعالجة البحثية للأبعاد الإنسانية والإدارية، وسيكون لهٰذا التطوير إنعكاس إيجابي على العلوم الإسلامية ذاتها، وهٰذا يشبه حالة المعلم الذي يفيد من تلميذه حينما ينضج، فيتعلم منه بعض الشيء.

٤-٢- مغانم للتموضع الإبستمولوجي المنشود:

من شأن الوفاء بالشروط الثلاثة السابقة، الظفر بمكاسب إبستمولوجية ومعرفية ضخمة، بجانب المغانم الإيمانية والتزكوية التي يمكن للعلوم الإنسانية ومنها الحقل الإداري أن تظفر بها، وما أحوجها لمثل هٰذا النفس الإيماني التزكوي،

وتتأكد فائدةُ هٰذا الجانب في سياقنا الإبستمولوجي الإسلامي، حيث نؤمن بأن التوحيد والتقوىٰ موصلان إلى العلم النافع، كما في قوله تعالىٰ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩]، وفي قوله تعالىٰ -وفق بعض التفسيرات المعتبرة-: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وكما في سير العلماء الكبار وفي أقوالهم، حيث جسدوا ما يمكننا وصفه بـ **الإبستمولوجيا التزكوية**، أو **الإبستمولوجيا المفتقرة المستغنية**، المفتقرة لله ابتداءً، المستغنية به انتهاءً، وهي **إبستمولوجيا إياك نعبد وإياك نستعين**.

ومما يترتب علىٰ هٰذا المنظور التزكوي (المفتقر المستغني)، الانبثاق من المبدأ المؤسس للدين الإسلامي، وهو التوحيد الخالص، الذي هو الركن الركين لمشروعية العلم من وجوه وجودية (انطولوجية) وإبستمولوجية وغائية وأخلاقية، كما في الآية القرآنية العجيبة المكثفة: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء:٢٢].

٥- الإدارة: ومضات قرآنية:

في هٰذا الجزء نمارس قدراً من التطبيق العملي للنموذج التكاملي الوصلي، وقبل أن نتهادىٰ لطرح باقة من الومضات القرآنية في رحاب الفكر الإداري، نمر علىٰ ثلاث ركائز أساسية في سياق استخلاص مثل تلك الومضات:

٥-١- الركيزة الأولىٰ: القرآن هو كتاب «هدايات عامة»:

في القرآن الكريم نطالع آيات مبينة عن حكمة التنزيل: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، ﴿وَلَقَدْ جِئْنَـٰهُم بِكِتَـٰبٍ فَصَّلْنَـٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٥٢]؛ ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، ولتأكيد عالمية القرآن

جاءت هٰذه الآية ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥] و﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [القلم: ٥٢]، فهو إذن كتاب «هدايات عامة» للخلق أجمعين في كل مجال يحتاجه الإنسان لدينه ومعاشه وعمارته للأرض، وهٰذه الهدايات يمكن تصنيفها عموماً في ثلاث هدايات، وهي:

(أ) هدايات دينية: وهي التي تخص الدين والتدين وهي الأصل والأكثر في القرآن (تُغذي العلوم الدينية بمختلف فروعها)،

(ب) هدايات اجتماعية: وهي تلك المتعلقة بالإنسان والمجتمع (تُنير العلوم الإنسانية والاجتماعية بمختلف حقولها)،

(ج) هدايات طبيعية: وهي ذات الصلة بالمادة والطبيعة (تُضيء العلوم الطبيعية كالفيزياء والفلك وعلم الأرض والكيمياء والأحياء).

وهٰذا يعني أن القرآن الكريم يحمل هدايات للعلم بمختلف فروعه الاجتماعية والطبيعية، ولٰكنها هدايات عامة، إذ هو ليس نصاً مكرساً بقالب تفصيلي للعلم -غير الديني- وحقوله ومسائله وإشكالياته، بل نصاً باذلاً لهدايات بخطوط عريضة، ومتضمناً لإشارات عالية لمسائل عديدة في العلوم الاجتماعية والطبيعية علىٰ حد سواء، علىٰ أننا نلفت النظر إلىٰ أن كثيراً من هٰذه الهدايات إنما هي للخلق كافة (مما يجعلنا قادرين علىٰ إنتاج فكر إداري إنساني عام: كوني)، وتكون الهدايات مصحوبةً بالرحمة في حال المؤمنين فقط، فهي خصيصة لهم وحدهم دون سواهم، كما في الآيات الكريمات السابقات وأمثالها كثير، وهٰذا ما يستحق تأملاً طويلاً، إذ إن الكمال لا يتحقق إلا بتحصيل الهداية والرحمة معاً.

٥-٢- الركيزة الثانية: القرآن يتيح هوامش للإبداع الإنساني والابتكار التطبيقي:

كون القرآن هو كتاب هدايات عامة للكافة وكتاب رحمة خاصة للمؤمنين، يعني أننا بحاجة ماسة إلىٰ أن نتلبس بقراءة إيمانية متأنية متلمسة للحكمة الربانية في هٰذا الحقل أو ذاك، علىٰ أن هٰذا النص العظيم يدع لنا مجالاً شاسعاً للاجتهاد البحثي، وفضاء رحباً للإبداع العلمي، ومجالاً كافياً للابتكار التطبيقي، حيث إنه جاء بالخطوط العريضة للهدايات الاجتماعية وهي التي تهمنا في هٰذا السياق، بحيث يلتقط الإنسان ما يراه ملائماً للحقل الذي يشتغل عليه، وهو التقاط لمسلمات ومبادئ وأصول عامة، تاركاً -أي القرآن- تفاصيلها وتصاميمها للإنسان، ليبلور ما يعتقد أنه يوائم بيئته ويستجيب لاحتياجاته ويبني مستقبله، وفي هٰذا توسعة ورحمة أيضاً.

٥-٣- الركيزة الثالثة: الاستدلال المنهجي الدقيق الخالي من الاعتساف:

الاغتراف من هدايات القرآن الكريم يتوجب أن يكون بقالب استدلالي منهجي دقيق (من الناحية التفسيرية واللغوية) خالٍ من الاعتساف أو لَي النصوص بطريقة تجعلها توافق قَسراً هٰذه النظريةَ أو ذٰلك النموذجَ العلمي، فالنص القرآني أجلُّ من ذٰلك وأسمىٰ، وهٰذا لا يعني البتة عدم استخلاص مبادئ عامة أو قواعد رئيسة، شريطة أن يكون ذٰلك بنهج اجتهادي غير حاسم.

٥-٤- ومضات إدارية قرآنية:

الركائز السابقة، تؤكد إذن علىٰ أن ما سأطرحه من ومضات قرآنية إنما هو التماسات اجتهادية عامة في ضوء المبادئ الإدارية الكبرىٰ، فالاشتغالات القرآنية هي اشتغالات على المسلمات والمبادئ والأسس والأصول. وطلباً للاختصار، توسلت بصورة مجازية، حيث جعلتُ الإدارة بمثابة الجسم، مُمرراً ومضاتي علىٰ أجزائه الرئيسة: القلب، والرأس، والقدمين، والحواس،

ومسدلاً نافذة لسؤال أو أكثر عقب كل ومضة، وذلك كما يلي:

٥-٤-١- الومضة الأولى: قلب الإدارة: التعاون والعدل!

يولي النص القرآني أهمية بالغة للقلب في تحصيل الإيمان واليقين والعلم كما هو معروف، ويسعنا أن نقول إنه يجعل من التعاون والعدالة قلباً للإدارة، فالقلب الأيمن هو التعاون الذي يعكس «مشروعية الإدارة» (لماذا وجدتْ؟)؛ مجلياً لنا جوهر تعريف الإدارة، حيث إنها التعاون مع الآخرين لتحقيق الأهداف المنشودة كما هو معلوم، والقلب الأيسر هو العدل الذي يعكس «غاية الإدارة»، مظهراً لنا الهدف الجوهر للإدارة، إذ إنها تستهدف تحقيق العدالة الداخلية في محيط المنظمة والعدالة الخارجية في محيط المجتمع، ولا يمكن للقلب أن يعمل إلا إذ تضافرتْ أجزاؤه وتعاضدتْ في نسق تعاضدي تكاملي، فغذّت العدالةُ التعاونَ، وضمنتْ من ثمَّ الاستمرار والبقاء والنمو للمنظمة، ولنا إذن أن نقول إذا أصلحت الإدارة قلبَها أي تعاونها وعدالتها صلحتْ، وصحَّ جسمُها وسائرُ عملها. وفي صفحة القلب، نجد هذه الآيات الكريمات:

- ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢].
- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨].
- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠].

وللتأكيد على محورية العدالة في الفكر الإسلامي بعامة، ومنه الفكر الإداري والفكر الاقتصادي، فإن ابن تيمية يشدد على «أن عامة ما نهى عنه الكتاب والسنة من المعاملات يعود إلى تحقيق العدل والنهي عن الظلم دقة وجله»[١].

---

(١) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، **السياسة الشرعية**، الرياض: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٨هـ، ص ١٢٤.

نافذة سؤال: كيف يمكن لهٰذه الومضة أن تعيننا علىٰ إعادة شحن منظماتنا بـ«التعاون الخيِّر الدائم» و«العدالة الممتزجة بالإحسان» ؟

٥-٤-٢- الومضة الثانية: رأس الإدارة: الشورىٰ!

بعد الفراغ من تأسيس «قلب الإدارة» وضمان صلاحه عبر تحقيق مقومات التعاون والعدالة بكل استحقاقاتها وتجلياتها في الفضاء الإداري، فإن النص القرآني يسوق لنا الشورىٰ بوصفها «عقل الإدارة»، فهو يحث على الممارسة الشورية للنظر في المسائل وتقليب الأمور واتخاذ القرارات الناجعة، ومن الآيات الدالة علىٰ ذٰلك يلي:

- ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

- ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورىٰ: ٣٨].

وهنا نلحظ أن الشورى القرآنية ليست مجرد «آلية إدارية» جامدة أو خالية من الأبعاد القيمية أو الوجدانية أو القيادية، إذ هي مطعمة بالرحمة واللين في موضعه، كما أنها مزدانة بالعزم القيادي والمضي الإداري في موضعه، مما يجعلها آلية فعالة في تخصيب العقل الإداري بالآراء المتنوعة والأفكار المتجددة. ومن جهة ثانية، يعالج النص الخالد أدواء التفكير والقرار، ومن ذٰلك أنه يعالج باقتدار ما يسمىٰ بـ التفكير الجمعي Group Think الذي يمكن أن يعصف بالمنظمات من جراء تلبسها بتفكير القطيع، حيث يقول تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟﴾ [سبأ: ٤٦]، فالتوجيه القرآني يشير إلىٰ أن التفكير الفردي أو الثنائي مفيد في الانعتاق من التفكير الجمعي القاتل للحقيقة أو المصلحة!

نافذة سؤال: كيف نطيق ترسيخ نهجي شوري فعال في المنظمات المعاصرة بما يحقق المصالح وبما يحقق الذوات الجماعية والفردية؟

٥-٤-٣- الومضة الثالثة: قدما الإدارة: الأمانة والقدرة!

حينما نستقرئ النص القرآني، نجد أنه يقرر أن الإدارة لا تسير إلا على قدمين اثنين، وهما: الأمانة من جهة، والقدرة من جهة ثانية، وفي هذا نجد العديد من النصوص، ومنها:

- ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥].
- ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦].

قدم الأمانة يفضي بالإدارة إلى القرارات والسلوكيات الأخلاقية، فلا تضييع لثروات المنظمة، ولا اختلاس لأموالها وأوقاتها ومقدراتها. وقدم القدرة يوصل الإدارة إلى العلم والخبرة والمهارة والقوة والشخصية. والقراءة المتأنية للآيتين السابقتين تجعلنا نظفر بومضة الأولويات، حيث نلحظ أنه في الآية الأولى قُدمتْ الأمانة على القدرة (العلم)، لكون العمل مختصاً بـ «خزائن الأرض»، أي الثروة، مما يجعل الأمانة في رتبة أعلى من جهة أولويتها، في حين أنه في الآية الثانية قُدمتْ القدرة (القوة) على الأمانة، لكون العمل يستلزم القوة أولاً والأمانة ثانياً.

نافذة سؤال: كيف نتمكن من إعادة استنبات الأمانة والقدرة في تربة الإدارة، بما يثمر الكفاءة والفعالية والنمو والنزاهة والحوكمة الرشيدة؟

٥-٤-٤- الومضة الرابعة: أعضاء الإدارة وحواسها: الإتقان والرقابة والعقود والحساب:

يُجهِّز النصُ القرآني الفكرَ الإداري بالعديد من الأعضاء والحواس التي تمكِّنه من التقاط المعلومات وتشغيلها بطريقة تفضي إلى العمق والدقة من جهة والنجاعة والفعالية من جهة ثانية، ومن ذلك مثلاً ما يلي:

٥-٤-٤-١- الإتقان:

يركّب القرآن الكريم في جسد الإدارة كل ما يجعلها متقنة لعملها بأحسن ما يمكن، ولهٰذا نجد آيات محكمات تشدد علىٰ ذٰلك، ومنها: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ﴾ [الملك: ٢]، ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧]، وهنا لفتة قرآنية بديعة، حيث إن المفاضلة ليست بين الحسن والرديء، كلا، بل بين الحسن والأحسن، ولهٰذا تكررت كثيراً كلمةُ «أحسن» في القرآن الكريم، من قبيل: ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ [الزمر: ٥٥]، ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت: ٣٤]، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]. وفي هٰذا الإطار، شدتني آية كريمة لمعنىٰ نفيس، وهو معنىٰ يمكن أن يعيننا علىٰ تطوير منظومة التقييم والمكافآت وفق منظور نفسي عميق. تأملوا معي هٰذه الآية: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]، حيث ذهبت الآية إلىٰ أن الجزاء إنما يكون ﴿بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾، وهو ما قد يضيف أبعاداً تحفيزية هائلة، وقد يخلق نقطة تحول عند البعض حينما نعامله بمثل هٰذه المعاملة، وقد يكون ذٰلك ناجعاً في مجال التعليم أيضاً عبر تبني آليات وممارسات تعول على الأداء الأفضل للطلبة وما إلىٰ ذٰلك.

٥-٤-٤-٢- الوفاء بالعقود:

السعي للإتقان لا يعني أن يكون الفكر الإداري خالياً من الأطر التعاقدية الضابطة للسلوك والأداء، ولهٰذا فإن فكرة «العقد» تلعب دوراً كبيراً في الفكر الإداري، ومن ذٰلك تعويل إدارة الموارد البشرية على العقود المبرمة مع الموظفين،

وهنا نجد توجيهاً ربانياً يؤسس لمبدأ إيفاء العقود، سواء كان في إطار «العقد القانوني» المبني على شروط ومصالح للطرفين بقالب نظامي صريح واضح، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]، أو في إطار عقد يُرتب على طرف واحد فقط عطاء محدداً وجملة من المهام والمسؤوليات للطرف الآخر كما في قوله: ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسراء: ٣٤]، سواء أكان ذلك من طرف المنظمة أو العامل. وهنا نلفت النظر إلى خطورة ما بات يُسمى بـ «العقد النفسي»، وهو العقد الذي يضمره العامل في نفسه ولا يبديه، وقد يكون حاملاً له على التقصير عن أداء بعض مهامه والوفاء ببعض مسؤولياته، لكونه يعتقد أن المقابل المادي والمعنوي الذي يحصل عليه أقل مما يستحق، ويحدث ذلك في قالب سري غير معلن لصاحب العمل (المنظمة)، وهو ما يعد خرقاً لهذه المبادئ التي يؤسسها قرآننا الخالد.

٥-٤-٤-٣- الرقابة:

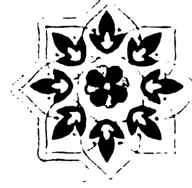
تلمس الإتقان ووجود الإطار التعاقدي لا يغنيان البتة عن الرقابة على الأداء والسلوك في المنظمات. وللرقابة أنوع وأرقاها مرتبة «الإحسان»، كما في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ﴾ [يونس: ٢٦]، حيث تتضمن الآية معنى العبادة مع مراقبة الله، كما في حديث «الإحسانُ أن تعبدَ اللهَ كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يَراك» (صحيح الجامع). وهذا لون راقٍ من الرقابة، إذ إنها رقابة ذاتية، وهو ما يجعلها شديدة الفعالية، في كل وقت وفي كل سياق إداري. ويجذر القرآن الكريم معاني الرقابة بباقة من الآيات ومنها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا﴾ [الأحزاب: ٥٢].

٥-٤-٤-٤- الحساب والتكميم:

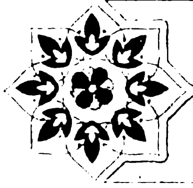
من الأدوات المهمة في الفكر الإداري الحديث المدخل الكمي، حيث يعين على المتابعة والتقييم والرقابة والمكافأة أو العقاب، وقد أولى القرآن الكريم هٰذا الجانب أهمية بالغة، ومن ذٰلك قوله تعالىٰ: ﴿لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَ﴾ [يونس: ٥]. علىٰ أننا نشير إلىٰ «خرافة» يتناقلها بعض المتخصصين أو القراء في الإدارة ومفادها أن «كل ما لا يُقاس لا يمكن إدارته»، حيث يمثل ذٰلك تطرفاً شديداً في جانب الكم، وهو نابع من تطرف الفكر الغربي في قالبه العلموي الوضعاني، ونحن لا نقر بهٰذا ولا نرىٰ له مسوغاً البتة، فالإدارة - مثلها مثل أي فعالية إنسانية- مليئة بالأبعاد التي لا تخضع لمقاييس كمية جامدة، مما يجعلها مفتقرة إلىٰ لون من «الإدارة الكيفية» و«التفكير النوعي»، ويدخل في ذٰلك الأبعاد ذات العلاقة بالحدوس القيادية والاجتهادات الإدارية التي تتضمن مقاربات كيفية لبعض المسائل والقرارات والمواقف.

نافذة سؤال: كيف نشحذ بطارية الإتقان بوقود الإيمان؟ كيف نجذر لسلوكيات الوفاء بالعقود والعهود من منطلقات جوانية دينية؟ كيف نستثمر في مفهوم الإحسان لتطوير الأداء والفعالية والجودة في المنظمات المعاصرة؟ كيف نزاوج بين التفكيرين الكمي والكيفي في سياق يعضد دقة الكم وحكمة الكيف ونجاعة الإدارة؟

وأخيراً: كيف نطور منهجيتنا في الحقل الإداري في الإفادة من هٰذا النص القرآني العظيم الخالد في سائر حقول الإدارة ومباحثها، بما يجعلنا قادرين على الظفر بالهدايات والرحمات معاً، فنكون أقوىٰ في فكرنا الإداري وعملنا التطبيقي، وحاضرنا المعهود ومستقبلنا المنشود؟



الملحق الثاني: دليل لعدد من مصادر الدراسات البينية القرآنية



أردنا بهٰذا الدليل التمثيل وليس الاستقصاء، لغرض المساعدة للباحثين في الوقوف علىٰ عدد من الموضوعات التي قد تفتح لهم الآفاق؛ للبحث والإضافة.
وقبل ذٰلك ننبه لأمرين:

- ثمة عدة نماذج منثورة في البحث، وبعضها ضمن قائمة المصادر.

- بعض الكتب والدراسات اكتفينا بذكرها فقط دون معلوماتها؛ لأننا لم نقف عليها.

وللتسهيل على الباحثين سيكون تقسيم الدليل بحسب المجالات المتعلقة بالدراسات البينية، مثل: الطبيعية، والعقلية، والإنسانية ونحوها، وهي كالتالي:

*** المجال الطبيعي (الطب والجغرافيا والإحياء..):**

- الإسلام والطب الحديث. عبد العزيز إسماعيل.
- الإعجاز الطبي في القرآن. د. السيد الجميلي.
- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم الكون والماء. د. سليمان الطراونة.
- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم. د. زكريا هميمي.
- الإعجاز العلمي في القرآن. حمزة الصيرفي.
- الإعجاز العلمي في القرآن. سامي محمد علي.
- الإعجاز العلمي في القرآن. محمد السيد أرناؤوط.

- الإعجاز العلمي في آيات السمع والبصر في القرآن الكريم. د. صادق الهلالي ود. حسين اللبيدي.

- آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم. د. زغلول النجار.

- تبيان الأسرار الربانية في النباتات والمعادن والخواص الحيوانية، محمد أحمد الإسكندراني.

- التعالق بين المفردة القرآنية والمفاهيم الجيولوجية الحديثة - الصدع والوتد نموذجا، إعداد: د. محمد العيد، وفتيحة مولاي، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد: (٨)، العدد: (١)، الجزائر، ٢٠١٩م.

- تفسير الآيات الكونية. د. عبد الله شحاتة.

- التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن، حنفي أحمد.

- تنبيه العقول الإنسانية لما في القرآن من العلوم الكونية. محمد بخيت المطيعي.

- التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث. د. موريس بوكاي.

- الجانب العلمي في القرآن. د. صلاح الدين خطاب.

- خلق الإنسان بين الطب والقرآن. د. محمد علي البار.

- الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن، د. عبد العليم عبد الرحمن خضر.

- علاقة القران بالعلوم، د. جمال الدين عبد العزيز شريف، مجلة تفكر، العدد: (٢)، مجلد: (١١)، السودان.

- الغذاء والدواء في القرآن الكريم. جمال الدين مهران.

- القرآن الكريم والعلوم الحديثة. أحمد كامل ضو.

- القرآن في عصر العلم. محمد أحمد الغمراوي.

- القرآن والطب. أحمد محمود سليمان.

- القرآن والطب. د. الحاج محمد وصفي.

- القرآن والعلم الحديث، عبد الرزاق نوفل.

- القرآن والعلم. محمد جمال الدين الفندي.

- القرآن والعلوم الحديثة، محمود أبو الفيض المنوفي.

- القرآن والعلوم العصرية. طنطاوي جوهر.

- كشف الأسرار النورانية القرآنية فيما يتعلق بالأجرام السماوية والأرضية والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية، محمد أحمد الإسكندراني.

- لفتات علمية في القرآن. يعقوب يوسف.

- من أوجه الإعجاز العلمي في عالم النحل. د. عبد المنعم الحفني.

- من أوجه الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في عالم النبات. د. قطب فرغلي ود. السيد زيدان.

- من آيات الإعجاز العلمي، السماء في القرآن. د. زغلول النجار.

- من روائع الإعجاز في القرآن الكريم. محمد جمال الدين الفندي.

- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم. عبد الرحيم مارديني.

*** المجال العقلي:**

- العلاقة بين القرآن والفلسفة: دراسة وصفية مقارنة، محمد نبيل طاهر العمري، مجلة المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

- فصل المقال في تقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، ابن رشد الحفيد، إشراف/ محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط٨، ٢٠٢٠م.

- الفلسفة القرآنية، عباس محمود العقاد، مؤسسة هنداوي.

- فلسفة المعرفة في القرآن الكريم، علي عبد العظيم.

- القرآن والفلسفة، محمد يوسف موسىٰ، أقلام عربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٢٣م.

- قصة الإيمان: بين الفلسفة والعلم والقرآن، نديم الجسر.

- نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، رابح عبد الحميد الكردي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

- نظرية المعرفة بين القران والفلسفة، للدكتور عبد الواسع الحميري.

- هندسة النظام الكوني في القرآن، د. عبد العليم عبد الرحمٰن خضر.

* **المجال الإنساني (التاريخ والاجتماع):**

- الإنسان في القرآن، عباس محمود العقاد، مؤسسة هنداوي.

- آيات الأخلاق: سؤال الأخلاق عند المفسرين، معتز الخطيب، مجلة الأخلاق الإسلامية، العدد الأول، دار بريل ومركز دراسة التشريع والأخلاق.

- التأصيل الإسلامي لعلم النفس في ضوء توجيهات القرآن الكريم (رسالة ماجستير)، تأليف: جميلة بنت عبد الله سقا، جامعة أم القرىٰ.

- الخطاب السياسي في القرآن - السلطة والجماعة ومنظومة القيم، د. عبد الرحمٰن الحاج، الشبكة العربية، لبنان، ط١، ٢٠١٢م.

- دستور الأخلاق في القرآن، محمد عبد الله دراز، ترجمة: عبد الصبور شاهين، الناشر: مؤسسة الرسالة.

- علم النفس معرفة النفس الإنسانية في القرآن والسنة، سميح عاطف الزين، الناشر: دار الكتاب المصري - دار الكتاب اللبناني، ١٩٩١م.

- علم نفس قرآني جديد، د. مصطفىٰ محمود، قطاع الثقافة، مصر.

- القرآن وعلم النفس، محمد عثمان نجاتي.

- مدخل علم النفس في ضوء القرآن والسنة، سعيدة محمد أبو سوسو.

*** المجال الشرعي واللغوي:**

- البلاغة القرآنية وأثرها في استنباط الأحكام الشرعية في كتب أحكام القرآن، عبد الله سرحان، مفكرون الدولية للنشر والتوزيع.

- تصنيف العلوم وتكاملها عند ابن خلدون، فاطمي فتيحة، مجلة المعيار، العدد: (٣٨)، جامعة قسنطينة، الجزائر.

- التفسير اللغوي للقرآن الكريم، الأستاذ الدكتور/ مساعد الطيار، دار ابن الجوزي.

- التكامل بين أصول التفسير وأصول الفقه - مقاربة منهجية في تأسيس المعنىٰ، محمد بن حسين الأنصاري (ماجستير)، جامعة أم القرىٰ.

- التكامل بين النحو والصرف والبلاغة في التفسير القرآني - الزمخشري أنموذجا، د. خالدية محمود، دار الكتب العلمية.

- حروف المعاني التي يحتاجها المفسر دلالاتها وأثرها في التفسير - دراسة نظرية تطبيقية، د. عبد الرحمٰن بن عبد الله القرشي، رسالة دكتوراه (مصورة)، جامعة أم القرىٰ.

- العلاقة بين علوم الحديث وأصول التفسير، حامد الفريح، مجلة البحوث الإسلامية، العدد: (٢)، مصر.

- القضايا المشتركة بين البلاغة وعلوم القرآن - دراسة في اختلاف آليات التأويل، أحمد بن عبد الله الملا، رسالة دكتوراه في قسم اللغة، جامعة الملك سعود بالرياض.

- قواعد التفسير إشكالية المفهوم والعلاقة - دراسة تقويمية، على الشبكة الإلكترونية دون اسم الباحث.

- قواعد التفسير النشأة والتطور والصلة بالعلوم الأخرىٰ، عبد الرحمٰن حللي، مجلة التفاهم العدد: (٤٥).

- المسائل المشتركة بين علم أصول الفقه وعلوم القرآن - جمعا ودراسة، أسماء بنت حمود الخضيري، رسالة ماجستير، جامعة الإمام بالرياض.

- المسائل المشتركة بين علوم القرآن وأصول الفقه وأثرها في التفسير، د. فهد بن مبارك الوهبي، مركز تفسير للدراسات القرآنية.

- المسائل المشتركة بين علوم القرآن وعلوم الحديث - دراسة وصفية تحليلية، فواز منصر سالم علي، رسالة دكتوراه، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

- المسائل المشتركة بين علوم القرآن وعلوم اللغة العربية وأثرها في التفسير، د. عائشة بنت محمد الشمراني، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرىٰ.

- المعنىٰ في علم الكلام والتفسير والنقد العربي القديم - رؤية نحوية دلالية، عبد السلام السيد حامد، مجلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، العدد: (٣٧)، الكويت.

- المعنى في علم الكلام والتفسير والنقد العربي القديم - رؤية نحوية دلالية، عبد السلام السيد حامد، مجلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، العدد: (٣٧)، الكويت.

- مفهوم المخالفة بين الأصوليين والمفسرين، أحمدو أحميتي، دار الظاهرية.

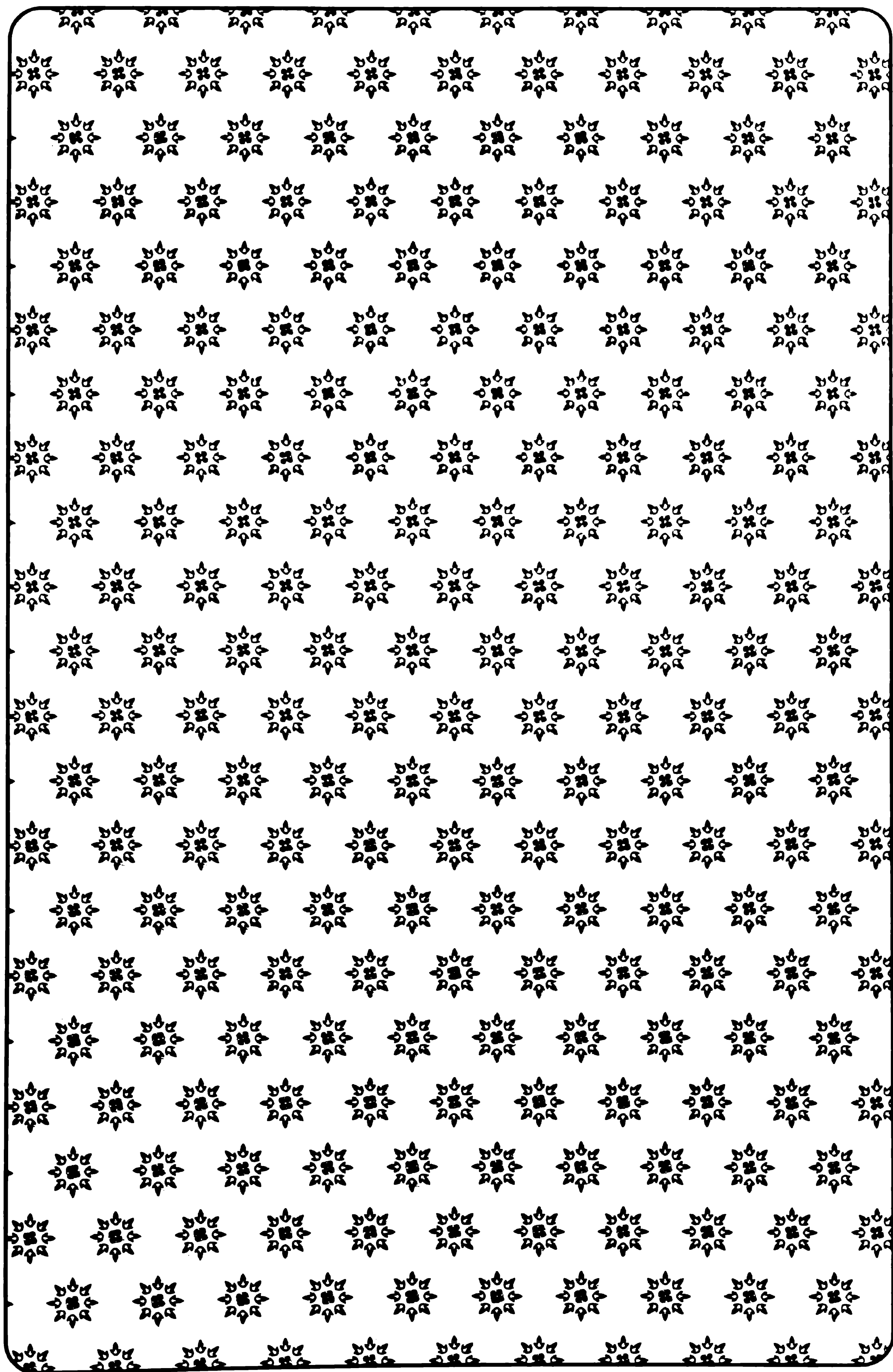
- مفهوم قواعد التفسير وعلاقتها بعلوم القرآن الكريم، د. هشام مومني، نشر ضمن بحوث: المؤتمر العالمي الثالث للباحثين في القرآن الكريم وعلومه في موضوع: بناء علم أصول التفسير الواقع والآفاق بمدينة فاس في المملكة المغربية ١٤٣٦هـ.

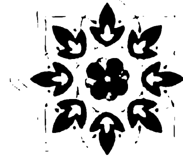
- النحو والبلاغة في أصول التفسير: تأملات في مقتضيات النشأة وآفاق الاستثمار، الدكتور/ عدنان أجانة، ضمن أبحاث المؤتمر العالمي الثالث للباحثين في القرآن الكريم وعلومه ٢٠١٥م، المملكة المغربية، فاس.

- النحو والبلاغة في أصول التفسير: تأملات في مقتضيات النشأة وآفاق الاستثمار، الدكتور/ عدنان أجانة، ضمن أبحاث المؤتمر العالمي الثالث للباحثين في القرآن الكريم وعلومه ٢٠١٥م، المملكة المغربية، فاس.

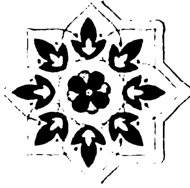
- نظرات في أدلة الأحكام وعلاقتها بمصطلح علوم القرآن، د. عبد الحميد العلمي، مجلة دراسات مصطلحية، العدد: (٢)، معهد الدراسات المصطلحية، المغرب.

- نظرية دلالة الألفاظ عند الأصوليين واستثمارها في بناء علم أصول التفسير، الدكتور/ بلقاسم بن ذاكر الزبيدي، ضمن أبحاث المؤتمر العالمي الثالث للباحثين في القرآن الكريم وعلومه ٢٠١٥م، المملكة المغربية، فاس.





قائمة بأهم المصادر والمراجع



١- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، د. فهد الرومي، طبع بإذن رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد في المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م.

٢- الإتقان في علوم القرآن، المؤلف: أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المحقق: مركز الدراسات القرآنية، دار النشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف بالسعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

٣- الأثر الفكري لابن سينا في المشرق حتى القرن السابع الهجري، المؤلف: أزهار أسودي حسين، رسالة ماجستير (المكتبة الشاملة).

٤- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان التميمي، أبو حاتم البُستي، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، حققه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

٥- إحصاء العلوم، أبو نصر الفارابي، تحقيق: عثمان أمين، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط٣، ١٩٦٨م.

٦- إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي الطوسي، الناشر: دار المعرفة - بيروت.

٧- أساس البلاغة، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٨- الاستدلال بالقرآن الكريم عند فلاسفة الإسلام المشائين - الكندي والفارابي نموذجا، د. بكار جاسم، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، العدد: (١)، ٢٠٠٩م.

٩- أسس الفلسفة، د. توفيق الطويل، مكتبة النهضة المصرية.

١٠- الإسلام العقلاني - تجديد الفكر الديني عند أمين الخولي، د. يمنىٰ الخولي، نور للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠١٧م.

١١- أسماء القرآن وأوصافه في القرآن الكريم، د. عمر بن عبد العزيز الدهيشي، دار ابن الجوزي، ١٤٣٠هـ.

١٢- أصول التفسير وقواعده: المؤلف: خالد عبد الرحمٰن العك، دار النفائس، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

١٣- الإعجاز العلمي إلىٰ أين؟ مقالات تقويمية للإعجاز العلمي، د. مساعد الطيار، دار ابن الجوزي، الدمام، ط٣، ١٤٤٠هـ.

١٤- الإعلام بمناقب الاسلام: المؤلف: أبو الحسن العامري، تحقيق ودراسة: أحمد عبد الحميد غراب، الناشر: الرياض، دار الأصالة للثقافة والنشر والاعلام، ١٩٨٨م.

١٥- الإكليل في استنباط التنزيل: المؤلف: عبد الرحمٰن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: سيف الدين عبد القادر الكاتب، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠١هـ.

١٦- أليس الصبح بقريب، محمد الطاهر ابن عاشور، تحقيق: محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس، الأردن، دار سحنون تونس، ط١، ٢٠٢٠م.

١٧- الإمام الرازي ومنهجه في التفسير، د. محسن عبد الحميد، مكتبة التفسير للكبع والنشر، العراق، ط٢، ٢٠١٨م.

١٨- أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن الكريم: المؤلف: مساعد الطيار، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ.

١٩- الآيات الكونية في سورة الأنعام بين المفسرين والعلم الحديث، أحمد محمود محمد، المصدر: الشاملة الذهبية.

٢٠- البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، قام بتحريره ومراجعته: عبد القادر عبد الله العاني، وعبد الستار أبو غدة، وعمر سليمان الأشقر ومحمد سليمان الأشقر، الناشر: وزارة الاوقاف والشئون الإسلامية بالكويت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨-١٩٩٢م، ١٤٠٩-١٤١٣هـ.

٢١- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان أثير الدين الأندلسي، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، ١٤٢٠هـ.

٢٢- البرهان في علوم القرآن، المؤلف: بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

٢٣- التاج والإكليل لمختصر خليل، الغرناطي، أبو عبد الله المواق المالكي، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨م.

٢٤- تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، شمس الدين، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الذهبي، المحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ.

٢٥- التاريخ الاقتصادي العالمي: مقدمة قصيرة جدًّا، روبرت سي آلن، ترجمة: محمد سعد طنطاوي، مراجعة: هبة نجيب مغربي، مؤسسة هنداوي.

٢٦- التاريخ الأوروبي الحديث، د. عبد الحميد البطريق - د. عبد العزيز نوّار، دار النهضة العربية، لبنان.

٢٧- تاريخ الصراع بين العلم والدين، جون ويليام، ترجمة: عبد الكريم ناصيف، دار الفرقد، سوريا، ط٢، ٢٠٢١م.

٢٨- تاريخ العلاقة بين الدين والفلسفة في الإسلام، (دراسة في صدر كتاب فصل المقال بإشراف، د. محمد عابد الجابري)، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط٨، ٢٠٢٠م.

٢٩- تاريخ العلم، جون غريبين، ترجمة: شوقي جلال، من إصدارات عالم المعرفة، الكويت، ٢٠١٢م

٣٠- تاريخ بغداد، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٣١- تاريخ حكماء الإسلام، ظهير الدين البيهقي، تحقيق: محمد كرد علي، مطبعة الترقي، دمشق، من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق.

٣٢- تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة الدِّينَوري، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار التراث، ١٩٧٣م.

٣٣- التحرير في أصول التفسير: المؤلف: مساعد بن سليمان الطيار، مركز الدراسات القرآنية بمعهد الشاطبي، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ.

٣٤- التحرير في أصول الفقه الجامع بين اصطلاحي الحنفية والشافعية: المؤلف: كمال الدين محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن مسعود السيواسي الشهير بابن همام، مطبعة مصطفى بابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٥١هـ.

٣٥- التحرير والتنوير: المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤هـ.

٣٦- تحصيل السعادة أبو نصر لفارابي، الوراق للنشر، لبنان، ط١، ٢٠١٧م.

٣٧- تخريج الفروع على الأصول، شهاب الدين محمود الزنجاني، تحقيق: د. محمد أديب الصالح، الناشر: مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٣٨- تداخل المعارف ونهاية التخصص في الفكر الإسلامي العربي - دراسة في العلاقات بين العلوم، د. محمد همام، مركز نماء للبحوث والدراسات.

٣٩- تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي في التفسير: المؤلف: علي بن أحمد الحرالي التجيبي المراكشي، المحقق: محمادي بن عبد السلام الخياطي، الناشر: مطابع النجاح الجديدة، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٤٠- الترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية دراسة، سالم العيس، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٩م.

٤١- ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان، ابن الوزير، صححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٤٠٤هـ.

٤٢- التفسير البسيط، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، النيسابوري، الشافعي، المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ.

٤٣- تفسير التابعين عرض ودراسة مقارنة: المؤلف: محمد بن عبدالله الخضيري، دار الوطن للنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٤٤- التفسير العلمي التجريبي للقرآن الكريم - جذوره وتطبيقاته والموقف منه، د. عادل بن علي بن أحمد الشدِّي.

٤٥- التفسير العلمي للقرآن الكريم - بين النظرية والتطبيق، د. هند شلبي، مطبعة تونس قرطاج، ط١، ١٤٠٦هـ.

٤٦- التفسير العلمي للقرآن الكريم، حقيقته - تاريخه- الفئات التي حملت لواءه - أخطاره ومحاسنه، د. محمد بن إبراهيم أبا الخيل، موسوعة البحوث والمقالات العلمية (المكتبة الشاملة - الشبكة الإلكترونية)

٤٧- التفسير الفلسفي للقرآن الكريم، الفيلسوف ابن سينا أنموذجا (دراسة نقدية)، د. عبد الله الخطيب، دار القلم، سوريا، ط١، ١٤٤٢هـ.

٤٨- تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء، المحقق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم - بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

٤٩- تفسير القرآن، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ

٥٠- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد النسفي، تحقيق: مروان محمد الشعار، دار النفائس، بيروت، ٢٠٠٥م

٥١- التفسير بمكتشفات العلم التجريبي بين المؤيدين والمعارضين، الدكتور محمد الشايع، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد (٤)، عام ١٤١١هـ.

٥٢ - التفسير والمفسرون، الدكتور محمد السيد حسين الذهبي، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة.

٥٣ - التفسير ورجاله، الفاضل ابن عاشور، دار السلام، مصر، ط٣، ١٤٣٦هـ.

٥٤ - التفكير البيني، أسسه النظرية، وأثره في دراسة اللغة العربية وآدابها، الدكتور صالح بن رمضان، جامعة الامام محمد بن سعود، الرياض.

٥٥ - التفكير الفلسفي الإسلامي، د. سليمان دنيا، مكتبة الخانجي، مصر، ط١، ١٣٨٧هـ.

٥٦ - التقرير والتحبير، أبو عبد الله، شمس الدين المعروف بابن أمير حاج الحنفي، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٩٨٣م.

٥٧ - التنوير بأصول التفسير: المؤلف: عبد السلام مقبل المجيدي، والكتاب منشور على الشبكة بصيغة وورد.

٥٨ - تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار، محمد بن جرير الآملي، أبو جعفر الطبري، المحقق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة.

٥٩ - تهذيب الكمال في أسماء الرجال: المؤلف: يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي، المحقق: د. بشار عواد معروف الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ - ١٩٨٠م.

٦٠ - تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٦١ - تهذيب مسار الوصول إلى علم أصول فقه الحنفية، د. صلاح محمد أبو الحاج، دار الفاروق، الأردن، ط١، ١٤٤١هـ.

٦٢- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٦٣- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٦٤- جامع بيان العلم وفضله، تأليف: أبي عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي، دراسة وتحقيق: أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي، الناشر: مؤسسة الريان - دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤٢٤-٢٠٠٣ هـ.

٦٥- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧ - ٢٠٠٦م.

٦٦- الجرح والتعديل، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد الرازي ابن أبي حاتم، اطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد الدكن، الهند، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٢٧١هـ - ١٩٥٢م.

٦٧- جمهرة اللغة: المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.

٦٨- جواهر القرآن، أبو حامد الغزالي الطوسي، عُنِيَ به: اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، جدة، ط١، ١٤٤٠هـ.

٦٩- حضارة العرب، غوستاف لوبون، ترجمة: عادل زعيتر، عصير الكتب للنشر والتوزيع.

٧٠- الدخيل في التفسير أسبابه، وعلاماته، وواجب العلماء نحوه، د. إبراهيم حسني عبدربه إبراهيم، المجلة العلمية لكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق، المجلد: (٢٩)، العدد: (٤) ٢٠١٧م.

٧١- الدخيل في تفسير القرآن الكريم، د. عبد الوهاب فايد، وأصول الدخيل في تفسير آي التنزيل، د. جمال مصطفى النجار،

٧٢- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: مركز هجر للبحوث، دار هجر، مصر، ١٤٢٤هـ.

٧٣- الدراسات البينية: المفهوم والأصول المعرفية، د. محمد مكاكي، مجلة جسور المعرفة، العدد: (٥) ديسمبر ٢٠٢١م.

٧٤- الدراسات القرآنية المعاصرة في العالم العربي والدراسات الغربية، حوار مع د. عبد الرحمن حللي، إعداد: فريق موقع تفسير، الرابط:

https://cutt.us/dnqWY

٧٥- دروس في الفلسفة، يوسف كرم، إبراهيم مدكور، دار عالم الأدب، القاهرة، ط١، ٢٠١٦م.

٧٦- الدلائل القرآنية في أن العلوم والأعمال النافعة العصرية داخلة في الدين الإسلامي، الشيخ/ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٢٤هـ.

٧٧- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين الخراساني، أبو بكر البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

٧٨- دليل الدراسات البينيّة العربيّة - في اللغة والأدب والإنسانيات، نور الدين بنخود، منشور على الشبكة في موقع جامعة الملك سعود بالرياض.

٧٩- رد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، محمد أمين الدمشقي الحنفي، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ.

٨٠- رسالة في أقسام العلوم العقلية = تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات، أبو علي الحسين ابن سينا، دار العرب، القاهرة، ط٢.

٨١- رسائل الكندي الفلسفية، جمع وتأليف/ محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الفكر العربي، مصر.

٨٢- روضة الطالبين وعمدة المفتين، النووي، أبو زكريا محيي الدين، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، ط٣، ١٤١٢هـ.

٨٣- زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ.

٨٤- سلاسل الذهب، بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد المختار بن محمد الأمين الشنقيطي، الناشر: المحقق، المدينة المنورة، ط٢، ١٤٢٣هـ.

٨٥- سلسلة المقالات المتعلقة بالاجتهاد التفسيري الفلسفي المعاصر لأبي يعرب المرزوقي، محمد كنفودي، موقع مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرابط:
https://2u.pw/5YCIvgT

٨٦- السنن، أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، المحقق: محمد عوامة، دار القبلة - مؤسسة الريان - المكتبة المكية، ط١، ١٤١٩هـ.

٨٧- سؤال التداخل المعرفي - العلوم الإسلامية بين الاتصال والانفصال، محمد بن حسين الأنصاري، مركز تكوين - الخبر، الطبعة ١، ١٤٤٠هـ.

٨٨- سؤال المنهج - في أفق التأسيس لأنموذج فكري جديد، د. طه عبد الرحمٰن، المؤسسة العربية للفكر والإبداع، لبنان، ط١، ٢٠١٥م.

٨٩- سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٩٠- شرح المقاصد في علم الكلام: المؤلف: سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، الناشر دار المعارف النعمانية، باكستان، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٩١- الشعر والشعراء، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: أحمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ.

٩٢- شوائب التفسير في القرن الرابع عشر الهجري، عبد الرحيم فارس أبو علبة، المصدر: الشاملة الذهبية، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٩٣- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الفارابي، أبو نصر الجوهري تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت: ط٤، ١٤٠٧هـ.

٩٤- طبقات الأمم، ابن صاعد الأندلسي، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، مصر، ٢٠١٩م.

٩٥- الطبقات الكبرىٰ: المؤلف: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٩٦٨ م.

٩٦- طبقات المفسرين، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء.

٩٧- العقائدية وتفسير النص القرآني، ياسر المطرفي، نماء للبحوث والدراسات، لبنان، ط١، ٢٠١٦م.

٩٨- علاقة علم أصول الفقه بعلم المنطق - مقاربة في جدلية التاريخ والتأثير، وائل الحارثي، الناشر: مركز نماء للبحوث والدراسات ببيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.

٩٩- علم أصول التفسير محاولة في البناء: المؤلف: مولاي عمر بن حماد، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ومؤسسة البحوث والدراسات العلمية، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

١٠٠- علوم القرآن الكريم، نور الدين عتر، مطبعة الصباح، دمشق، ١٩٩٣م.

١٠١- علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير من نشأتها إلى نهاية القرن الثامن الهجري: المؤلف: محمد صفاء شيخ إبراهيم حقي، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٤م.

١٠٢- علوم القرآن، نقد العلمية ومقاربة في البناء، د. خليل محمود اليماني، نماء للبحوث والدراسات، لبنان، ط١، ٢٠٢٣م.

١٠٣- عيون الأنباء في طبقات الأطباء ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم الخزرجي موفق الدين، أبو العباس، المحقق: الدكتور نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت.

١٠٤- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، مقدمة التحقيق: إياد محمد الغوج، القسم الدراسي: د. جميل بني عطا، المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب:

د. محمد عبد الرحيم سلطان العلماء، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط١، ١٤٣٤هـ.

١٠٥- فصل المقال فيما بين فلسفة البشر وحكمة القرآن من الانفصال عند الحكيم بديع الزمان، د. طه عبد الرحمن، (نشرت ضمن كتابه: سؤال المنهج).

١٠٦- فضل العرب والتنبيه على علومها، ابن قتيبة الدينوري، تحقيق: وليد محمود خالص، منشورات المجمع الثقافي، أبوظبي.

١٠٧- فلسفة الدين من منظور الفكر الإسلامي، أبو يعرب المرزوقي، بيروت، لبنان، دار الهادي، ط١، ٢٠٠٦، ص١٩٤.

١٠٨- فلسفة العلم: المؤلف: د. صلاح قنصوة، الناشر: دار التنوير للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.

١٠٩- الفلسفة أنواعها ومشكلاتها، هنتر ميد، ترجمة: فؤاد زكريا، مكتبة مصر، ١٩٦٩م.

١١٠- الفهرست، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم، المحقق: إبراهيم رمضان، الناشر: دار المعرفة بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١١١- الفوز الكبير في أصول التفسير، الدهلوي، تعريب: سلمان الحسيني النَّدوي، دار الصحوة - القاهرة.

١١٢- في البدء فيزياء، فلسفة وتاريخ علم الكون، سليم زراوبي، دار الفارابي، ط١، ٢٠٢٠م.

١١٣- في البينية نشأتها ودلالاتها، كاظم جهاد، مجلة جامعة الملك سعود، المجلد: (٢٥)، الآداب (٢)، الرياض ٢٠١٣م.

١١٤ - قانون التأويل: المؤلف: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، دراسة وتحقيق: محمّد السّليماني، الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلاميَّة، جَدّة، مؤسَسَة عُلوم القرآن، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ.

١١٥ - القسطاس المستقيم، أبو حامد الغزالي، تحقيق: لجنة من العلماء، دار المنهاج، جدة، ط١، ٢٠١٦م.

١١٦ - القضايا المشتركة بين النحاة والأصوليين- دراسة مقارنة: المؤلف: د ثروت رحيم، الناشر: دار اليسر، الطبعة الأولى، ٢٠١٧م.

١١٧ - قضايا من رحاب الفلسفة والعلم، د. توفيق الطويل، دار النهضة العربية، القاهرة.

١١٨ - كشف الأسرار النورانية القرآنية، محمد الإسكندراني، الناشر المطبعة الوهبية، سنة النشر ١٢٩٧هـ..

١١٩ - الكشف والبيان عن تفسير القرآن: المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

١٢٠ - الكفاية في التفسير بالمأثور والدراية، د. عبد الله خضر حمد، دار القلم، بيروت، ط١، ٢٠١٧م.

١٢١ - لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤هـ.

١٢٢ - مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري، المحقق: محمد فواد سزكين، الناشر: مكتبة الخانجى – القاهرة، الطبعة: ١٣٨١هـ.

١٢٣ - مجموع الفتاوى: المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

١٢٤- محاضرات في علوم القرآن: المؤلف: أبو عبد الله غانم بن قدوري، الناشر: دار عمار - الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

١٢٥- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحقق: عبد الله ابراهيم الأنصاري والسيد عبد العال السيد إبراهيم، الناشر: مؤسسة دار العلوم للطباعة والنشر - قطر.

١٢٦- المحرر في علوم القرآن: المؤلف: د مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، الناشر: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، الطبعة: الثانية، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

١٢٧- مختصر تاريخ العلم، ويليام بينوم، ترجمة: أحمد الزبيدي، دار الكتب العلمية، بغداد، ط١، ١٤٤٠هـ.

١٢٨- مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، د. عدنان زرزور، دار القلم / دار الشاميه، دمشق / بيروت، ط٢، ١٩٩٨م.

١٢٩- المدخل إلى دراسة علم الكلام: المؤلف: حسن محمود الشافعي، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، باكستان، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ.

١٣٠- المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى، أبو النصر أحمد بن محمد السمرقندي الحدَّادي.

١٣١- مراتب العلوم = رسائل ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي القرطبي الظاهري، المحقق: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ١٩٨٣م.

١٣٢- المستدرك على الصحيحين: المؤلف: محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم الضبي الحاكم النيسابوري، المحقق: مركز البحوث وتقنية المعلومات، الناشر: دار التأصيل.

١٣٣- مسلم بن الحجاج، أبو الحسن القشيري النيسابوري. «المسند الصحيح». المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي).

١٣٤- المصفّى في أصول الفقه، أحمد بن محمد بن علي الوزير، دار الفكر المعاصر، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ.

١٣٥- معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري، أبو إسحاق الزجاج، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.

١٣٦- معاني القرآن: المؤلف: أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، تحقيق: أحمد يوسف نجاتى، محمدعلى نجار، عبدالفتاح إسماعيل شلبى، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة، مكان الطبع: مصر.

١٣٧- معايير القبول والرد لتفسير النص القرآني، د. عبد القادر الحسين، دار الغوثاني، سوريا، ط٢، ١٤٣٣هـ.

١٣٨- المعتمد في أصول الفقه، محمد بن علي الطيب أبو الحسين البَصْري المعتزلي، تحقيق: محمد حميد الله، وحسن حنفي، الناشر: المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٩٦٥م.

١٣٩- معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٨م.

١٤٠- المعجم الوسيط: المؤلف: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، دار النشر: دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية.

١٤١- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، الطبعة: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٤٢- معوقات تفعيل الدراسات البينية في العلوم الاجتماعية «دراسة ميدانية». محمد سيد بيومي، مجلة كلية الآداب والعلوم الاجتماعية: جامعة السلطان قابوس، المجلد (٧)، العدد (٣).

١٤٣- مغامرة الفكر الأوروبي - قصة الأفكار الغربية، جاكلين روس، ترجمة: أمل ديبو، كلمة، أبوظبي، ط١، ٢٠١١م.

١٤٤- المغرب في ترتيب المعرب برهان الدين الخوارزمي المُطَرِّزِىّ، الناشر: دار الكتاب العربي.

١٤٥- مفاتيح العلوم: المؤلف: محمد بن أحمد بن يوسف، أبو عبد الله، الكاتب البلخي الخوارزمي، المحقق: إبراهيم الأبياري، الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة: الثانية.

١٤٦- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الدكتور جواد علي، دار الساقي، ط٤، ٢٠٠١م.

١٤٧- مفهوم المنهج العلمي، د. يمنى الخولي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٥م.

١٤٨- المقدمات الأساسية في علوم القرآن، عبد الله بن يوسف الجديع العنزي، الناشر: مركز البحوث الإسلامية ليدز - بريطانيا، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٤٩- مقدمة ابن خلدون: المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن محمد ابن خلدون، تحقيق: أ.د علي عبدالواحد وافي، دار النشر: دار نهضة مصر، الطبعة: السابعة، ٢٠١٤م.

١٥٠- مقدمة جامع التفاسير مع تفسير الفاتحة ومطالع البقرة: المؤلف: الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني: تحقيق: د. أحمد حسن فرحات، الناشر: دار الدعوة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٤م.

١٥١- المقفى الكبير: المؤلف: تقي الدين المقريزي، المحقق: محمد اليعلاوي، الناشر: دار الغرب الاسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

١٥٢- من القرآن إلى الفلسفة، اللسان العربي وتكون القاموس الفلسفي لدى الفارابي، جاك لانغاد، ترجمة: وجيه أسعد (ص٣٣٥)

١٥٣- مناقب الشافعي للبيهقي: المؤلف: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، المحقق: السيد أحمد صقر، الناشر: مكتبة دار التراث - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

١٥٤- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٦م

١٥٥- مناهل العرفان للزرقاني- دراسة وتقويم: المؤلف: خالد بن عثمان السبت، دار ابن عفان للنشر والتوزيع.

١٥٦- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، أحمد بن علي، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.

١٥٧- الموافقات، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

١٥٨- موجز البلاغة = جمهرة مقالات ورسائل ابن عاشور، جمعها وقرأها ووثقها: محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦هـ.

١٥٩- موجز دائرة المعارف الإسلامية، تحرير: م. ت. هوتسما، ت. و. أرنولد، ر. باسيت، ر. هارتمان، ونخبة من الباحثين، المراجعة والإشراف العلمي: د. حسن حبشي، د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ، د. محمد عناني، الناشر: مركز الشارقة للإبداع الفكري، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

١٦٠- موقع التخصصات الدنيوية من خارطة علوم الوحي، تأصيل منهجي، محمد بن حسين الأنصاري، ضمن بحوث المؤتمر الدولي الأول: نحو بناء منهاج جامع لعلوم الوحي وعلوم الإنسان، «الأسس الابستيمولوجية»، المركز الجهوي لجهة الشرق بمدينة وجدة في المملكة المغربية بالشراكة مع مختبر مناهج العلوم بجامعة محمد الأول، ومختبر العلوم الشرعية وقضايا الإنسان بجامعة مولاي إسماعيل وغيرهما من مراكز البحث، ١٤٤٤هـ-٢٠٢٢م.

١٦١-نزهة الأرواح وروضة الأفراح في تاريخ الحكماء والفلاسفة، الشهرزوري.

١٦٢- نظرية العقول العشرة لدى الفارابي ومدى تأثره بفلاسفة اليونان «دراسة نقدية»، د. عاطف مصطفي أبو زيد، العدد: (٢٩) ٢٠١٦م.

١٦٣- النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية، د. علي بن إبراهيم النملة، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٧هـ.

١٦٤- نكت القرآن النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام: المؤلف: أحمد محمد بن علي بن محمد الكَرَجي القصَّاب، تحقيق: علي بن غازي التويجري، وإبراهيم بن منصور الجنيدل، وشايع بن عبده بن شايع الأسمري، دار النشر: دار القيم - دار ابن عفان، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣م.

١٦٥- النهاية في غريب الحديث والأثر: المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي.

١٦٦- واقع ثقافة الدراسات البينية لدى أعضاء هيئة التدريس بجامعة أسوان وآليات تفعيلها، د. شيرين حسن محمد، مجلة جامعة الفيوم للعلوم التربوية والنفسية، المجلد: (١٤)، الإصدار: (٧) سبتمبر ٢٠٢٠م.

١٦٧- الوحي والفلسفة - مدخل لفهم تراثنا الفلسفي، د. إبراهيم بورشاشن، دار الكلمة، مصر، ط١، ٢٠١٩م.

